الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مّنْهُمْ يَأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُواْ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مّنْهُمُ النّبِيّ يَقُولُونَ إِنّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً }.

يقول تعالى ذكره: ومن يطع الله ورسوله منكنّ, وتعمل بما أمر الله به نُؤْتها أجْرَها مَرّتَيْنِ يقول: يعطها الله ثواب عملها, مثلي ثواب عمل غيرهنّ من سائر نساء الناس وأعْتَدْنا لَهَا رِزْقا كَرِيما يقول: وأعتدنا لها في الآخرة عيشا هنيئا في الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21700ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنّ لِلّهِ وَرَسُولِهِ... الآية, يعني: (تطع الله ورسوله. وَتَعْمَلْ صَالِحا تصوم وتصلي).

21701ـ حدثني سلم بن جنادة, قال: حدثنا ابن إدريس, عن ابن عون, قال: سألت عامرا عن القنوت, قال: وما هو؟ قال: قلت وَقُومُوا لِلّهِ قانِتِينَ قال: مطيعين قال: قلت وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنّ لِلّهِ وَرَسُولِهِ قال: يطعن.

21702ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكهنّ لِلّهِ وَرَسَولِهِ أي من يطع منكنّ لله ورسوله وَأعْتَدْنَا لَهَا رِزْقا كَرِيما وهي الجنة.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَتَعْمَلْ صَالِحا فقرأ عامة قرّاء الحجاز والبصرة: وَتَعْمَلْ بالتاء ردّا على تأويل مَن إذ جاء بعد قوله مِنْكُنّ. وحكى بعضهم عن العرب أنها تقول: كم بيعَ لك جارية؟ وأنهم إن قدّموا الجارية قالوا: كم جارية بيعت لك؟ فأنّثوا الفعل بعد الجارية, والفعل في الوجهين لكم لا للجارية. وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده:

أيا أمّ عَمْرٍو مَن يكُنْ عُقْرُ دارِهِجِوَاءَ عَدِيّ يأكُلِ الحَشَرَاتِ
وَيَسْوَدّ منْ لَفْحِ السّمُومِ جبينُهُوَيَعْرُو إنْ كانَ ذَوِي بَكَرَاتِ

فقال: وإن كانوا, ولم يقل: وإن كان, وهو لمن, فردّه على المعنى. وأما أهل الكوفة, فقرأت ذلك عامة قرّائها: «وَيَعْمَلْ» بالياء عطفا على يقنت, إذ كان الجميع على قراءة الياء.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان, ولغتان معروفتان في كلام العرب, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب وذلك أن العرب تردّ خبر «من» أحيانا على لفظها, فتوحد وتذكر, وأحيانا على معناها كما قال جلّ ثناؤه: وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إلَيْكَ أفأنْتَ تُسْمِعُ الصّمّ وَلَوْ كانُوا لا يَعْقِلونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إلَيْكَ فجمع مرّة للمعنى, ووحد أخرى للفظ.

الآية : 32 -33

القول في تأويل قوله تعالى: {يَنِسَآءَ النّبِيّ لَسْتُنّ كَأَحَدٍ مّنَ النّسَآءِ إِنِ اتّقَيْتُنّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مّعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنّ وَلاَ تَبَرّجْنَ تَبَرّجَ الْجَاهِلِيّةِ الأُولَىَ وَأَقِمْنَ الصّلاَةَ وَآتِينَ الزّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً }.

يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا نِساءَ النّبِيّ لَسْتُنّ كأحَدٍ مِنَ النّساءِ من نساء هذه الأمة إنِ اتّقَيْتُنّ الله فأطعتنه فيما أمركنّ ونهاكنّ, كما:

21703ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا نِساءَ النّبِيّ لَسْتُنّ كأحَدٍ مِنَ النّساءِ يعني من نساء هذه الأمة.

وقوله: فَلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ يقول: فلا تلنّ بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21704ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: يا نِساءَ النّبِيّ لَسْتُنّ كأحَدٍ مِنَ النّساءِ إنِ اتّقَيْتُنّ فَلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ يقول: لا ترخصن بالقول, ولا تخضعن بالكلام.

21705ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد, في قوله: فَلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ قال: خضع القول ما يكره من قول النساء للرجال مما يدخل في قلوب الرجال.

وقوله: فَيَطْمَعَ الّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ يقول: فيطمع الذي في قلبه ضعف فهو لضعف إيمانه في قلبه, إما شاكّ في الإسلام منافق, فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله, وإما متهاون بإتيان الفواحش.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: إنما وصفه بأن في قلبه مرضا, لأنه منافق. ذكر من قال ذلك:

21706ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَيَطْمَعَ الّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ قال: نفاق.

وقال آخرون: بل وصفه بذلك لأنهم يشتهون إتيان الفواحش. ذكر من قال ذلك:

21707ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد عن قتادة فَيَطْمَعَ الّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ قال: قال عكرمة: شهوة الزنا.

وقوله: وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفا يقول: وقلن قولاً قد أذن الله لكم به وأباحه. كما:

21708ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفا قال: قولاً جميلاً حسنا معروفا في الخير.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنّ فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين: وَقَرْنَ بفتح القاف, بمعنى: واقررن في بيوتكنّ, وكأن من قرأ ذلك كذلك حذف الراء الأولى من اقررن, وهي مفتوحة, ثم نقلها إلى القاف, كما قيل: فَظَلْتُمْ تَفَكّهُونَ وهو يريد فظللتم, فأسقطت اللام الأولى وهي مكسورة, ثم نُقلت كسرتها إلى الظاء. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة: «وَقِرْنَ» بكسر القاف, بمعنى: كنّ أهل وقار وسكينة فِي بُيُوتِكُنّ.

وهذه القراءة وهي الكسر في القاف أولى عندنا بالصواب, لأن ذلك إن كان من الوقار على ما اخترنا, فلا شكّ أن القراءة بكسر القاف, لأنه يقال: وقر فلان في منزله فهو يقر وقورا, فتكسر القاف في تفعل فإذا أمر منه قيل: قرّ, كما يقال من وزن: يزن زن, ومن وَعد: يعِد عِد. وإن كان من القرار, فإن الوجه أن يقال: اقررن, لأن من قال من العرب: ظلت أفعل

كذا, وأحست بكذا, فأسقط عين الفعل, وحوّل حركتها إلى فائه في فعل وفعلنا وفعلتم, لم يفعل ذلك في الأمر والنهي, فلا يقول: ظلّ قائما, ولا تظلّ قائما, فليس الذي اعتلّ به من اعتلّ لصحة القراءة بفتح القاف في ذلك يقول العرب في ظللت وأحسست ظلت, وأحست بعلة توجب صحته لما وصفت من العلة. وقد حكى بعضهم عن بعض الأعراب سماعا منه: ينحطن من الجبل, وهو يريد: ينحططن. فإن يكن ذلك صحيحا, فهو أقرب إلى أن يكون حجة لأهل هذه القراءة من الحجة الأخرى.

وقوله: وَلا تَبَرّجْنَ تُبرّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى قيل: إن التبرّج في هذا الموضع التبخْتُر والتكسّر. ذكر من قال ذلك:

21709ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلا تَبرّجْنَ تَبرّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى: أي إذا خرجتن من بيوتكنّ قال: كانت لهن مشية وتكسّر وتغنّج, يعني بذلك الجاهلية الأولى فنهاهنّ الله عن ذلك.

21710ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, قال: سمعت ابن أبي نجيح, يقول في قوله: وَلا تَبَرّجْنَ تَبرّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى قال: التبختر. وقيل: إن التبرّج هو إظهار الزينة, وإبراز المرأة محاسنها للرجال.

وأما قوله: تَبرّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى فإن أهل التأويل اختلفوا في الجاهلية الأولى, فقال بعضهم: ذلك ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام. ذكر من قال ذلك:

21711ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن زكريا, عن عامر وَلا تَبرّجْنَ تَبرّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى قال: الجاهلية الأولى: ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

وقال آخرون: ذلك ما بين آدم ونوح. ذكر من قال ذلك:

21712ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن عيينة, عن أبيه, عن الحكم وَلا تَبرّجْنَ تَبرّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى قال: وكان بين آدم ونوح ثمان مائة سنة, فكان نساؤهم من أقبح ما يكون من النساء, ورجالهم حسان, فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه, فأنزلت هذه الآية: وَلا تَبرّجْنَ تَبرّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى.

وقال آخرون: بل ذلك بين نوح وإدريس. ذكر من قال ذلك:

21713ـ حدثني ابن زهير, قال: حدثنا موسى بن إسماعيل, قال: حدثنا داود, يعني ابن أبي الفرات, قال: حدثنا علباء بن أحمر, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: تلا هذه الآية: وَلا تَبرّجْنَ تَبرّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى قال: كان فيما بين نوح وإدريس, وكانت ألف سنة وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل, والآخر يسكن الجبل, وكان رجال الجبل صباحا, وفي النساء دمامة, وكان نساء السهل صباحا, وفي الرجال دمامة, وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام, فأجر نفسه منه, وكان يخدمه, واتخذ إبليس شيئا مثل ذلك الذي يزمر فيه الرّعاء, فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله, فبلغ ذلك من حولهم, فانتابوهم يسمعون إليه, واتخذوا عيدا يجتمعون إليه في السنة, فتتبرّج الرجال للنساء. قال: ويتزين النساء للرجال, وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك, فرأى النساء, فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك, فتحوّلوا إليهنّ, فنزلوا معهنّ, فظهرت الفاحشة فيهنّ, فهو قول الله: وَلا تَبرّجْنَ تَبرّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى.

وأَولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبيّ أن يتبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى, وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى, فيكون معنى ذلك: ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام.

فإن قال قائل: أَوَ في الإسلام جاهلية حتى يقال: عنى بقوله الجاهِلِيّةِ الأولى التي قبل الإسلام؟ قيل: فيه أخلاقٌ من أخلاق الجاهلية. كما:

21714ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا تَبرّجْنَ تَبرّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى قال: يقول: التي كانت قبل الإسلام, قال: وفي الإسلام جاهلية؟ قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء, وقاللرجل وهو ينازعه: يا ابْن فلانة, لأُمّ كان يعيره بها في الجاهلية, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا الدّرْدَاءِ إنّ فِيكَ جاهِلِيّةً», قال: أجاهلية كفر أو إسلام؟ قال: «بل جاهِلِيّةُ كُفْرٍ», قال: فتمنيت أن لو كنت ابتدأت إسلامي يومئذ. قال: وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثٌ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ الجاهِلِيّةِ لا يَدَعُهُنّ النّاسُ: الطّعْنُ بالأنْساب, والإسْتِمْطارُ بالكَوَاكِبِ, والنّياحَةُ».

21715ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قال: أخبرني سليمان بن بلال, عن ثور, عن عبد الله بن عباس, أن عمر بن الخطاب, قال له: أرأيت قول الله لأزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم: وَلا تَبرّجْنَ تَبرّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى هل كانت إلا واحدة, فقال ابن عباس: وهل كانت من أُولى إلا ولها آخرة؟ فقال عمر: لله درك يابن عباس, كيف قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين, هل كانت من أُولى إلا ولها آخرة؟ قال: فأت بتصديق ما تقول من كتاب الله, قال: نعم وَجاهِدُوا فِي اللّهِ حَقّ جِهادِهِ كمَا جاهَدْتُمْ أوّلَ مَرّةٍ. قال عمر: فمن أُمر بالجهاد؟ قال: قبيلتان من قريش: مخزوم, وبنو عبد شمس, فقال عمر: صدقت.

وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح. وجائز أن يكون ما بين إدريس ونوح, فتكون الجاهلية الآخرة, ما بين عيسى ومحمد, وإذا كان ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل. فالصواب أن يقال في ذلك, كما قال الله: إنه نهى عن تبرّج الجاهلية الأولى.

وقوله: وأَقِمْنَ الصّلاةَ وآتِينَ الزّكاةَ يقول: وأقمن الصلاة المفروضة, وآتين الزكاة الواجبة عليكنّ في أموالكنّ وَأَطِعْنَ اللّهَ وَرَسُولهُ فيما أمراكنّ ونهياكنّ إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ يقول: إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد, ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21716ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّمَا يَرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهّركُمْ تَطْهيرا فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء, وخصهم برحمة منه.

21717ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهيرا قال: الرجس ههنا: الشيطان, وسوى ذلك من الرجس: الشرك.

اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله أَهْلَ البَيْتِ فقال بعضهم: عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم. ذكر من قال ذلك:

21718ـ حدثني محمد بن المثنى, قال: حدثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي, قال: حدثنا مندل, عن الأعمش, عن عطية, عن أبي سعيد الخدريّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي خَمْسَةٍ: فِيّ, وفِي عليّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ, وَحَسَنٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ, وَحُسَيْنٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ, وَفاطِمَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْها» إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرا.

21719ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بشر, عن زكريا, عن مصعب بن شيبة, عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة: خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم ذات غداة, وعليه مِرْطٌ مُرَجّلٌ من شعر أسود, فجاء الحسن, فأدخله معه, ثم قال: إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرا.

21720ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بكر, عن حماد بن سلمة, عن عليّ بن زيد, عن أنس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر, كلما خرج إلى الصلاة فيقول: «الصّلاةَ أهْلَ البَيْتِ» إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرَا.

21721ـ حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي, قال: حدثنا يحيى بن إبراهيم بن سويد النخعي, عن هلال, يعني ابن مقلاص, عن زبيد, عن شهر بن حوشب, عن أمّ سلمة, قالت: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم عندي, وعليّ وفاطمة والحسن والحسين, فجعلت لهم خزيرة, فأكلوا وناموا, وغطى عليهم عباءة أو قطيفة, ثم قال: «اللّهُمّ هَؤُلاءِ أهْلُ بَيْتِي, أذْهِبْ عَنْهُمُ الرّجْسَ وَطَهّرْهُمْ تَطْهِيرا».

21722ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا يونس بن أبي إسحاق, قال: أخبرني أبو داود, عن أبي الحمراء, قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر, جاء إلى باب عليّ وفاطمة فقال: «الصّلاةَ الصّلاةَ» إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرا.

حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا الفضل بن دكين, قال: حدثنا يونس بن أبي إسحاق, بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, مثله.

21723ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا الفضل بن دكين, قال: حدثنا عبد السلام بن حرب, عن كلثوم المحاربي, عن أبي عمار, قال: إني لجالس عند واثلة بن الأسقع إذ ذكروا عليا رضي الله عنه, فشتموه فلما قاموا, قال: اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا, إني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم, إذ جاءه عليّ وفاطمة وحسن وحسين, فألقى عليهم كساء له, ثم قال: «اللّهُمّ هَؤُلاءِ أهْلُ بَيْتِي, اللّهُمّ أذْهِبْ عَنْهُمُ الرّجْسَ وَطَهّرْهُمْ تَطْهِيرا». قلت: يا رسول الله وأنا؟ قال: «وأنْتَ» قال: فوالله إنها لأوثق عملي عندي.

حدثني عبد الكريم بن أبي عمير, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, قال: حدثنا أبو عمرو, قال: ثني شدّاد أبو عمار قال: سمعت واثلة بن الأسقع

يحدّث, قال: سألت عن عليّ بن أبي طالب في منزله, فقالت فاطمة: قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم, إذ جاء, فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت, فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه, وعليا عن يساره وحسنا وحسينا بين يديه, فلفع عليهم بثوبه وقال: «إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرا اللّهُمّ هَؤلاَءِ أَهْلي, اللّهُمّ أَهْلي أَحَقّ». قال واثلة: فقلت من ناحية البيت: وأنا يا رسول الله من أهلك؟ قال: «وأنت من أهلي», قال واثلة: إنها لمن أَرْجَى ما أرتجي.

حدثني أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن عبد الحميد بن بهرام, عن شهر بن حوشب, عن فضيل بن مرزوق, عن عطية, عن أبي سعيد الخدري, عن أمّ سلمة, قالت: لما نزلت هذه الآية: إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا, فجلل عليهم كساء خَيبريا, فقال: «اللّهُمّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي, اللّهُمّ أذْهِبْ عَنْهُمُ الرّجْسَ وَطَهّرْهُمْ تَطْهِيرا» قالت أمّ سلمة: ألستُ منهم؟ قال: أنت إلى خَيْرٍ.

21724ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا مصعب بن المقدام, قال: حدثنا سعيد بن زربي, عن محمد بن سيرين, عن أبي هريرة, عن أمّ سلمة, قالت: جاءت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بُبْرَمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق, فوضعته بين يديه, فقال: «أين ابن عمك وابناك؟» فقالت: في البيت, فقال: «ادعيهم», فجاءت إلى عليّ, فقالت: أجب النبيّ صلى الله عليه وسلم أنت وابناك. قالت أمّ سلمة: فلما رآهم مقبلين مدّ يده إلى كساء كان على المنامة فمدّه وبسطه وأجلسهم عليه, ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله, فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه, فقال: «هَؤُلاءِ أَهْلُ البَيْتِ, فأذْهِبْ عَنْهُمُ الرّجْسَ وَطَهّرْهُمْ تَطْهِيرا».

21725ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا حسن بن عطية, قال: حدثنا فضيل بن مرزوق, عن عطية, عن أبي سعيد عن أمّ سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية نزلت في بيتها إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرا قالت: وأنا جالسة على باب البيت, فقلت: أنا يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: «إنّكِ إلى خَيْرٍ, أنْتِ مِنْ أزْوَاجِ النّبِيّ صلى اللّهُ عليهِ وسلّمَ» قالت: وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم.

21726ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا خالد بن مخلد, قال: حدثنا موسى بن يعقوب, قال: ثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص, عن عبد الله بن وهب بن زمعة, قال: أخبرتني أمّ سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عليا والحَسنين, ثم أدخلهم تحت ثوبه, ثم جأر إلى الله, ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي», فقالت أمّ سلمة: يا رسول الله أدخلني معهم, قال: «إنّكِ مِنْ أهْلِي».

21727ـ حدثني أحمد بن محمد الطوسي, قال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح, قال: حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني, عن يحيى بن عبيد المكي, عن عطاء, عن عمر بن أبي سلمة, قال: نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أمّ سلمة إنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ

عَنْكُمُ الرّجْسَ أهْلَ البَـيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرا فدعا حسـنا وحُسـينا وفــاطمة, فأجلسهم بـين يديه, ودعا علـيا فأجلسه خـلفه, فتـجلّل هو وهم بـالكساء ثم قال: «هَؤُلاءِ أهْلُ بَـيْتِـي, فَأذْهِبْ عَنْهُمُ الرّجْسَ وَطَهّرْهُمْ تَطْهِيـرا» قـالت أم سلـمة: أنا معهم مكانك وأنْتِ علـى خَيْرٍ.

21728ـ حدثنـي مـحمد بن عمارة, قال: حدثنا إسماعيـل بن أبـان, قال: حدثنا الصبـاح بن يحيى الـمرّيّ, عن السديّ, عن أبــي الديلــم, قـال: قـال عليّ بن الـحسين لرجل من أهل الشأم: أما قرأت فـي الأحزاب: إنّـمَا يُرِيدُ اللّهُ لِـيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أهْلَ البَـيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرا قـال: ولأنتــم هـم؟ قال: نعم.

21729ـ حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا أبو بكر الـحنفـي, قال: حدثنا بكير بن مسمار, قال: سمعت عامر بن سعد, قال: قال سـعد: قـال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم حين نزل علـيه الوحي, فأخذ علــيا وابنــيه وفــاطمة, وأدخـلهم تـحت ثوبه, ثم قال: «رَبّ هَؤُلاءِ أهْلِـي وأهْلُ بَـيْتِـي».

21730ـ حدثنا ابن حميد, قال: حـدثنا عبـد اللـه بـن عبـد القـدوس, عـن الأعمش, عن حكيـم بن سعد, قال: ذكرنا علـيّ بن أبــي طـالب رضـي اللـه عنه عند أمّ سلـمة قالت: فـيه نزلت: إنّـمَا يُرِيدُ اللّهُ لِـيُذْهِبَ عَنْكُـمُ الرّجْـسَ أهْلَ البَـيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرا قالت أمّ سلـمة: جـاء النبــيّ صـلى اللـه عليـه وسلم إلـى بـيتـي, فقال: «لا تَأذَنِـي لأَحَدٍ», فجاءت فــاطمة, فلــم أسـتطع أن أحجبها عن أبـيها, ثم جاء الـحسن, فلـم أستطع أن أمنعه أن يدخـل علـى جدّه وأمه, وجاء الـحسين, فلـم أستطع أن أحجبه, فـاجتــمعوا حـول النبــيّ صلى الله عليه وسلم علـى بساط, فجللهم نبـيّ الله بكساء كان علــيه, ثـم قال: «هَؤُلاءِ أهْلُ بَـيْتِـي, فَأذْهِبْ عَنْهُمُ الرّجْسَ وَطَهّرْهُـمْ تَطْهِيـرا», فنزلـت هذه الآية حين اجتـمعوا علـى البساط قالت: فقلـت: يـا رسـول اللـه: وأنـا, قالت: فوالله ما أنعم وقال: «إنّكِ إلـى خَيْرٍ».

وقال آخرون: بل عنى بذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

21731ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الأصبغ, عن علقمة, قال: كان عكرمة ينادي فـي السـوق: إنّــمَا يُرِيـدُ اللّـهُ لِـيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أهْلَ البَـيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرا قـال: نزلـت فــي نسـاء النبــيّ صلى الله عليه وسلم خاصة.

الآية : 34

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاذْكُـرْنَ مَا يُتْــلَىَ فِـي بُيُوتِكُــنّ مِـنْ آيَـاتِ اللّهِ وَالْحِكْــمَةِ إِنّ اللّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً }.

يقول تعالـى ذكره لأزواج نبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: واذكرْنَ نعمة اللـه علـيكنّ, بـأن جعلكـنّ فــي بــيوت تُتلــى فــيها آيـات اللـه والــحكمة, فـاشكرن الله علـى ذلك, واحمدنه علـيه وعنى بقوله: وَاذْكُرْنَ ما يُتْلَـى فِـي بُـيُوتِكُنّ مِنْ آياتِ اللّهِ واذكرن مـا يقـرأ فــي بــيوتكنّ مـن آيـات كتـاب اللـه والـحكمة ويعنـي بـالـحكمة: ما أوحي إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام دين الله, ولـم ينزل به قرآن, وذلك السنة.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21732ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: وَاذْكُرْنَ ما يُتْلَى فِي بَيوتِكُنّ مِنْ آياتِ اللّهِ والْحِكْمَةِ: أي السنة, قال: يمتنّ عليهم بذلك.

وقوله: إنّ اللّهَ كانَ لَطِيفا خَبِيرا يقول تعالى ذكره: إن الله كان ذا لطف بكنّ, إذ جعلكنّ في البيوت التي تتُلى فيها آياته والحكمة, خبيرا بكُنّ إذ اختاركن لرسوله أزواجا.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصّادِقِينَ وَالصّادِقَاتِ وَالصّابِرِينَ وَالصّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدّقِينَ وَالْمُتَصَدّقَاتِ والصّائِمِينَ والصّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيراً وَالذّاكِرَاتِ أَعَدّ اللّهُ لَهُم مّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً }. يقول تعالى ذكره: إن المتذلّلين لله بالطاعة والمتذلّلات, والمصدّقين والمصدّقات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به من عند الله, والقانتين والقانتات لله, والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم, والصادقين لله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه, والصابرين لله في البأساء والضرّاء على الثبات على دينه, وحين البأس والصابرات, والخاشعة قلوبهم لله وجَلاً منه ومن عقابه والخاشعات, والمتصدّقين والمتصدقات, وهم المؤدّون حقوق الله من أموالهم والمؤدّيات, والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومه عليهم والصائمات, الحافظين فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم, والحافظات ذلك إلا على أزواجهنّ إن كنّ حرائر, أو مَنْ ملكهنّ إن كنّ إماء, والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات, كذلك أعدّ الله لهم مغفرة لذنوبهم, وأجرا عظيما: يعني ثوابا في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيما, وذلك الجنة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21733ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: دخل نساء على نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقلن: قد ذكركنّ الله في القرآن, ولم نُذكر بشيء, أما فينا ما يُذْكَر؟

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلّ ضَلاَلاً مّبِيناً }.

يقول تعالى ذكره: لم يكن لمؤمن بالله ورسوله, ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم, ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما, ومن يعص الله ورسوله فيما أمَرا أو نَهَيا فَقَدْ ضَلّ ضَلالاً مُبِينا يقول: فقد جار عن قصد السبيل, وسلك غير سبيل الهدى والرشاد.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتاه زيد بن حارثة, فامتنعت من إنكاحه نفسها. ذكر من قال ذلك:

21740ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا

قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أمْرا.... إلى آخر الآية, وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة, فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها, فقالت: لست بناكحته, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فانكحيه», فقلت: يا رسول الله أؤامَر في نفسي فبينما هما يتحدّثان أنزل الله هذه الآية على رسوله: وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ... إلى قوله: ضَلالاً مُبِينا قالت: قد رضيته لي يا رسول الله مَنْكَحا؟ قال: «نَعم», قالت: إذن لا أعصى رسول الله, قد أنكحته نفسي.

21741ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أنْ تَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ مِنْ أمْرِهِمْ قال: زينب بنت جحش وكراهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

21742ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أمْرا أنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ مِنْ أمْرِهِمْ قال: نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش, وكانت بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم, فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيت, ورأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت, فأنزل الله: وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أمْرا أنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ مِنْ أمْرِهِمْ قال: فتابعته بعد ذلك ورضيت.

21743ـ حدثني أبو عبيد الوصافي, قال: حدثنا محمد بن حمير, قال: حدثنا ابن لهيعة, عن ابن أبي عمرة, عن عكرمة عن ابن عباس, قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة, فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه حَسَبا, وكانت امرأة فيها حدّة, فأنزل الله: وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أمْرا... الآية كلها.

وقيل: نزلت في أمّ كلثوم بنت عُقْبة بن أبي مُعَيط, وذلك أنها وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فزوّجها زيد بن حارثة. ذكر من قال ذلك:

21744ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أمْرا.... إلى آخر الآية, قال: نزلت في أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط, وكانت من أوّل من هاجر من النساء, فوهبت نفسها للنبيّ صلى الله عليه وسلم, فزوّجها زيد بن حارثة, فسخِطت هي وأخوها, وقالا: إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوّجنا عبده قال: فنزل القرآن: وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أمْرا أنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ مِنْ أمْرِهِمْ... إلى آخر الآية قال: وجاء أمر أجمع من هذا: النّبِيّ أوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ قال: فذاك خاصّ, وهذا إجماع.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلّذِيَ أَنعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتّقِ اللّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النّاسَ وَاللّهُ أَحَقّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمّا قَضَىَ زَيْدٌ مّنْهَا وَطَراً زَوّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ

يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيَ أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عتابا من الله له وَ اذكر يا محمد إذْ تَقُولُ لِلّذِي أنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ بالهداية وأنْعَمْتَ عَلَيْهِ بالعِتق, يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتّقِ اللّهِ, وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذُكر رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبته, وهي في حبال مولاه, فألقي في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع, فأراد فراقها, فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وهو صلى الله عليه وسلم يحبّ أن تكون قد بانت منه لينكحها, وَاتّقِ اللّهَ وخَفِ الله في الواجب له عليك في زوجتك وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ما اللّهُ مُبْدِيهِ يقول: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوّجها إن هو فارقها, والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك وتَخْشَى النّاسَ واللّهُ أحَقّ أنْ تَخْشاهُ يقول تعالى ذكره: وتخاف أن يقول الناس: أمر رجلاً بطلاق امرأته ونكحها حين طلّقها, والله أحقّ أن تخشاه من الناس.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21745ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإذْ تَقُولُ لِلّذِي أنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام, وأنعمت عليه أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتّقِ اللّهَ وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ما اللّهُ مُبْدِيهِ قال: وكان يخفي في نفسه وَدّ أنه طلقها. قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشدّ عليه منها قوله: وتُخْفِي في نفسك ما اللّهُ مُبْدِيهِ ولو كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتمها وتَخْشَى النّاسَ وَاللّهُ أحَقّ أنْ تَخْشاهُ قال: خشِي نبيّ الله صلى الله عليه وسلم مقالة الناس.

21746ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم قد زوّج زيد بن حارثة زينب بنت جحش, ابنة عمته, فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريده وعلى الباب ستر من شعر, فرفعت الريح الستر فانكشف, وهي في حجرتها حاسرة, فوقع إعجابها في قلب النبيّ صلى الله عليه وسلم فلما وقع ذلك كرّهت إلى الآخر, فجاء فقال: يا رسول الله, إني أريد أن أفارق صاحبتي, قال: «ما لَكَ, أرَابَكَ مِنْها شَيْءٌ؟» قال: لا, والله ما رابني منها شيء يا رسول الله, ولا رأيت إلا خيرا, فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتّقِ اللّهَ», فذلك قول الله تعالى: وَإذْ تَقُولُ لِلّذِي أنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ وأنْعَمْتَ عَلَيْهِ أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتّقِ اللّهَ وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ما اللّهُ مُبْدِيهِ تخفي في نفسك إن فارقها تزوّجتها.

21747ـ حدثني محمد بن موسى الجرشي, قال: حدثنا حماد بن زيد, عن ثابت, عن أبي حمزة, قال: نزلت هذه الآية: وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ما اللّهُ مُبْدِيه في زينب بنت جحش.

21748ـ حدثنا خلاد بن أسلم, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن عليّ بن زيد بن جدعان, عن عليّ بن حسين, قال: كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه, فلما أتاه زيد

يشكوها قال: اتّقِ اللّهَ وأمْسِكْ عَلَـيْكَ زَوْجَكَ, قال الله: وتُـخْفِـي فـي نَفْسِكَ ما اللّهُ مُبْديهِ.

21749ـ حدثنـي إسحاق بن شاهين, قـال: حـدثنا داود, عـن عـامر, عـن عائشة, قالت: لو كتـم رسول الله صلى الله عليه وسـلم شـيئا مــما أوحـي إلـيه من كتاب الله لكتــم: وتُـخْفِــي فِــي نَفْسِـكَ مـا اللّـهُ مُبْـدِيهِ وتَــخْشَى النّاسَ وَاللّهُ أحَقّ أنْ تَـخْشاهُ.

وقوله: فَلَـمّا قَضَى زَيْدٌ مِنْها وَطَـرا زَوّجْناكَهـا يقـول تعالـى ذكـره: فلــما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته, وهي الوطر ومنه قول الشاعر:

وَدّعَنِـي قَبْلَ أن أوَدّعَهُلَـمّا قَضَى منْ شَبَـابِنا وَطَرَا

زَوّجْنَاكَها يقول: زوّجناك زينب بعد ما طلقها زيـد وبــانت منـه لكَيْلا يَكُـونَ علـى الـمُؤْمِنِـينَ حَرَجٌ فِـي أزْوَاجِ أدْعِيائهِمْ يعنـي: فـي نكاح نسـاء مـن تَبَنّـوا ولـيسوا بِبنـيهم ولا أولادهم علـى صحة إذا هم طلقوهنّ وبنّ منهـم إذَا قَضَـوْا مِنْهُنّ وَطَرا يقـول: إذا قضـوا منهـنّ حاجـاتهم, وآرابهـم وفــارقوهنّ وحَلَلْـن لغيرهم, ولـم يكن ذلك نزولاً منهم لهم عنهنّ وكانَ أمْرُ اللّـهِ مَفْعُـولاً يقـول: وكان ما قضى الله من قضاء مفعولاً: أي كائنا كـان لا مــحالة. وإنــما يعنــي بذلك أن قضاء الله فـي زينب أن يتزوّجها رسول الله صلى الله عليـه وسـلم كان ماضيا مفعولاً كائنا. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهـل التأويــل. ذكـر من قال ذلك:

21750ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لِكَيْلا يَكُونَ عَلـى الـمُؤْمِنِـينَ حَرَجٌ فِـي أزْوَاجِ أدْعِيائهِمْ إذَا قَضَوْا مِنْهُـنّ وَطَـرا يقول: إذا طلّقوهنّ, وكان رسول الله صلى اللـه علـيه وسـلم تَبَنـىّ زيـد بـن حارثة.

21751ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: فَلَـمّا قَضَى زَيْدٌ مِنْها وَطَرا... إلـى قـوله: وكـانَ أمْـرُ اللّـهِ مَفْعُـولاً إذا كان ذلك منه غير نـازل لـك, فـذلك قـول اللـه: وَحَلائِـلُ أبْنـائِكُمُ الّـذِينَ مِـنْ أصْلابِكُمْ.

21752ـ حدثنـي مـحمد بن عثمان الواسطي, قال: حدثنا جعفر بن عون, عن الـمعلـى بن عرفـان, عن مـحمد بن عبد الله بن جحش, قال: تفــاخرت عائشة وزينب, قال: فقالت زينب: أنا الذي نزل تزويجي.

21753ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن الشعبـي قال: كانت زينب زوج النبـيّ صلى الله عليه وسلم تقـول للنبــيّ صـلى اللـه عليـه وسلم: إنـي لأدلّ علـيك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهنّ. إن جدّي وجدّك واحـد, وإنــي أنكحنــيك اللـه مـن السـماء, وإن السفــير لـجبرائيــلُ علــيه السلام.

الآية : 38

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {مّا كَانَ عَلَى النّبِيّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللّهُ لَهُ سُنّةَ اللّهِ فِي الّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ قَدَراً مّقْدُوراً }.

يقول تعالـى ذكره: ما كان علـى النبـيّ من حرج من إثم فـيـما أحلّ الله له من نكاح امرأة من تَبَنّاه بعد فراقه إياها, كما:

21754ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ما كانَ علـى النّبِـيّ مِنْ حَرَجٍ فِـيـما فَرَضَ للّهُ لَهُ: أي أحلّ الله له.

وقوله: سُنّةَ اللّهِ فِي الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ يقول: لم يكن الله تعالى لُيؤْثِم نبيه فيما أحلّ له مثالَ فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله في أنه لم يؤثمهم بما أحلّ لهم, لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له. ونصب قوله: سُنّةَ اللّهِ على معنى: حقا من الله, كأنه قال: فعلنا ذلك سَنّةً منا.

وقوله: وكانَ أمْرُ اللّهِ قَدَرا مَقْدُورا يقول: وكان أمر الله قضاء مقضيا. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

21755ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وكانَ أمْرُ اللّهِ قَدَرا مَقْدُورا إن الله كان علمه معه قبل أن يخلق الأشياء كلها, فأتمه في علمه أن يخلق خلقا, ويأمرهم وينهاهم, ويجعل ثوابا لأهل طاعته, وعقابا لأهل معصيته فلما ائتمر ذلك الأمر قدّره, فلما قدّره كتب وغاب عليه, فسماه الغيب وأمّ الكتاب, وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم, وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدّة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم وقرأ: أُولَئِكَ يَنالَهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ حتّى إذَا نَفِدَ ذَلكَ جَاءَتْهُمْ رُسُلَنا يَتَوَفّوْنَهُمْ, وأمر الله الذي ائتمر قدره حين قدره مقدرا, فلا يكون إلا ما في ذلك, وما في ذلك الكتاب, وفي ذلك التقدير, ائتمر أمرا ثم قدره, ثم خلق عليه, فقال: كان أمر الله الذي مضى وفرغ منه, وخلق عليه الخلق قَدَرا مَقْدُورا شاء أمرا ليمضي به أمره وقدره, وشاء أمرا يرضاه من عباده في طاعته فلما أن كان الذي شاء من طاعته لعباده رضيه لهم, ولما أن كان الذي شاء أراد أن ينفذ فيه أمره وتدبيره وقدره, وقرأ: وَلَقَدْ ذَرأْنا لِجَهَنّمَ كَثِيرا مِنَ الجِنّ وَالإنْسِ فشاء أن يكون هؤلاء من أهل النار, وشاء أن تكون أعمالهم أعمال أهل النار, فقال: وكَذلكَ زَيّنا لِكُلّ أُمّةٍ عَمَلَهُمْ وقال: وكذلكَ زَيّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ هَذِهِ أعمالُ أهْلُ النّار وَلَوْ شاءَ اللّهُ ما فَعَلُوهُ, قال: وكَذلكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيّ عَدُوّا شَياطِينَ... إلى قوله: وَلَوْ شاءَ رَبّكَ ما فَعَلُوهُ وقرأ: وأقْسَمُوا باللّهِ جَهْدَ أيمانِهِمْ... إلى كُلّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ أن يؤمنوا بذلك, قال: فأخرجوه من اسمه الذي تسمّى به, قال: هو الفعّال لما يريد, فزعموا أنه ما أراد.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ يُبَلّغُونَ رِسَالاَتِ اللّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاّ اللّهَ وَكَفَىَ بِاللّهِ حَسِيباً }.

يقول تعالى ذكره: سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد من الرسل, الذي يبلغون رسالات الله إلى من أرسلوا إليه, ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك إياهم, ولا يخافون أحدا إلا الله, فإنهم إياه يرهبون إن هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أُرسلوا إليه. يقول لنبيه محمد: فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم, فكن ولا تخش أحدا إلا الله, فإن الله يمنعك من جميع خلقه, ولا يمنعك أحد من خلقه منه, إن أراد بك سوءا. «والذين» من قوله: الّذِينَ يُبَلّغونَ رِسالاَتِ اللّهِ خفض ردّا على «الذين» التي في قوله: سَنّةَ اللّهِ فِي الّذِينَ خَلَوْا. وقوله: وكَفَى باللّهِ حَسِيبا يقول تعالى ذكره: وكفاك يا محمد بالله حافظا لأعمال خلقه, ومحاسبا لهم عليها.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {مّا كَانَ مُحَمّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مّن رّجَالِكُمْ وَلَـكِن رّسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النّبِيّينَ وَكَانَ اللّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيماً }.

يقول تعالى ذكره: ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة, ولا أبا أحد من رجالكم, الذين لم يلده محمد, فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها, ولكنه رسول الله وخاتم النبيين, الذي ختم النبوّة فطبع عليها, فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة, وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21756ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ما كانَ مـحَمّدٌ أبا أحَدٍ مِنْ رجالِكُمْ قال: نزلت في زيد, إنه لم يكن بابنه ولعمري ولقد وُلد له ذكور, إنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر وَلَكِنْ رَسُولَ الله وَخاتَمَ النّبِيّينَ: أي آخرهم وكانَ اللّهُ بكُلّ شَيْءٍ عَلِيما.

21757ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عليّ بن قادم, قال: حدثنا سفيان, عن نسير بن ذعلوق, عن عليّ بن الحسين في قوله: ما كانَ مُحَمّدٌ أبا أحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْقال: نزلت في زيد بن حارثة.

والنصب في رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى تكرير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم, والرفع بمعنى الاستئناف, ولكن هو رسول الله, والقراءة النصب عندنا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَخاتَمَ النّبِيّينَ فقرأ ذلك قرّاء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين, بمعنى أنه ختم النبيين. ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: وَلَكِن نَبِيّا خَتَمَ النّبِيّينَ فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء, بمعنى أنه الذي ختم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم: خاتَمَ النّبِيّينَ بفتح التاء, بمعنى أنه آخر النبيين, كما قرأ: «مَخْتُومٌ خَاتَمَهُ مِسْكٌ» بمعنى: آخره مسك من قرأ ذلك كذلك.

الآية : 41 -44

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * هُوَ الّذِي يُصَلّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مّنَ الظّلُمَاتِ إِلَى النّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً * تَحِيّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا, فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك وَسَبّحُوهُ بُكْرَةً وأصَيلاً يقول: صلوا له غدوة صلاة الصبح, وعشيا صلاة العصر. وقوله: هُوَ الّذِي يُصَلّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ يقول تعالى ذكره: ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير, وتسبحونه بُكرة وأصيلاً, إذا أنتم فعلتم ذلك, الذي يرحمكم, ويثني عليكم هو, ويدعو لكم ملائكته. وقيل: إن معنى قوله: يُصَلّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله. وقوله: لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظّلُماتِ إلى النّورِ يقول: تدعو ملائكة الله لكم, فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهُدى, ومن الكفر إلى الإسلام. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21758ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس, في قوله: اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرا كَثِيرا يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدّا معلوما, ثم عذر أهلها في حال عذر, غير الذكر, فإن الله لم يجعل له حدّا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله, قال: اذْكُرُوا اللَّهَ قِياما وقُعُودا وعلى جُنُوبكم بالليل والنهار في البرّ والبحر, وفي السفر والحضر, والغنى والفقر, والسقم والصحة, والسرّ والعلانية, وعلى كلّ حال, وقال: سَبّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله عزّ وجلّ هُوَ الَّذِي يُصَلّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ.

21759ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَسَبّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً صلاة الغداة, وصلاة العصر.

وقوله: لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظّلُماتِ إلى النّورِ: أي من الضلالات إلى الهدى.

21760ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هُوَ الّذِي يُصَلّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظّلُماتِ إلى النّورِ قال: من الضلالة إلى الهُدى, قال: والضلالة: الظلمات, والنور: الهدى.

وقوله: وكانَ بالمُؤْمِنِينَ رَحِيما يقول تعالى ذكره: وكان بالمؤمنين به ورسوله ذا رحمة أن يعذّبهم وهم له مطيعون, ولأمره متبعون تَحِيّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ يقول جلّ ثناؤه: تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة في الجنة سلام, يقول بعضهم لبعض: أمنة لنا ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذّبنا بالنار أبدا, كما:

21761ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: تَحِيّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ قال: تحية أهل الجنة السلام.

وقوله: وأعَدّ لَهُمْ أجْرا كَرِيما يقول: وأعدّ لهؤلاء المؤمنين ثوابا لهم على طاعتهم إياه في الدنيا كريما, وذلك هو الجنة, كما:

21762ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأعَدّ لَهُمْ أجْرا كَرِيما: أي الجنة.

الآية : 45 -48

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا النّبِيّ إنّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مّنِيراً * وَبَشّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنّ لَهُمْ مّنَ اللّهِ فَضْلاً كَبِيراً * وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَىَ بِاللّهِ وَكِيلاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد إنّا أرْسَلْنَاكَ شَاهِدا على أمتك بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة, ومبشرهم بالجنة إن صدّقوك وعملوا بما جئتهم به من عند ربك, وَنَذِيرا من النار أن يدخلوها, فيعذّبوا بها إن هم كذّبوك, وخالفوا ما جئتهم به من عند الله. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21763ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يا أيّها النّبِيّ إنّا أرْسَلْناكَ شاهِدا على أمتك بالبلاغ, ومبشرا بالجنة, وَنَذِيرا بالنار.

وقوله: وَدَاعِيا إلى اللّهِ يقول: وداعيا إلى توحيد الله, وإفراد الألوهة له, وإخلاص الطاعة لوجهه دون كلّ من سواه من الآلهة والأوثان, كما:

21764ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَدَاعِيا إلـى اللّهِ إلـى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: بأذْنِهِ يقول: بأمره إياك بذلك وَسِرَاجا مُنِيرا يقول: وضياء لـخـلقه يستضيء بـالنور الذي أتـيتهم به من عند الله عبـاده مُنِيرا يقول: ضياء ينـير لـمن استضاء بضوئه, وعمل بـما أمره. وإنـما يعنـي بذلك, أنه يهدي بـه مـن اتبعه من أمته. وقوله: وَبَشّرِ الـمُؤْمِنِينَ بأنّ لَهُمْ مِنَ اللّهِ فَضْلاً كَبِـيرا يقـول تعالـى ذكره: وبشّر أهل الإيـمان بـالله يـا مـحمد بـأن لهـم مـن اللـه فضـلاً كبـيرا يقول: بأن لهم من ثواب الله علـى طاعتهم إياه تضعيفـا كثـيرا, وذلك هو الفضل الكبـير مـن اللـه لهـم. وقـوله: وَلا تُطِعِ الكـافِرِينَ وَالـمُنافِقِـينَ يقول: ولا تطع لقول كافر ولا منافق, فتسمع منه دعاءه إياكَ إلـى التقصـير فـي تبلـيغ رسالات الله إلـى مـن أرسـلك بهـا إلـيه مـن خـلقه وَدَعْ أذَاهُـمْ يقول: وأعرض عن أذاهم لك, واصبر علـيه, ولا يـمنعك ذلك عن القـيام بأمر الله فـي عبـاده, والنفوذ لـما كلّفك. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21765ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَدَعْ أذَاهُمْ قال: أعرض عنهم.

21766ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة وَدَعْ أذَاهُمْ: أي اصبر علـى أذاهم.

وقوله: وَتَوَكّلْ علـى اللّهِ يقول: وفوّض إلـى الله أمـورك, وثـق بـه, فـإنه كافـيك جميع من دونه, حتـى يأتـيك بأمره وقضاؤه وكَفَـى بِـاللّهِ وَكِيلاً يقول: وحسبك بـالله قـيـما بأمورك, وحافظا لك وكالئا.

الآية : 49

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُـوَاْ إِذَا نَكَحْتُـمُ الْمُؤْمِنَـاتِ ثُـمّ طَلّقْتُمُوهُنّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسّوهُنّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنّ مِنْ عِدّةٍ تَعْتَدّونَهَا فَمَتّعُوهُنّ وَسَرّحُوهُنّ سَرَاحاً جَمِيلاً }.

يقول تعالـى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إذَا نَكَحْتُـمُ الـمُؤْمِناتِ ثُمّ طَلّقْتُـمُوهُنّ مِنْ قَبْلِ أنْ تَـمَسّوهُنّ يعنـي من قبل أن تـجامعوهنّ فَمَا لَكُمْ عَلَـيْهِنّ مِ نْ عِـدّةٍ تَعْتَـدّوَنها يعنـي: مـن إحصـاء أقـراء, ولا أشـهر تـحصونها علـيهنّ, فمتعوهنّ يقول: أعطوهنّ ما يستـمتعن به من عرض أو عيـن مـال. وقــوله: وَسَــرّحُوهُنّ سَــرَاحا جَمِيلاً يقــول: وخــلوا سبيــلهنّ تـخـلــية بـالـمعروف, وهو التسريح الـجميـل. وبنـحو الذي قلنـا فـ ي ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21767ـ حدثنا علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علــيّ, عـن ابـن عبــاس, قـوله: يـا أيّهـا الّـذِينَ آمَنُـوا إذَا نَكَحْتُــمُ الــمُؤْمِناتِ ثُـمّ طَلّقْتُـمُوهُنّ مِنْ قَبْل أنْ تَـمَسّوهُنّ فَمَا لَكُمْ عَلَـيْهِنّ مِـنْ عِـدّةٍ تَعْتَـدّوَنها فهـذا فـي الرجل يتزوّج الـمرأة, ثم يطلقها من قبل أن يـمسها, فإذا طلقها واحدة بـانت منه, ولا عدّة علـيها تتزوّج من شاءت, ثم قـرأ: فَمَتّعُـوهُنّ وَسَـرّحُوهُنّ سَرَاحا جَمِيلاً يقول: إن كان سمى لها صداقا, فلــيس لهـا إلا النصـف, فـإن لـم يكن سمى لها صداقا, متّعهـا علــى قـدر عسـره ويُسـره, وهـو السـراح الـجميـل.

وقال بعضهم: المتعة في هذا الموضع منسوخة بقوله: فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ. ذكر من قال ذلك:

21768ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِنات... إلى قوله: سَرَاحا جَمِيلاً قال: قال سعيد بن المسيب: ثم نسخ هذا الحرف المتعة وَإنْ طَلّقْتُمُوهُنّ مِنْ قَبْل أنَ تَمَسّوهُنّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنّ فَريضَةً فنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى, قالا: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: سمعت قتادة يحدّث عن سعيد بن المسيب, قال: نسخت هذه الآية يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا إذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِناتِ ثُمّ طَلّقْتُمُوهُنّ مِنْ قَبْل أنْ تَمَسّوهُنّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنّ مِنْ عِدّةٍ تَعْتَدّونها فَمَتّعُوهُنّ قال: نسخت هذه الآية التي في البقرة.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا النّبِيّ إنّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاّتِيَ آتَيْتَ أُجُورَهُنّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمّآ أَفَآءَ اللّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمّكَ وَبَنَاتِ عَمّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ اللاّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مّؤْمِنَةً إن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنّبِيّ إنْ أَرَادَ النّبِيّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيَ أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رّحِيماً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيّها النّبِيّ إنّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاّتي آتَيْتَ أُجُورَهُنّ يعني: اللاتي تزوّجتهنّ بصداق مسمى, كما:

21769ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أزْوَاجَكَ اللاّتي آتَيْتَ أُجُورَهُنّ قال: صدقاتهنّ.

21770ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا أيّهَا النّبِيّ إنّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاّتي آتَيْتَ أُجُورَهُنّ قال: كان كل امرأة آتاها مهرا, فقد أحلها الله له.

21771ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يا أيّها النّبِيّ إنّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاّتي آتَيْتَ أُجُورَهُنّ... إلى قوله: خالِصَةً لَكَ مِنْ دُون المُؤْمِنِينَ فما كان من هذه التسمية ما شاء كثيرا أو قليلاً.

وقوله: وَما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمّا أفاءَ اللّهُ عَلَيْكَ يقول: وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهنّ, فملكتهنّ بالسباء, وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء وَبَناتِ عَمّكَ وَبَناتِ عَمّاتِكَ وَبَناتِ خالِكَ وبَناتِ خالاتِكَ اللاّتي هاجَرْنَ مَعَكَ فأحلّ الله له صلى الله عليه وسلم من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته, المهاجرات معه منهنّ دون من لم يهاجر منهنّ معه, كما:

21772ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عبد الله بن موسى, عن إسرائيل, عن السدي, عن أبي صالح, عن أمّ هانىء, قالت: خطبني النبيّ صلى الله عليه وسلم, فاعتذرت له بعذري, ثم أنزل الله عليه: إنّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاّتي آتَيْتَ أُجُورَهُنّ... إلى قوله اللاّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ قالت: فلم أحلّ له, لم أهاجر معه, كنت من الطلقاء.

وقد ذُكر أن ذلك فـي قراءة ابن مسعود: «وَبَناتِ خالاتِكَ وَاللاّتِـي هـاجَرْنَ مَعَكَ» بواو وذلك وإن كـان كـذلك فــي قراءتـه مـحتــمل أن يكـون بــمعنى قراءتنا بغير الواو, وذلك أن العرب تدخـل الواو فـي نعت من قد تقدم ذكـره أحيانا, كما قال الشاعر:

فإنّ رُشيدا وَابنَ مَرْوَانَ لَـمْ يَكُنْلِـيَفْعَلَ حتـى يَصْدُرَ الأَمْرُ مَصْدَرَا

ورشيد هو ابن مروان. وكان الضحاك بن مزاحم يتأوّل قراءة عبد الله هذه أنهنّ نوع غير بنات خالاته, وأنهنّ كل مهاجرة هاجرت مـع النبــيّ صـلى اللـه عليه وسلم. ذكر الـخبر عنه بذلك:

21773ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضـحاك يقـول فــي حـرف ابـن مسـعود: «وَاللاّتِــي هـاجَرْنَ مَعَكَ» يعنـي بذلك: كلّ شيء هاجر معه لــيس مـن بنـات العـمّ والعمـة, ولا من بنات الـخال والـخالة.

وقوله: وَامْرأَةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَـها للنّبِــيّ يقـول: وأحللنـا لـه امـرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبـي بغير صداق, كما:

21774ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عـن مــجاهد, قـوله: وَامْـرأةً مُؤْمِنَـةً إنْ وَهَبَـتْ نَفْسَـها للنّبِــيّ بغيــر صـداق, فلــم يكـن يفعـل ذلـك, وأحـلّ لـه خاصـة مـن دون الـمؤمنـين.

وذُكر أن ذلك فـي قراءة عبد الله: «وَامْرأةً مُؤْمِنَةً وَهَبَتْ نَفْسَـها للنّبِــيّ» بغير إن, ومعنى ذلك ومعنى قراءتنا وفـيها «إن» واحد, وذلك كقـول القائـل فــي الكلام: لا بـأس أن يطـأ جاريــة مــملوكة إن ملكهـا, وجاريــة مــملوكة ملكها.

وقوله إنْ أرَادَ النّبِـيّ أنْ يَسْتَنْكِحَها يقول: إن أراد أن ينكحها, فحلال له أن ينكحها إذا وهبت نفسها له بغير مهر خالِصَةً لَكَ يقول: لا يحلّ لأحد من أمّتـك أن يقرب امرأة وهبت نفسها له, وإنـما ذلك لك يا مــحمد خالصـة أخــلصت لك من دون سائر أمتك, كما:

21775ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الـمُؤْمِنِـينَ يقول: لـيس لامرأة أن تهب نفسها لرجـل بغيـر أمـر ولـيّ ولا مهر, إلا للنبـيّ, كانت لـه خالصـة مـن دون النـاس. ويزعمـون أنهـا نزلت فـي ميـمونة بنت الـحارث أنها التـي وهبت نفسها للنبـيّ.

21776ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد فــي قوله: يا أيّها النّبِـيّ إنّا أَحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ... إلــى قـوله خالِصَـةً لَـكَ مِـنْ دُونِ الـمُؤْمِنِـينَ قال: كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها اللـه لـه إلــى أن وهـب هؤلاء أنفسهنّ له, فأحللن له دون الـمؤمنـين بغير مهر خالصة لــك مــن دون الـمؤمنـين إلا امرأة لها زوج.

21777ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, عن صالــح بـن مسلــم, قال: سألت الشعبـي عن امرأة وهبت نفسها لرجل, قال: لا يكون, لا تــحلّ له, إنـما كانت للنبـيّ صلى الله عليه وسلم.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها فقرأ ذلـك عامـة قـرّاء الأمصار: إنْ وَهَبَتْ بكسر الألف علـى وجه الـجزاء, بـمعنى: إن تهب. وذُكــر

عن الحسن البصري أنه قرأ: «أنْ وَهَبَتْ» بفتح الألف, بمعنى: وأحللنا له امرأة مؤمنة أن ينكحها, لهبتها له نفسها.

والقراءة التي لا أستجيز خلافها في كسر الألف لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وأما قوله: خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ ليس ذلك للمؤمنين. وذُكر أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تنزل عليه هذه الآية أن يتزوّج أيّ النساء شاء, فقصره الله على هؤلاء, فلم يعدُهن, وقصر سائر أمته على مثنى وثلاث ورُباع. ذكر من قال ذلك:

21778ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, قال: سمعت داود بن أبي هند, عن محمد بن أبي موسى, عن زياد رجل من الأنصار, عن أبيّ بن كعب, أن التي أحلّ الله للنبيّ من النساء هؤلاء اللاتي ذكر الله يا أيّها النّبِيّ إنّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاّتي آتَيْتَ أُجُورَهُنّ... إلى قوله: فِي أزْوَاجِهِمْ وإنما أحلّ الله للمؤمنين مثنى وثُلاث ورُباع.

21779ـ وحدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: يا أيّها النّبِيّ إنّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ... إلى آخر الآية, قال: حرّم الله عليه ما سوى ذلك من النساء وكان قبل ذلك ينكح في أيّ النساء شاء, لم يحرّم ذلك عليه, فكان نساؤه يجدن من ذلك وجدا شديدا أن ينكح في أيّ الناس أحبّ فلما أنزل الله: إني قد حرّمت عليك من الناس سوى ما قصصت عليك, أعجب ذلك نساءه.

واختلف أهل العلم في التي وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنات, وهل كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة كذلك؟ فقال بعضهم: لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين, فأما بالهبة فلم يكن عنده منهنّ أحد. ذكر من قال ذلك:

21780ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يونس بن بكير, عن عنبسة بن الأزهر, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها.

21781ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, أنه قال في هذه الآية: وَامْرأةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنّبِيّ قال: أن تهب.

وأما الذين قالوا: قد كان عنده منهن, فإن بعضهم قال: كانت ميمونة بنت الحارث. وقال بعضهم: هي أمّ شريك. وقال بعضهم: زينب بنت خزيمة. ذكر من قال ذلك:

21782ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن ابن عباس, قال: وَامْرأةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنّبِيّ قال: هي ميمونة بنت الحارث.

وقال بعضهم: زينب بنت خزيمة أمّ المساكين امرأة من الأنصار.

21783ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, قال: ثني الحكم, قال: كتب عبد الملك إلى أهل المدينة يسألهم, قال: فكتب إليه عليّ, قال شعبة: وهو ظني عليّ بن حسين, قال: وقد

أخبرني به أبان بن تغلب, عن الحكم, أنه عليّ بن الحسين, الذي كتب إليه, قال: هي امرأة من الأسد يقال لها أمّ شريك, وهبت نفسها للنبيّ.
21784ـ قال: ثنا شعبة, قال: ثني عبد الله بن أبي السفر, عن الشعبي, أنها امرأة من الأنصار, وهبت نفسها للنبيّ, وهي من أرجأ.
21785ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني سعيد, عن هشام بن عروة, عن أبيه, عن خولة بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم, كانت من اللاتي وهبن أنفسهنّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
21786ـ قال: ثني سعيد بن أبي الزناد, عن هشام بن عروة, عن أبيه, قال: كنا نتحدّث أن أمّ شريك كانت وهبت نفسها للنبيّ صلى الله عليه وسلم, وكانت امرأة صالحة.
وقوله: قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أزْوَاجِهِمْ يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم إذَا أرادوا نكاحهنّ مما لم نفرضه عليك, وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك, وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحلّ لهم عقد نكاح على حرّة مسلمة إلا بوليّ عَصَبة وشهود عدول, ولا يحلّ لهم منهنّ أكثر من أربع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21787ـ حدثني عبد الله بن أحمد بن شبوّيَه, قال: حدثنا مطهر, قال: حدثنا عليّ بن الحسين, قال: ثني أبي, عن مطر, عن قتادة, في قول الله: قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أزْوَاجِهِمْ قال: إن مما فرض الله عليهم أن لا نكاح إلا بوليّ وشاهدين.

21788ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أزْوَاجِهِمْ قال: في الأربع.
21789ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أزْوَاجِهِمْ قال: كان مما فرض الله عليهم أن لا تزوّج امرأة إلا بوليّ وصداق عند شاهدي عدل, ولا يحلّ لهم من النساء إلا أربع, وما ملكت أيمانهم.
وقوله: وَما مَلَكَتْ أيمانُهُمْ يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم, لأنه لا يحلّ لهم منهنّ أكثر من أربع, وما ملكت أيمانهم, فإن جميعهن إذا كنّ مؤمنات أو كتابيات, لهم حلال بالسباء والتسرّي وغير ذلك من أسباب الملك. وقوله: لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وكانَ اللّهُ غَفُورا رَحِيما يقول تعالى ذكره: إنا أحللنا لك يا محمد أزواجك اللواتي ذكرنا في هذه الآية, وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ, إن أراد النبيّ أن يستنكحها, لكيلا يكون عليك إثم وضيق في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف التي أبحت لك نكاحهنّ من المسميّات في هذه الآية, وكان الله غفورا لك ولأهل الإيمان بك, رحيما بك وبهم أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنّ وَتُؤْوِيَ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىَ أَن تَقَرّ أَعْيُنُهُنّ وَلاَ

يَحْزَنّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ آتَيْتَهُنّ كُلّهُنّ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قلُوبِكُمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَلِيماً }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ وَتُؤْوي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ فقال بعضهم: عنى بقوله: ترجي: تؤخّر, وبقوله: تؤْوي: تضمّ. ذكر من قال ذلك:

21790ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ يقول: تؤخر.

21791ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ قال: تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ قال: تردّها إليك.

21792ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ قال: فجعله الله في حلّ من ذلك أن يدع من يشاء منهنّ, ويأتي من يشاء منهنّ بغير قسم, وكان نبيّ الله يقسم.

21793ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عمرو, عن منصور, عن أبي رزين تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ قال: لما أشفقن أن يطلقهنّ, قلن: يا نبيّ الله, اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت فكان ممن أرجأ منهنّ سودة بنت زمعة, وجُوَيرية, وصفية, وأمّ حبيبة, وميمونة وكان ممن آوى إليه: عائشة, وأمّ سلمة, وحفصة, وزينب.

21794ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ فما شاء صنع في القسمة بين النساء, أحل الله له ذلك.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير عن منصور, عن أبي رزين, في قوله: تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ وكان ممن آوى عليه الصلاة والسلام: عائشة, وحفصة, وزينب, وأمّ سلمة, فكان قسمه من نفسه لهنّ سويّ قسمه وكان ممن أرجى: سودة, وجُوَيرية, وصفية, وأمّ حبيبة, وميمونة, فكان يقسم لهنّ ما شاء, وكان أراد أن يفارقهنّ, فقلن: اقسم لنا من نفسك ما شئت, ودعنا نكون على حالنا.

وقال آخرون: معنى ذلك: تطلق وتخلي سبيل من شئت من نسائك, وتمسك من شئت منهنّ فلا تطلق. ذكر من قال ذلك:

21795ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ أمها المؤمنين وَتُؤْوي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ يعني: نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم, ويعني بالإرجاء: يقول: من شئت خليت سبيله منهنّ, ويعني بالإيواء: يقول: من أحببت: أمسكت منهنّ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تترك نكاح من شئت, وتنكح من شئت من نساء أمتك. ذكر من قال ذلك:

21796ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: قال الحسن في قوله: تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ قال:

كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوّجها أو يتركها.

وقيل: إن ذلك إنما جعل الله لنبيه حين غار بعضهنّ على النبيّ صلى الله عليه وسلم, وطلب بعضهنّ من النفقة زيادة على الذي كان يعطيها, فأمره الله أن يخيرهنّ بين الدار الدنيا والآخرة, وأن يخلي سبيل من اختار الحياة الدنيا وزينتها, ويمسك من اختار الله ورسوله فلما اخترن الله ورسوله قيل لهنّ: اقررن الآن على الرضا بالله وبرسوله, قَسَم لكنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم, أو لم يقسم, أو قسم لبعضكنّ, ولم يقسم لبعضكنّ, وفضل بعضكنّ على بعض في النفقة, أو لم يفضل, سوّى بينكنّ, أو لم يسوّ, فإن الأمر في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, ليس لكم من ذلك شيء. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكر مع ما جعل الله له من ذلك, يسوّي بينهنّ في القَسم, إلا امرأة منهنّ أراد طلاقها, فرضيت بترك القسم لها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21797ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سيفيان, عن منصور, عن أبي رزين, قال: لما أراد النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يطلق أزواجه, قلن له: افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت, فأمره الله فآوى أربعا, وأرجى خمسا.

21798ـ حدثنا سفيان بن وكيع, قال: حدثنا عبيدة بن سليمان, عن هشام بن عروة, عن أبيه, عن عائشة أنها قالت: أما تستحيي المرأة أن تهب نفسها للرجل حتى أنزل الله. تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ فقلت: إن ربك ليسارع في هواك.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا محمد بن بشر, يعني العبدي, عن هشام بن عروة, عن أبيه, عن عائشة, أنها كانت تعير النساء اللاتي وهبن أنفسهنّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: أما تستحيي امرأة أن تعرض نفسها بغير صداق, فنزلت, أو فأنزل الله: تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمّنْ عَزَلْتَ فقلت: إني لأرى ربك يُسارع لك في هواك.

21799ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنّ وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ... الآية. قال: كان أزواجه قد تغايرن على النبيّ صلى الله عليه وسلم, فهجرهن شهرا, ثم نزل التخيير من الله له فيهنّ, فقرأ حتى بلغ: وَلا تَبرّجْنَ تَبرّجَ الجاهِلِيّةِ الأُولى فخيرهنّ بين أن يخترن أن يخلي سبيلهنّ ويسرّحهنّ وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله على أنهنّ أمهات المؤمنين, لا ينكحن أبدا, وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهنّ ممن وهبت نفسها له حتى يكون هو يرفع رأسه إليها, ويرجي من يشاء, حتى يكون هو يرفع رأسه إليها, ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل فلا جناح عليه, ذلك أدنى أن تقرّ أعينهنّ ولا يحزنّ, ويرضين إذا علمن أنه من قضائي عليهنّ إيثار بعضهنّ على بعض ذلكَ أدْنَى أنْ يرضين, قال: وَمَنِ ابْتَغَيْتَ ممن عزلت: من ابتغى أصابه, ومن عزل لم يصبه, فخيرهنّ بين أن يرضين بهذا, أو يفارقهنّ, فاخترن الله ورسوله, إلا امرأة واحدة بدوية ذهبت. وكان على ذلك صلوات الله عليه, وقد شرط الله له هذا الشرط, ما زال يعدل بينهنّ حتى لقي الله.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهنّ له من يشاء, ويُؤوي إليه منهنّ من يشاء, وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كنّ في حباله, عندما نزلت هذه الآية دون غيرهنّ ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهنّ. وإذا كان ذلك كذلك, فمعنى الكلام: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك, وأحللت لك نكاحها, فلا تقبلها ولا تنكحها, أو ممن هنّ في حبالك, فلا تقربها, وتضمّ إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك, أو أردت من النساء التي أحللت لك نكاحهنّ, فتقبلها أو تنكحها, وممن هي في حبالك فتجامعها إذا شئت, وتتركها إذا شئت بغير قَسْم.

وقوله: وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: ومن نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح, فعزلته عن الجماع, فلا جناح عليك. ذكر من قال ذلك:

21800ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ قال: جميعا هذه في نسائه, إن شاء أتى من شاء منهنّ, ولا جناح عليه.

21801ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمّنْ عَزَلْتَ قال: ومن ابتغى أصابه, ومن عزل لم يصبه.

وقال آخرون: معنى ذلك: ومن استبدلت ممن أرجيت, فخليت سبيله من نسائك, أو ممن مات منهنّ ممن أحللت لك فلا جناح عليك. ذكر من قال ذلك:

21802ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ ذَلكَ أدْنَى أنْ تَقَرّ أعْيُنُهُنّ وَلا يَحْزَنّ وَيَرْضَيْنَ بما آتَيْتَهُنّ كُلّهُنّ يعني بذلك: النساء اللاتي أحلّ الله له من بنات العمّ والعمة والخال والخالة واللاّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ يقول: إن مات من نسائك اللاتي عندك أحد, أو خليت سبيله, فقد أحللت لك أن تستبدل من اللاتي أحللت لك مكان من مات من نسائك اللاتي هنّ عندك, أو خليت سبيله منهنّ, ولا يصلح لك أن تزداد على عدّة نسائك اللاتي عندك شيئا.

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك, تأويل من قال: معنى ذلك: ومن ابتغيت إصابته من نسائك مِمّنْ عَزَلْتَ عن ذلك منهنّ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ لدلالة قوله: ذَلكَ أدْنَى أنْ تَقَرّ أعْيُنُهُنّ على صحة ذلك, لأنه لا معنى لأن تقرّ أعينهنّ إذا هو صلى الله عليه وسلم استبدل بالميتة أو المطلقة منهنّ, إلا أن يعني بذلك: ذلك أدنى أن تقرّ أعين المنكوحة منهنّ, وذلك مما يدلّ عليه ظاهر التنزيل بعيد.

وقوله: ذَلكَ أدْنَى أنْ تَقَرّ أعْيُنُهُنّ وَلا يَحْزَنّ يقول: هذا الذي جعلت لك يا محمد من إذني لك أن ترجي من تشاء من النساء اللواتي جعلت لك إرجاءهنّ, وتؤوي من تشاء منهنّ, ووضعي عنك الحرج في ابتغائك إصابة من ابتغيت إصابته من نسائك, وعزلك عن ذلك من عزلت منهنّ, أقرب لنسائك أن تقرّ أعينهنّ به ولا يَحْزَنّ ويرضين بما آتيتهنّ كلهنّ من تفضيل من فضلت من قسم, أو نفقة وإيثار من آثرت منهم بذلك على غيره من

نسائك, إذا هنّ علـمن أنه مـن رضـاي منـك بـذلك, وإذنــي لـك بـه, وإطلاق منـي لا من قِبَلك. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21803ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة ذَلـكَ أدْنَى أنْ تَقَرّ أعْيُنُهُنّ وَلا يَحْزَنّ وَيَرْضَيْنَ بِـمَا آتَـيْتَهُنّ كُلّهُـنّ إذا علــمن أن هـذا جاء من الله لرخصة, كان أطيب لأنفسهنّ, وأقلّ لـحزنهنّ.

21804ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله ذلك, نـحوه.

والصواب من القراءة فـي قوله: بِـمَا آتَـيْتَهُنّ كُلّهُنّ الرفع غير جـائز غيـره عندنا, وذلك أن كلهنّ لــيس بنعـت للهـاء فــي قـوله آتَــيْتَهُنّ, وإنــما معنـى الكلام: ويرضين كلهنّ, فإنـما هو توكيد لـما فـي يرضين من ذكر النساء وإذا جعل توكيدا للهاء التـي فـي آتـيتهنّ لـم يكن له معنى, والقـراءة بنصـبه غيـر جائزة لذلك, ولإجماع الـحجة من القرّاء علـى تـخطئة قارئه كذلك.

وقوله: وَاللّهُ يَعْلَـمُ ما فِـي قُلُوبِكُمْ يقول: والله يعلـم ما فـي قلوب الرجال من ميـلها إلـى بعض مـن عنـده مـن النسـاء دون بعـض بــالهوى والـمــحبة يقول: فلذلك وضع عنك الـحرج يا مـحمد فـيـما وُضـع عنـك مـن ابتغـاء مـن ابتغيت منهنّ, مـمن عزلت تفضلاً منه علـيك بذلك وتكرمة وكانَ اللّهُ عَلِـيـما يقول: وكان الله ذا علـم بأعمال عبـاده, وغير ذلك من الأشياء كلهـا حَلِـيــما يقول: ذا حلـم علـى عبـاده, أن يعاجل أهل الذنوب منهـم بــالعقوبة, ولكنـه ذو حلـم وأناة عنهم, لـيتوب من تاب منهم, وينـيب من ذنوبه من أناب منهم.

الآية : 52

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لاّ يَحِلّ لَكَ النّسَآءُ مِن بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدّلَ بِهِنّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنّ إِلاّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللّهُ عَلَىَ كُـلّ شَـيْءٍ رّقِيباً }.

اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله تعالـى: لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِـنْ بَعْـدُ فقال بعضهم: معنى ذلك: لا يحلّ لك النساء من بعد نسائك اللاتـي خيرتهـنّ, فـاخترن الله ورسوله والدار الآخرة. ذكر من قال ذلك:

21805ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: لا يَحِـلّ لَـكَ النّسـاءُ مِـنْ بَعْـدُ... الآية إلـى رَقـيبـا قال: نُهيَ رسول الله صلى الله عليه وسـلم أن يـتزوّج بعـد نسائه الأوَل شيئا.

21806ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِـنْ بَعْـدُ... إلــى قـوله: إلاّ مـا مَلَكَـتْ يَـمِينُكَ قـال: لــما خيرهنّ, فـاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره علــيهنّ, فقـال: لا يَحِـلّ لَكَ النّساءُ مِنْ بَعْدُ وَلاَ أَنْ تَبَدّلَ بِهِنّ مِنْ أَزْوَاجٍ وهنّ التسع التـي اخـترن اللـه ورسوله.

وقال آخرون: إنـما معنى ذلك: لا يحلّ لك النساء بعد التـي أحللنا لك بقولنا يا أيهَا النبّـيّ إنّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ... إلـى قوله اللاّتِـي هاجَرْنَ مَعَـكَ وَامْـرأةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنّبِـيّ. وكأنّ قائلـي هذه الـمقالة وجهوا الكلام إلــى أن معناه: لا يحلّ لك من النساء إلا التـي أحللناها لك. ذكر من قال ذلك:

21807ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الوهـاب, قـال: حـدثنا داود, عن مـحمد بن أبـي موسى, عن زياد, قـالا لأبــيّ بـن كعـب: هـل كـان

للنبـيّ صلى الله عليه وسلم لو مات أزواجه أن يتزوّج؟ قال: مـا كـان يحـرم عـليه ذلك فقرأت عـليه هذه الآية: يا أيّها النّبِـيّ إنّا أَحْلَلْنا لَـكَ أَزْوَاجَـكَ قـال: فقال: أحلّ له ضربـا من النساء, وحرّم عـليه ما سواهنّ أحلّ لـه كـل امـرأة آتـى أجرها, وما ملكـت يـمينه مــما أفــاء اللـه علــيه, وبنـات عمـه وبنـات عماته, وبنات خاله وبنات خـالاته, وكـل امـرأة وهبـت نفسـها لـه إن أراد أن يستنكحها خالصة له من دون الـمؤمنـين.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا داود, عن مـحمد بن أبـي موسى, عن زياد الأنصاريّ قال: قلت لأُبـيّ بن كعب: أرأيت لو مات نساء النبـيّ صلى الله عليه وسلم, أكان يحلّ له أن يتزوّج؟ قال: ومـا يحـرّم ذلك علـيه, قال: قلت قوله: لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِنْ بَعْدُ قال: إنـما أحـلّ اللـه له ضربـا من النساء.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, عن داود بن أبـي هند, قال: ثنـي مـحمد بن أبـي موسى, عن زياد, رجل مـن الأنصـار, قـال: قلـت لأبــيّ بـن كعب: أرأيت لو أن أزواج النبـيّ صلى الله عليه وسلم توفّـينَ, أما كان له أن يتزوّج؟ فقال: وما يـمنعه من ذلك؟ وربـما قال داود: وما يحرّم علــيه ذلـك؟ قلت: قوله: لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِنْ بَعْدُ فقال: إنـما أحـلّ اللـه لـه ضربــا مـن النساء, فقال: يا أيها النّبـي إنّا أَحْلَلْنا لَـكَ أَزْوَاجَـكَ... إلــى قـوله: إنْ وَهَبَـتْ نَفْسَها للنّبـيّ ثم قـيـل له: لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِنْ بَعْدُ.

21808ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام بن سلـم, عن عنبسـة, عمـن ذكره, عن أبـي صالــح لا يَحِـلّ لَـكَ النّسـاءُ مِـنْ بَعْـدُ قـال: أمـر أن لا يـتزوّج أعرابـية ولا غريبة, ويتزوّج بعد من نساء تهامـة, ومـن شـاء مـن بنـات العـمّ والعمة, والـخال والـخالة إن شاء ثلاث مئة.

21809ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة, عـن عكرمة لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِنْ بَعْدُ هؤلاء التــي سـمى اللـه إلا بَنـات عَمّـكَ... الآية.

21810ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِنْ بَعْدُ يعنـي: من بعد التسمية, يقول: لا يحلّ لك امرأة إلا ابنة عمّ أو ابنة عمة, أو ابنة خــال أو ابنة خالة, أو امرأة وهبت نفسها لك, من كان منهنّ هاجر مع نبـيّ الله صـلى الله عليه وسلم. وفـي حرف ابن مسعود: «وَاللاّتــي هـاجَرْنَ مَعَـكَ» يعنــي بذلك: كل شيء هاجر معه لـيس من بنات العم والعمة, ولا من بنات الــخال والـخالة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا يحلّ لك النساء من غير الـمسلـمات فأما الـيهوديات والنصرانـيات والـمشركات فحرام علـيك. ذكر من قال ذلك:

21811ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِنْ بَعْدُ لا يهوديـة, ولا نصرانـية, ولا كافرة.

وأولـى الأقوال عندي بـالصحة قول من قال: معنى ذلك: لا يحلّ لك النساء من بعد بعد اللواتـي أحللتهن لك بقولـي: إنّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاّتـي آتَــيْتَ أُجُورَهُنّ.... إلـى قوله: وَامْرأةً مُؤْمنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنّبـيّ.

وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية, لأن قوله: لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ عَقيب قوله: إنّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ وغير جائز أن يقول: قد أحللت لك هؤلاء, ولا يحللن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه, وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين, فَعَلَ الأخرى منهما. فإذ كان ذلك كذلك ولا برهان ولا دلالة على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى, ولا تقدّم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها, وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة, لم يجز أن يقال: إحداهما ناسخة الأخرى. وإذا كان ذلك كذلك, ولم يكن لقول من قال: معنى ذلك: لا يحلّ من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة, معنى مفهوم, إذ كان قوله مِنْ بَعْدُ إنما معناه: من بعد المسميات المتقدم ذكرهنّ في الآية قبل هذه الآية, ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر إباحة المسلمات كلهنّ, بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفيء الله عليه, وبنات عمه وبنات عماته, وبنات خاله وبنات خالاته, اللاتي هاجرن معه, وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ, فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم, صحّ ما قلنا في ذلك, دون قول من خالف قولنا فيه.

واختلفت القراء في قراءة قوله لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة يحِلّ بالياء, بمعنى: لا يحلّ لك شيء من النساء بعد. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل البصرة: «لا تَحِلّ لَكَ النّساءُ» بالتاء, توجيها منه إلى أنه فعل للنساء, والنساء جمع للكثير منهن.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأه بالياء للعلة التي ذكرت لهم, ولإجماع الحجة من القرّاء على القراءة بها, وشذوذ من خالفهم في ذلك.

وقوله: وَلا أنْ تَبَدّلَ بِهِنّ مِنْ أزْوَاجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنّ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معنى ذلك: لا يحلّ لك النساء من بعد المسلمات, لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة, ولا أن تبدّل بالمسلمات غيرهنّ من الكوافر. ذكر من قال ذلك:

21812ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَلا أنْ تَبَدّلَ بِهِنّ مِنْ أزْوَاجٍ ولا أن تبدّل بالمسلمات غيرهنّ من النصارى واليهود والمشركين وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنّ إلاّ ما مَلَكَتْ يَمينُكَ.

21813ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن أبي رزين, في قوله: لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أنْ تَبَدّلَ بِهِنّ مِنْ أزْوَاجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنّ إلاّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ قال: لا يحلّ لك أن تتزوّج من المشركات إلا من سبيت فملكته يمينك منهنّ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا أن تبدّل بأزواجك اللواتي هنّ في حبالك أزواجا غيرهنّ, بأن تطلقهنّ, وتنكح غيرهنّ. ذكر من قال ذلك:

21814ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلا أنْ تَبَدّلَ بِهِنّ مِنْ أزْوَاجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنّ يقول: لا يصلح لك أن تطلق شيئا من أزواجك ليس يعجبك, فلم يكن يصلح ذلك له.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا أن تبادل من أزواجك غيرك, بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته. ذكر من قال ذلك:

21815ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا أنْ تَبَدّلَ بِهِنّ مِنْ أزْوَاجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنّ قال: كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم. يعطي هذا امرأته هذا ويأخذ امرأته, فقال: لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أنْ تَبَدّلَ بِهِنّ مِنْ أزْوَاجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنّ إلاّ ما مَلَكَتْ يَمِينكَ لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت أن تبادل, فأما الحرائر فلا قال: وكان ذلك من أعمالهم في الجاهلية.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: معنى ذلك: ولا أن تطلق أزواجك فتستبدل بهنّ غيرهنّ أزواجا.

وأنما قلنا ذلك أولى بالصواب, لما قد بيننا قبل من أن قول الذي قال معنى قوله: لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِنْ بَعْدُ لا يحلّ لك اليهودية أو النصرانية والكافرة, قول لا وجه له.

فإذ كان ذلك كذلك فكذلك قوله: وَلا أنْ تَبَدّلَ بِهِنّ كافرة لا معنى له, إذ كان من المسلمات من قد حرم عليه بقوله لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِنْ بَعْدُ الذي دللنا عليه قبل. وأما الذي قاله ابن زيد في ذلك أيضا, فقول لا معنى له, لأنه لو كان بمعنى المبادلة, لكانت القراءة والتنزيل: ولا أن تبادل بهنّ من أزواج, أو: ولا أن تُبدّل بهنّ بضمّ التاء ولكن القراءة المجمع عليها. ولا أن تبدّل بهنّ, بفتح التاء, بمعنى: ولا أن تستبدل بهنّ, مع أنّ الذي ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف في أمة نعلمه من الأمم: أن يُبادل الرجل آخر بامرأته الحرّة, فيقال: كان ذلك من فعلهم, فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فعل مثله.

فإن قال قائل: أفلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوّج امرأة على نسائه اللواتي كنّ عنده, فيكون موجها تأويل قوله: وَلا أنْ تَبَدّلَ بِهِنّ مِنْ أزْوَاجٍ إلى ما تأوّلت, أو قال: وأين ذكر أزواجه اللواتي كنّ عنده في هذا الموضع, فتكون الهاء من قوله: وَلا أنْ تَبَدّلَ بِهِنّ من ذكرهن وتوهم أن الهاء في ذلك عائدة على النساء, في قوله: لا يَحِلّ لَكَ النّساءُ مِنْ بَعْدُ؟ قيل: قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوّج من شاء من النساء اللواتي كان الله أحلهنّ له على نسائه اللاتي كن عنده يوم نزلت هذه الآية, وإنما نُهي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أن يفارق من كان عنده بطلاق أراد به استبدال غيرها بها, لإعجاب حسن المستبدلة له بها إياه إذ كان الله قد جعلهنّ أمّهات المؤمنين وخيرهن بين الحياة الدنيا والدار الآخرة, والرضا بالله ورسوله, فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة, فحرمن على غيره بذلك, ومنع من فراقهنّ بطلاق فأما نكاح غيرهنّ فلم يمنع منه, بل أحلّ الله له ذلك على ما بين في كتابه. وقد رُوي عن عائشة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يقبض حتى أحلّ الله له نساء أهل الأرض.

21816ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, عن ابن جُرَيج, عن عطاء, عن عائشة قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلّ له النساء تعني أهل الأرض.

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري, قال: حدثنا سفيان, عن عمرو, عن عطاء, عن عائشة, قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلّ له النساء.

حدثنا العباس بن أبي طالب, قال: حدثنا معلى, قال: حدثنا وهيب, عن ابن جريج, عن عطاء, عن عبيد بن عمير الليثي, عن عائشة قالت: ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلّ له أن يتزوّج من النساء ما شاء.

حدثني أبو زيد عمر بن شبة, قال: حدثنا أبو عاصم, عن ابن جُرَيج, عن عطاء, قال: أحسب عبيد بن عمير, حدثني, قال أبو زيد, وقال أبو عاصم مرّة, عن عائشة, قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلّ الله له النساء. قال: وقال أبو الزبير: شهدت رجلاً يحدّثه عطاء.

حدثنا أحمد بن منصور, قال: حدثنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا همام, عن ابن جُرَيج, عن عطاء عن عبيد بن عمير, عن عائشة, قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحلّ له النساء.

فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت من أن الله حرّم على نبيه بهذه الآية طلاق نسائه اللواتي خيرهنّ فاخترنه, فما وجه الخبر الذي رُوي عنه أنه طلق حفصة ثم راجعها, وأنه أراد طلاق سودة حتى صالحته على ترك طلاقه إياها, ووهبت يومها لعائشة؟ قيل: كان ذلك قبل نزول هذه الآية.

والدليل على صحة ما قلنا, من أن ذلك كان قبل تحريم الله على نبيه طلاقهن, الرواية الواردة أن عمر دخل على حفصة معاقبَها حين اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه, كان من قيله لها: قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك, فكلمته فراجعك, فوالله لئن طلّقك, أو لو كان طلّقك لا كلّمته فيك وذلك لا شك قبل نزول آية التخيير, لأن آية التخيير إنما نزلت حين انقضى وقت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعتزالهنّ.

وأما أمر الدلالة على أن أمر سَوْدة كان قبل نزول هذه الآية, أن الله إنما أمر نبيه بتخيير نسائه بين فراقه والمُقام معه على الرضا بأن لا قَسْم لهن, وأنه يُرْجِي من يشاء منهنّ, ويُؤْوي منهنّ من يشاء, ويُؤْثر من شاء منهنّ على من شاء, ولذلك قال له تعالى ذكره: وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ ذلكَ أدْنَى أنْ تَقَرّ أعْيُنُهُنّ وَلا يَحْزَنّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنّ كُلّهُنّ, ومن المحال أن يكون الصلح بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى على تركها يومها لعائشة في حالٍ لا يومَ لها منه.

وغير جائز أن يكون كان ذلك منها إلا في حالٍ كان لها منه يومٌ هوَ لها حقّ كان واجبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أداؤه إليها, ولم يكن ذلك لهنّ بعد التخيير لما قد وصفت قبل فيما مضى من كتابنا هذا.

فتأويل الكلام: لا يحلّ لك يا محمد النساء من بعد اللواتي أحللتهنّ لك في الآية قبلُ, ولا أن تُطَلق نساءك اللواتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة, فتبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسن من أردت أن تبدّل به منهنّ, إلا ما ملكت يمينك. وأن في قوله أنْ تَبَدّلَ بِهِنّ رفع, لأن معناها: لا يحلّ لك النساء من بعد, ولا الاستبدال بأزواجك, وإلا فَي قوله: إلاّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ استثناء من النساء. ومعنى ذلك: لا يحلّ لك النساء من بعد اللواتي أحللتهنّ

لك, إلا ما ملكت يـمينك من الإماء, فإن لك أن تَـمْلك من أيّ أجنـاس النـاس شئت من الإماء.

وقوله: وكان اللّهُ على كُلّ شَيْءٍ رَقِـيبـا يقول: وكان الله علـى كل شيء ما أحلّ لك, وحرّم علـيك, وغير ذلك من الأشياء كلها, حفـيظا لا يعـزُب عنـه علـم شيء من ذلك, ولا يؤوده حفظ ذلك كله.

21817ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وكـانَ اللّهُ على كُلّ شَيْءٍ رَقِـيبـا: أي حفـيظا, فـي قول الـحسن وقَتادة.

الآية : 53

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُـوتَ النّبِـيّ إِلاّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىَ طَعَ ام غَيْـرَ نَ اظِرِينَ إِنَ اهُ وَلَـكِنْ إِذَا دُعِيتُـمْ فَـادْخُلُواْ فَ إِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُواْ وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النّبِيّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنّ مَتَاعاً فَاسْـأَلُوهُنّ مِـن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تـؤْذُواْ رَسُـولَ اللّـهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوَاْ أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللّهِ عَظِيماً }.

يقول تعالـى ذكره لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الذين أمنوا بـالله ورسوله, لا تدخـلوا بـيوت نبـيّ اللـه إلا أن تُـدْعَوا إلـى طعـام تطعمونه غَيرَ ناظِرِينَ إناهُ يعنـي: غير منتظرين إدراكـه وبلـوغه وهـو مصـدر من قولهم: قد أنى هذا الشيء يَأنِـي إنىً وأنْـيا وإنَاءً قال الـحُطَيئة:

وآنَـيْتُ العَشاءَ إلـى سُهَيْـلٍ أوِ الشّعْرَى فَطالَ بـيَ الأَناءُ

وفـيه لغة أخرى, يقال: قد إن لك: أي تبـين لك إينا, ونال لـك, وأنـال لـك ومنه قول رُؤبة بن العَجاج:

هاجَتْ وَمِثْلِـي نَوْلَه أنْ يَرْبَعاحَمامَةٌ ناخَتْ حَماما سُجّعا

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21818ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول اللـه: إلـى طَعـامٍ غيـرَ نـاظِرِينَ إناهُ قال: مُتَـحَيّنـين نُضْجَه.

21819ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, غيرَ ناظِرِينَ إناهُ يقـول: غيـر نـاظرين الطعامَ أن يُصْنَع.

21820ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة غيـرَ ناظِرِينَ إناهُ قال: غير متـحينـين طعامه.

حدثنا ابن عبد الأعلـى, قال: حدثنا ابن ثور, عن معمر, عن قتادة, مثله.

ونصب غيرَ فـي قوله: غَيرَ ناظِرِينَ إناهُ علـى الـحال من الكـاف والـميـم فـي قوله: إلاّ أنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ لأن الكَاف والـميـم معرفة وغير نكرة, وهي من صفة الكـاف والـميـم. وكـان بعـض نـحويّـي البصـرة يقـول: لا يجـوز فـي «غير» الـجرّ علـى الطعام, إلا أن تقول: أنتـم, ويقول: ألا ترى أنك لو قلت: أبدى لعبد الله علـيّ امرأة مبغضا لها, لـم يكن فـيه إلا النصب, إلا أن تقـول: مبغض لها هو, لأنك إذا أجريت صفته علـيها, ولـم تظهـر الضـمير الـذي يـدلّ علـى أن الصفة له لـم يكن كلاما, لو قلت: هذا رجل مع امرأةٍ مُلازِمِها, كـان لـحنا, حتـى ترفع, فتقول ملازمُها, أو تقول مُلازِمَها هُو, فتـجرّ.

وكان بعض نحويي الكوفة يقول: لو جعلت «غير» في قوله: غَيرَ ناظِرِينَ إناهُ خفضا كان صوابا, لأن قبلها الطعام وهو نكرة, فيجعل فعلهم تابعا للطعام, لرجوع ذكر الطعام في إناه, كما تقول العرب: رأيت زيدا مع امرأةٍ محسنا إليها ومحسنٍ إليها, فمن قال محسنا جعله من صفة زيد, ومن خفضه فكأنه ق ال: رأيته مع التي يحسن إليها فإذا صارت الصلة للنكرة أتبعتها وإن كانت فعلاً لغير النكرة, كما قال الأعشى:

فَقُلْتُ لَهُ هَذِهِ هاتِهاإلَيْنا بِأَدْماءَ مُقْتادِها

فجعل المقتاد تابعا لإعراب بأدماء, لأنه بمنزلة قولك: بأدماء تقتادها, فخفضه, لأنه صلة لها, قال: ويُنْشَد: «بأدماءِ مقتادِها» بخفض الأدماء لإضافتها إلى المقتاد, قال: ومعناه: هاتها على يدي من اقتادها. وأنشد أيضا:

وَإنّ امْرَأً أَهْدَى إلَيْكِ ودُونَهُمِن الأرْضِ مَوْماةٌ وَبَيْداءُ فَيْهَقُ

لَمَحْقُوقَةٌ أنْ تَسْتَجِيبي لِصَوْتِهوأنْ تَعْلَمي أنّ المُعانَ مُوَفّقُ

وحُكِي عن بعض العرب سَمَاعاً يُنْشِد:

أرأيْتِ إذْ أَعْطَيْتُكِ الوُدّ كُلّهولَمْ يَكُ عِنْدي إنْ أَبَيْتِ إباءُ

أمُسْلِمَتِي للْمَوْتِ أنْتِ فَمَيّتٌوَهَلْ للنّفُوسِ المُسْلِماتِ بَقاءُ

ولم يقل: فميت أنا, وقال الكسائي: سمعت العرب تقول: يدك باسطها, يريدون أنت, وهو كثير في الكلام, قال: فعلى هذا يجوز خفض «غير».

والصواب من القول في ذلك عندنا, القول بأجازة جرّ «غير» في «غير ناظرين» في الكلام, لا في القراءة, لما ذكرنا من الأبيات التي حكيناها فأما في القراءة فغير جائز في «غير» غير النصب, لإجماع الحجة من القرّاء على نصبها.

وقوله: وَلَكِنْ إذا دُعِيتُمْ فادْخُلُوا يقول: ولكن إذا دعاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فادخلوا البيت الذي أذن لكم بدخوله فإذَا طَعِمْتُمْ فانْتَشِرُوا يقول: فإذا أكلتم الطعام الذي دعيتم لأكله فانتشروا,يعني فتفرّقوا واخرجوا من منزله. وَلا مُسْتأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ فقوله: وَلا مُسْتأْنِسِينَ لِحَديثٍ في موضع خفض عطفا به على ناظرين, كما يقال في الكلام: أنت غير ساكت ولا ناطق. وقد يحتمل أن يقال: «مستأنسين» في موضع نصب عطفا على معنى ناظرين, لأن معناه: إلا أن يؤذن لكم إلى طعام لا ناظرين إناه, فيكون قوله: وَلا مُسْتأْنِسِينَ نصبا حينئذ, والعرب تفعل ذلك إذا حالت بين الأوّل والثاني, فتردّ أحيانا على لفظ الأوّل, وأحيانا على معناه, وقد ذكر الفراء أن أبا القمقام أنشده:

أجِدّك لَسْتَ الدّهْرَ رَائيَ رَامَةٍوَلا عاقِلٍ إلاّ وأنْتَ جَنِيبُ

وَلا مُصْعِدٍ فِي المُصْعِدِينَ لَمِنْعِجٍوَلا هابِطا ما عِشْتُ هَضْبَ شَطِيبِ

فردّ «مصعد» على أن «رائي» فيه باء خافضة, إذ حال بينه وبين المصعد مما حال بينهما من الكلام.

ومعنى قوله: وَلا مُسْتأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ: ولا متحدّثين بعد فراغكم من أكل الطعام إيناسا من بعضكم لبعض به, كما:

21821ـ حدثني محمد بن عمرو, ق ال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا المحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَلا مُسْتأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ بعد أن تأكلوا.

واختلف أهل العلم في السبب الذي نزلت هذه الآية فيه, فقال بعضهم: نزلت بسبب قوم طعموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب بنت جحش, ثم جلسوا يتحدّثون في منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم, وبرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حاجة, فمنعه الحياء من أمرهم بالخروج من منزله. ذكر من قال ذلك:

21822ـ حدثني عمران بن موسى القزاز, قال: حدثنا عبد الوارث, قال: حدثنا عبد العزيز بن صُهَيب, عن أنس بن مالك, قال: بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش, فبعثت داعيا إلى العطام, فدعوت, فيجيء القوم يأكلون ويخرجون ثم يجيء القوم يأكلون ويخرجون, فقلت: يا نبيّ الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه, قال: «ارفعوا طعامكم», وإن زينب لجالسة في ناحية البيت, وكانت قد أعطيت جمالاً, وبقي ثلاثة نفر يتحدّثون في البيت, وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة, فقال: «السّلامُ عَلَـيْكُمْ أهْـلَ البَـيْتِ» فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله, كيف وجدت أهلك؟ قال: فأتى حجر نسائه, فقالوا مثل ما قالت عائشة, فرجع النبيّ صلى الله عليه وسلم, فإذا الثلاثة يتحدّثون في البيت, وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم شديد الحياء, فخرج النبيّ صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة, فلا أدري أخبرَتْه, أو أخبر أن الرهط قد خرجوا, فرجع حتى وضع رجله في أسكفّة داخل البيت, والأخرى خارجه, إذ أرخى الستر بيني وبينه, وأنزلت آية الحجاب.

حدثني أبو معاوية بشر بن دحية, قال: حدثنا سفيان, عن الزهريّ, عن أنس بن مالك, قال: سألني أبيّ بن كعب عن الحجاب, فقلت: أنا أعلم الناس به, نزلت في شأن زينب أولم النبيّ صلى الله عليه وسلم عليها بتمر وسويق, فنزلت: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النّبِيّ إلاّ أنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إلى قوله: ذَلِكُمْ أطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنّ.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب, قال: ثني عمي, قال: أخبرني يونس, عن الزهريّ, قال: أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة, فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل في مبتني رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عروسا, فدعا القوم فأصابوا من الطعام حتى خرجوا, وبقي منهم رهط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث, فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج, وخرجت معه لكي يخرجوا, فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيت معه, حتى جاء عتبة حجرة عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم, ثم ظنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قد خرجوا, فرجع ورجعت معه, حتى دخل على زينب, فإذا هم جلوس لم يقوموا, فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعت معه, فإذا هم قد خرجوا, فضرب بيني وبينه سترا, وأنزل الحجاب.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن حميد, عن أنس, قال: دعوت المسلمين إلى وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم, صبيحة بنى بزينب بنت جحش, فأوسعهم خبزا ولحما, ثم رجع كما كان يصنع, فأتى حجر نسائه فسلم عليهنّ, فدعون له, ورجع إلى بيته وأنا

معه فلما انتهينا إلى الباب إذا رجلان قد جرى بهما الحديث في ناحية البيت, فلما أبصرهما ولى راجعا فلما رأيا النبيّ صلى الله عليه وسلم ولّى عن بيته, ولّيا مُسْرِعين, فلا أدري أنا أخبرته, أو أخبر فرجع إلى بيته, فأرخى الستر بيني وبينه, ونزلت آية الحجاب.

21823ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن حميد, عن أنس بن مالك, قال: قال عمر بن الخطاب: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لو حجبت عن أمهات المؤمنين, فإنه يدخل عليك البرّ والفاجر, فنزلت آية الحجاب.

حدثني القاسم بن بشر بن معروف, قال: حدثنا سليمان بن حرب, قال: حدثنا حماد بن زيد, عن أيوب, عن أبي قلابة, عن أنس بن مالك, قال: أنا أعلم الناس بهذه الآية, آية الحجاب لما أهديت زينب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاما, ودعا القوم, فجاؤوا فدخلوا وزينب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت, وجعلوا يتحدّثون, وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يدخل وهم قعود, قال: فنزلت هذه الآية: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النّبِيّ.... إلى: فاسأَلُوهُنّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ قال: فقام القوم وضرب الحجاب.

حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد, قال: حدثنا أبي, عن بيان, عن أنس بن مالك, قال: بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من نسائه, فأرسلني, فدعوت قوما إلى الطعام فلما أكلوا وخرجوا, قام رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا قِبَلَ بيت عائشة, فرأى رجلين جالسين, فانصرف راجعا, فأنزل الله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النّبِيّ إلاّ أنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ.

21824ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا المسعودي, قال: حدثنا ابن نهشل, عن أبي وائل, عن عبد الله, قال: أمر عمر نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم بالحجاب, فقالت زينب: يا بن الخطاب, إنك لتغار علينا, والوحي ينزل في بيوتنا, فأنزل الله: وَإذَا سألْتُمُوهُنّ مَتاعا فاسأَلُوهُنّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ.

حدثني محمد بن مرزوق, قال: حدثنا أشهل بن حاتم, قال: حدثنا ابن عون, عن عمرو بن سعد, عن أنس, قال: وكنت مع النبيّ صلى الله عليه وسلم, وكان يمرّ على نسائه, قال: فأتى بامرأة عروس, ثم جاء وعندها قوم, فانطلق فقضى حاجته, واحتبس وعاد وقد خرجوا قال: فدخل فأرخى بيني وبينه سترا, قال: فحدثت أبا طلحة, فقال: إن كان كما تقول: لينزلنّ في هذا شيء, قال: ونزلت آية الحجاب.

وقال آخرون: كان ذلك في بيت أمّ سلمة. ذكر من قال ذلك:

21825ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: وَلَكِنْ إذَا دُعِيُتمْ فادْخُلُوا فإذَا طَعِمْتُمْ فانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأنِسينَ لِحَدِيثٍ قال: كان هذا في بيت أمّ سلمة, قال: أكلوا, ثم أطالوا الحديث, فجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم يدخل ويخرج ويستحي منهم, والله لا يستحي من الحق.

21826ـ قال: ثنا سعيد, عن قتادة: وَإذَا سألْتُمُوهُنّ مَتاعا فاسأَلُوهُنّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ قال: بلغنا أنهنّ أمرن بالحجاب عند ذلك.

وقوله: إنّ ذَلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النّبِـيّ. يقول: إن دخولكم بـيوت النبـيّ من غير أن يؤذن لكم, وجلوسكم فـيها مستأنسين للـحديث بعـد فراغكـم مـن أكـل الطعام الذي دعيتـم له, كان يؤذي النبـيّ, فـيستـحي منكم أن يخرجكم منها إذا قعدتـم فـيها للـحديث بعد الفراغ من الطعام, أو يـمنعكم من الدخول إذا دخـلتـم بغير إذن مع كراهيتـه لـذلك منكـم وَاللّـهُ لا يَسْتـحْيِ مِـنَ الـحَقّ أن يتبـين لكم, وإن استـحيا نبـيكم فلـم يبـين لكم كراهية ذلـك حيـاء منكـم وَإذَا سألْتَـمُوهُنّ مَتاعـا فـاسألُوهُنّ مِـنْ وَرَاءِ حِجـابٍ يقـول: وإذا سألتـم أزواج رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم ونسـاء الـمؤمنـين اللواتـي لسـن لكـم بـأزواج متاعـا فـاسألُوهُنّ مِـنْ وَرَاءِ حِجـاب يقـول: مـن وراء سـتر بـينكم وبـينهنّ, ولا تدخـلوا علـيهنّ بـيوتهنّ ذَلِكُـمْ أطْهَـرُ لِقُلُـوبِكُمْ وَقُلُـوبِهِنّ يقـول تعالـى ذكره: سؤالكم إيـاهنّ الـمتاع إذا سألتـموهنّ ذلـك م ن وراء حجـاب أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ من عوارض العيـن فـيها التـي تعـرض فـي صـدور الرجال من أمر النساء, وفـي صدور النساء من أمر الرجال, وأحرى مـن أن لا يكون للشيطان علـيكم وعلـيهنّ سبـيـل.

وقد قـيـل: إن سبب أمر الله النساء بـالـحجاب, إنـما كـان مـن أجـل أن رجلاً كـان يأكـل مـع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وعائشـة معهمـا, فأصابت يدها يد الرجل, فكره ذلك رسول الله صلى الله عليـه وسـلم. ذكـر من قال ذلك:

21827ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, عن لـيث, عـن مـجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه, فأصابت يد رجل منهم يد عائشة, فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسـلم, فنزلـت آية الـحجاب.

وقـيـل: نزلت من أجل مسألة عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

21828ـ حدثنا أبو كُرَيب ويعقوب, قالا: حدثنا هشيـم, قال: حـدثنا حميـد الطويـل, عن أنس, قال: قال عمر بن الـخطاب: قلت: يـا رسـول اللـه, إن نساءك يدخـل علـيهنّ البرّ والفـاجر, فلو أمرتهن أن يحتـجبن؟ قال: فنزلـت آية الـحجاب.

حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, قال: حدثنا حميد, عن أنس, عـن النبـيّ صلى الله عليه وسلم بنـحوه.

21829ـ حدثنـي أحمد بن عبد الرحمن, قال: ثنـي عمرو بن عبد الله بـن وهب, قال: ثنـي يونس, عـن الزهـريّ, عـن عـروة, عـن عائشـة قـالت: إن أزواج النبـيّ صلى اللـه عليـه وسـلم كـنّ يخرجـن بـاللـيـل إذا تـبرّزن إلـى «الـمناصع» وهو صـعيد أفـيح, وكـان عمـر يقـول: يـا رسـول اللـه, احجـب نساءك, فلـم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل, فخرجـت سـودة بنت زمعة, زوج النبـيّ صلى الله عليه وسلم, وكانت امرأة طويـلة, فناداهـا عمر بصوته الأعلـى: قد عرفناك يا سودة, حرصـا أن ينـزل الـحجاب, قـال: فأنزل الله الـحجاب.

21830ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا ابن نـمير, عن هشام بن عروة, ع ن أبـيه, عـن عائشـة, قـالت: خرجـت سـودة لـحاجتها بعـد مـا ضـرب علـينا الـحجاب, وكانت امرأة تفرع النساء طولاً, فأبصرها عمر, فناداها: يا سودة, إنك والله ما تـخفـين علـينا, فـانظري كيـف تـخرجين, أو كيـف تصـنعين؟

فانكفأت فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ليتعشى, فأخبرته بما كان, وما قال لها, وإن في يده لعَرْقا, فأوحي إليه, ثم رفع عنه, وإن العَرْق لفي يده, فقال: «لقد أذن لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ».

حدثني أحمد بن محمدالطوسي, قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث, قال: حدثنا همام, قال: حدثنا عطاء بن السائب, عن أبي وائل, عن ابن مسعود, قال: أمر عمر نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب: يا ابن الخطاب, إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا؟ فأنزل الله: وَإِذَا سألْتُمُوهُنّ مَتاعا فاسألُوهُنّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ.

حدثني أبو أيوب النهراني سليمان بن عبد الحميد, قال: حدثنا يزيد بن عبد ربه, قال: ثني ابن حرب, عن الزبيدي, عن الزهري, عن عروة, عن عائشة أن أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم, كنّ يخرجن بالليل إذا تبرّزن إلى «المناصع» وهو صعيد أفيح وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: احجب نساءك, فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل, فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء, وكانت امرأة طويلة, فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة, حرصا على أن ينزل الحجاب, قالت عائشة: فأنزل الله الحجاب, قال الله: يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا... الآية.

وقوله: وَما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّهِ يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله, وما يصلح ذلك لكم وَلا أنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَدا يقول: وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا لأنهنّ أمهاتكم, ولا يحلّ للرجل أن يتزوّج أمه.

وذُكر أن ذلك نزل في رجل كان يدخل قبل الحجاب, قال: لئن مات محمد لأتزوجنّ امرأة من نسائه سماها, فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك: وَما كانَ لَكُمْ أن تُؤْذُوا رَسُولَ اللّهِ وَلا أنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَدا. ذكر من قال ذلك:

21831ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّهِ وَلا أنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَدا إنّ ذَلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللّهِ عَظِيما قال: ربما بلغ النبيّ صلى الله عليه وسلم أن الرجل يقول: لو أن النبيّ صلى الله عليه وسلم توفي تزوّجت فلانة من بعده, قال: فكان ذلك يؤذي النبيّ صلى الله عليه وسلم, فنزل القرآن: وَما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّهِ... الآية.

21832ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الوهاب, قال: حدثنا داود, عن عامر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم مات, وقد ملك قيلة بنت الأشعث, فتزوّجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك, فشقّ على أبي بكر مشقة شديدة, فقال له عمر: يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنها لم يخيّرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها, وقد برأها منه بالردّة التي ارتدّت مع قومها, فاطمأنّ أبو بكر وسكن.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وقد ملك بنت الأشعث بن قيس, ولم يجامعها, ذكر نحوه.

وقوله: إنّ ذَلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللّهِ عَظِيما يقول: إن أذاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الإثم.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {إِن تُبْدُواْ شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنّ اللّهَ كَانَ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيماً }.

يقول تعالى ذكره: إن تظهروا بألسنتكم شيئا أيها الناس من مراقبة النساء, أو غير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقول: لأتزوجنّ زوجته بعد وفاته, أو تخفوه يقول: أو تخفوا ذلك في أنفسكم, فإن الله كان بكل شيء عليما, يقول: فإن الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم, عليم لا يخفى عليه شيء, وهو يجازيكم على جميع ذلك.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {لاّ جُنَاحَ عَلَيْهِنّ فِيَ آبَآئِهِنّ وَلاَ أَبْنَآئِهِنّ وَلاَ إِخْوَانِهِنّ وَلاَ أَبْنَآءِ إِخْوَانِهِنّ وَلاَ أَبْنَآءِ أَخَوَاتِهِنّ وَلاَ نِسَآئِهِنّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتّقِينَ اللّهَ إِنّ اللّهَ كَانَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ شَهِيداً }.

يقول تعالى ذكره: لا حرج على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في آبائهنّ ولا إثم.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وضع عنهنّ الجناح في هؤلاء, فقال بعضهم: وضع عنهنّ الجناح في وضع جلابيبهنّ عندهم. ذكر من قال ذلك:

21833ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن ابن أبي ليلى, عن عبد الكريم, عن مجاهد, في قوله: لا جُناحَ عَلَيْهِنّ فِي آبائهنّ... الآية كلها, قال: أن تضع الجلباب.

21834ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: لا جُناحَ عَلَيْهِنّ في آبائهن ومن ذكر معه أن يروهنّ.

وقال آخرون: وضع عنهنّ الجناح فيهنّ في ترك الاحتجاب.

21835ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد عن قتادة, في قوله لا جُناحَ عَلَيْهِنّ... إلى شَهِيدا: فرخص لهؤلاء أن لا يحتجبن منهم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك وضع الجناح عنهنّ في هؤلاء المسلمين أن لا يحتجبن منهم, وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب, وبعد قول الله: وَإِذَا سألْتُمُوهُنّ مَتاعا فاسألُوهُنّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ فلا يكون قوله: لا جُناحَ عَلَيْهِنّ فِي آبائهنّ استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهنّ المتاع من وراء الحجاب إذا سألوهنّ ذلك أولى وأشبه من أن يكون خبر مبتدإ عن غير ذلك المعنى.

فتأويل الكلام إذن: لا إثم على نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم, وأمّهات المؤمنين في إذنهنّ لآبائهنّ, وترك الحجاب منهنّ, ولا لأبنائهنّ ولا لإخوانهنّ, ولا لأبناء إخوانهنّ. وعُني بإخوانهنّ وأبناء إخوانهنّ إخوتهنّ وأبناء إخوتهنّ. وخرج معهم جمع ذلك مخرج جمع فتى إذا جمع فتيان, فكذلك جمع أخ إذا جمع إخوان. وأما إذا جمع إخوة, فذلك نظير جمع فتى إذا جمع فتية, ولا أبناء إخوانهنّ, ولم يذكر في ذلك العمّ على ما قال الشعبي حذرا من أن يصفهنّ لأبنائه.

21836ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا حجاج بن المنهال, قال: حدثنا حماد, عن داود, عن الشعبي وعكرمة في قوله: لا جُناحَ عَلَيْهِنّ فِي آبائهِنّ وَلا أبْنائهِنّ وَلا إخْوَانِهِنّ وَلا أبْناءِ إخْوَانِهِنّ وَلا أبْناءِ أخَوَاتِهِنّ وَلا نِسائهِنّ وَلا مَا مَلَكَتْ أيمَانُهُنّ قلت: ما شأن العم والخال لم يذكرا؟ قال: لأنهما ينعتانها لأبنائهما, وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها.

حدثنا ابن المثنى,, قال: حدثنا أبو الوليد, قال: حدثنا حماد, عن داود, عن عكرمة والشعبيّ نحوه, غير أنه لم يذكر ينعتانها.

وقوله: وَلا نسائهِنّ يقول: ولا جناح عليهنّ أيضا في أن لا يحتجبن من نساء المؤمنين, كما:

21837ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا نِسائهِنّ. قال: نساء المؤمنات الحرائر ليس عليهنّ جناح أن يرين تلك الزينة, قال: وإنما هذا كله في الزينة, قال: ولا يجوز للمرأة أن تنظر إلى شيء من عورة المرأة, قال: ولو نظر الرجل إلى فخذ الرجل لم أر به بأسا, قال: وَلا ما مَلَكَتْ أيمَانُهُنّ فليس ينبغي لها أن تكشف قرطها للرجل, قال: وأما الكحل والخاتم والخضاب, فلا بأس به, قال: والزوج له فضل, والاَباء من وراء الرجل لهم فضل. قال: والاَخرون يتفاضلون, قال: وهذا كله يجمعه ما ظهر من الزينة, قال: وكان أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يحتجبن من المماليك.

وقوله: وَلا ما مَلَكَتْ أيمَانُهُنّ من الرجال والنساء. وقال آخرون: من النساء. وقوله: وَاتّقِينَ اللّهِ يقول: وخَفن الله أيها النساء أن تتعدّين ما حدّ الله لكن, فتبدين من زينتكنّ ما ليس لكنّ أن تبدينه, أو تتركن الحجاب الذي أمركنّ الله بلزومه, إلا فيما أباح لكن تركه, والزمْنَ طاعته إنّ اللّهَ عَلى كُلّ شَيْءٍ شَهيدا يقول تعالى ذكره: إن الله شاهد على ما تفعلنه من احتجابكنّ, وترككنّ الحجاب لمن أبحت لكن ترك ذلك له, وغير ذلك من أموركنّ يقول: فاتقين الله في أنفسكنّ لا تلقين الله, وهو شاهد عليكم بمعصيته, وخلاف أمره ونهيه, فتهلكن, فإنه شاهد على كلّ شيء.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: {إنّ اللّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النّبِيّ يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ صَلّواْ عَلَيْهِ وَسَلّمُواْ تَسْلِيماً }.

يقول تعالى ذكره: إن الله وملائكته يبرّكون على النبيّ محمد صلى الله عليه وسلم, كما:

21838ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّ اللّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلّونَ على النّبِيّ يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ يقول: يباركون على النبيّ.

وقد يحتمل أن يقال: إن معنى ذلك: أن الله يرحم النبيّ, وتدعو له ملائكته ويستغفرون, وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء. وقد بيّنا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده, فأغنى ذلك عن إعادته.

يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبيّ الله محمد صلى الله عليه وسلم وَسَلّمُوا عَلَيْهِ تَسْلِيما يقول: وحيوه تحية الإسلام. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

21839ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا هارون, عن عنبسة, عن عثمان بن موهب, عن موسى بن طلحة, عن أبيه, قال: أتى رجل النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: سمعت الله يقول: إنّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلى النّبِيّ... الآية, فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قُلِ: اللّهُمّ صَلّ على مُحَمّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمّدٍ, كمَا صَلّيْتَ عَلى إبْراَهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ, وَبارِكْ عَلى مُحَمّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمّدٍ, كمَا بارَكْتَ عَلى إبْراهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

21840ـ حدثني جعفر بن محمد الكوفي, قال: حدثنا يعلى بن الأجلح, عن الحكم بن عُتيبة, عن عبد الرحمن بن أبي لَيلى, عن كعب بن عُجرة, قال: لما نزلت: إنّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلى النّبِيّ يا أيها الّذِينَ آمَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَسَلّمُوا تَسْلِيما قمت إليه, فقلت: السلام عليك قد عرفناه, فكيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ قال: «قُلِ اللّهُمّ صَلّ على مُحَمّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمّدٍ, كمَا صَلّيْتَ عَلى إبْراهِيمَ وآلِ إبْراهِيمَ, إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ, وَبارِكْ عَلى مُحَمّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمّدٍ, كمَا بارَكْتَ عَلى إبْراهِيمَ وآلِ إبْراهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

21841ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا مالك بن إسماعيل, قال: حدثنا أبو إسرائيل, عن يونس بن خباب, قال: خطبنا بفارس فقال: إنّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ... الآية, فقال: أنبأني من سمع ابن عباس يقول: هكذا أنزل, فقلنا: أو قالوا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك, فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «اللّهُمّ صَلّ عَلى مُحَمّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمّدٍ, كمَا صَلّيْتَ عَلى إبْرَاهِيمَ وآلِ إبْراهِيمَ, إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ, وَبارِكْ عَلى مُحَمّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمّدٍ, كمَا بارَكْتَ عَلى إبْراهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

21842ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن زياد, عن إبراهيم في قوله إنّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ... الآية, قالوا: يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه, فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا: «اللّهُمّ صَلّ عَلى مَحَمّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وأهْلِ بَيْتِهِ كمَا صَلّيْتَ عَلى إبْراهِيمَ إنّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

21843ـ حدثني يعقوب الدورقي, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا أيوب, عن محمد بن سيرين, عن عبد الرحمن بن بشر بن مسعود الأنصاري, قال: لما نزلت: إنّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلى النّبِيّ يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَسَلّمُوا تَسْلِيما قالوا: يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه, فكيف الصلاة, وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «قولوا: اللّهُمّ صَلّ عَلى مُحَمّدٍ كمَا صَلّيْتَ عَلى آلِ إبْراهِيمَ, اللّهُمّ بارِكْ عَلى مُحَمّدٍ كمَا بارَكْتَ على آلِ إبْراهِيمَ».

21844ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلى النّبِيّ يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَسَلّمُوا تَسْلِيما قال: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله قد علمنا السلام عليك, فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا: اللّهُمّ صَلّ على مُحَمّدٍ, كمَا صَلّيْتَ عَلى إبْرَاهِيمَ, وَبارِكْ عَلى مُحَمّدٍ كمَا بارَكْتَ عَلى إبْرَاهِيمَ» وقال الحسن: «اللهمّ اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد, كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد».

الآية : 57 -58

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ يُؤْذُونَ اللّـهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّـهُ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدّ لَهُمْ عَذَاباً مّهِيناً * وَالّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مّبِيناً }.

يعني بقوله تعالى ذكره: إنّ الّذِينَ يُؤْذُونَ اللّـهَ إنَّ الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم إياه, وركوبهم ما حرّم عليهم. وقد قيل: إنه عنى بذلك أصحاب التصاوير, وذلك أنهم يرومون تكوين خلق مثل خلق الله. ذكر من قال ذلك:

21845ـ حدثني محمد بن سعد القرشي, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن سلمة بن الحجاج, عن عكرِمة, قال: الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير.

21846ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: إنّ الّذِينَ يُؤْذُونَ اللّـهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّـهُ فِي الدّنْيا والآخِرَةِ وأعَدّ لَهُمْ عَذَابا مُهِينا قال: يا سبحان الله ما زال أناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا أذى ربهم وأما أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو طعنهم عليه في نكاحه صفية بنت حيّ فيما ذكر.

21847ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: إنّ الّذِينَ يُؤْذُونَ اللّـهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّـهُ فِي الدّنْيا والآخِرَةِ وأعَدّ لَهُمْ عَذَابا مُهِينا قال: نزلت في الذين طعنوا على النبيّ صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حيّ بن أخطب.

وقوله: وَلَعَنَهُمُ اللّـهُ في الدّنْيا والآخِرَةِ يقول تعالى ذكره: أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم في الآخرة عذابا يهينهم فيه بالخلود فيه.

وقوله: وَالّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ كان مجاهد يوجه معنى قوله يُؤْذُونَ إلى يقفون. ذكر الرواية بذلك عنه:

21848ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَالّذِينَ يُؤْذُونَ قال: يقفون.

فمعنى الكلام على ما قال مجاهد: والذين يقفون المؤمنين والمؤمنات, ويعيبونهم طلبا لشينهم بغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا يقول: بغير ما عملوا, كما:

21849ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: بغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا قال عملوا.

21850ـ حدثنا نصر بن عليّ, قال: حدثنا عثام بن عليّ, عن الأعمش, عن مجاهد, قال: قرأ ابن عمر: وَالّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتانا وإثْما مُبِينا قال: فكيف إذا أوذي بالمعروف, فذلك يضاعف له العذاب.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثام بن عليّ, عن الأعمش, عن ثور, عن ابن عمر وَالّذِينَ يُؤْذون المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا قال: كيف بالذي يأتي إليهم المعروف.

21851ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَالّذِينَ يُؤْذونَ الـمُؤْمِنِـينَ وَالـمُؤْمِناتِ بِغَيْـرِ مـا اكْتَسَـبُوا فَقَـدِ احْتَـمَلُوا بُهْتانـا وإثْمـا مُبـِينا فإياكم وأذى الـمؤمن, فإن الله يحوطه, ويغضب له.

وقوله: فَقَدِ احْتَـمَلُوا بُهْتانا وإثْما مُبِـينا يقـول: فقـد احتـملوا زورا وكذبـا وفرية شنـيعة وبهتان: أفحش الكذب وإثْما مُبِـينا يقول: وإثما يبـينُ لسـامعه أنه إثم وزور.

الآية : 59

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {يَأَيّهَـا النّبِـيّ قُـل لأزْوَاجِـكَ وَبَنَاتِـكَ وَنِسَـآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنّ مِن جَلاَبِيبِهِنّ ذَلِـكَ أَدْنَـىَ أَن يُعْرَفْـنَ فَلاَ يُـؤْذَيْنَ وَكَـانَ اللّهُ غَفُوراً رّحِيماً }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: يا أيها النبـيّ قـل لأزواجك وبناتك ونساء الـمؤمنـين, لا يتشبهن بـالإماء فـي لبـاسهنّ إذا هـن خرجن من بـيوتهنّ لـحاجتهنّ, فكشفن شعورهنّ ووجوههنّ, ولكـن لـيدنـين علـيهنّ من جلابـيبهنّ, لئلا يعرض لهنّ فـاسق, إذا علـم أنهنّ حرائر بأذى من قول.

ثم اختلف أهل التأويـل فـي صـفة الإدنـاء الـذي أمرهـنّ اللـه بـه, فقـال بعضهم: هو أن يغطين وجوههنّ ورؤوسهنّ, فلا يبدين منهـنّ إلا عينـا واحـدة. ذكر من قال ذلك:

21852ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنـي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قـوله: يـا أيّهـا النّبِـيّ قُـلْ لأزْوَاجِـكَ وَبَنَاتِـكَ وَنِسـاءِ الـمُؤْمِنِـينَ يُدْنِـينَ عَلَـيْهِنّ مِنْ جَلابِـيبِهِنّ أمر الله نساء الـمؤمنـين إذا خرجـن من بـيوتهنّ فـي حاجة أن يغطين وجوههنّ من فوق رؤوسـهنّ بـالـجلابـيب, ويبدين عينا واحدة.

21853ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن علـية, عن ابن عون, عن مـحمد, عن عُبـيدة فـي قوله: يا أيّها النّبِـيّ قُلْ لأزْوَاجِـكَ وَبَناتِـكَ وَنِسـاءِ الـمُؤْمِنِـينَ يُدْنِـينَ عَلَـيْهِنّ مِنْ جَلابِـيبِهِنّ فلبسـها عنـدنا ابـن عـون, قـال: ولبسـها عنـدنا مـحمد, قال مـحمد: ولبسها عندي عبـيدة قال ابن عـون بردائـه, فتقنّـع بـه, فغطى أنفه وعينه الـيسرى, وأخرج عينـه الـيـمنى, وأدنـى رداءه مـن فـوق حتـى جعله قريبـا من حاجبه أو علـى الـحاجب.

21854ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنا هشام, عن ابن سـيرين, قـال: سـألت عبـيدة, عـن قـوله: قُـلْ لأزْوَاجِـكَ وَبَناتِـكَ وَنِسـاءِ الـمُؤْمِنِـينَ يُدْنِـينَ عَلَـيْهِنّ مِـنْ جَلابِـيبِهِنّ قـال: فقـال بثـوبه, فغطـى رأسـه ووجهه, وأبرز ثوبه عن إحدى عينـيه.

وقال آخرون: بل أمرن أن يشددن جلابـيبهنّ علـى جبـاههنّ. ذكر من قال ذلك:

21855ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عـن ابـن عبـاس, قـوله: يـا أيّهـا النّبِـيّ قُـلْ لأزْوَاجِـكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ الـمُؤْمِنِـينَ يُدْنِـينَ عَلَـيْهِنّ مِنْ جَلابِـيبِهِنّ.... إلـى قـوله: وكـانَ اللّهُ غَفُورا رَحِـيما قال: كانت الـحرّة تلبـس لبـاس الأمـة, فـأمر اللـه نسـاء الـمؤمنـين أن يدنـين علـيهنّ من جلابـيبهنّ وإدناء الـجلبـاب: أن تقنـع وتشـدّ علـى جبـينها.

21856ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أيّها النّبِيّ قُـلْ لأَزْوَاجِـكَ وَبَناتِـكَ وَنِسـاءِ الـمُؤْمِنِـينَ أخـذ اللـه علـيهنّ إذا خرجن أن يقنعن على الحواجب ذلكَ أدْنَى أنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُـؤْذَيْنَ وقـد كـانت الـمـملوكة إذا مـرّت تناولوهـا بـالإيذاء, فنهـى اللـه الـحرائر أن يتشـبهن بـالإماء.

21857ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد, قـوله: يُدْنِـينَ عَلَـيْهِنّ مِـنْ جَلابِـيبِهِنّ يتـجلببن فـيُعلـم أنهنّ حوائر فلا يعرض لهنّ فـاسق بأذى من قول ولا ريبة.

21858ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عمن حدثه, عن أبـي صالـح, قال: قدم النبـيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم الـمدينة علـى غيـر منزل, فكان نساء النبـيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم وغيرهـنّ إذا كـان اللـيـل خرجن يقضين حوائجهنّ, وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل, فـأنزل الله: يا أيّها النّبِـيّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ الـمُؤْمِنِـينَ يُدْنِـينَ عَلَـيْهِنّ مِـنْ جَلابِـيبِهِنّ يقنعن بـالـجلبـاب حتـى تعرف الأمة من الـحرّة.

وقـوله: ذلـكَ أدْنَـى أنْ يُعْرَفْـنَ فَلاَ يُـؤْذَيْنَ يقـول تعالـى ذكـره: إدنـاؤهنّ جلابـيبهنّ إذا أدنـينها علـيهنّ أقـرب وأحـرى أن يعرفـن مـمن مـررن بـه, ويعلـموا أنهنّ لسن بـاماء, فـيتنكّبوا عن أذاهنّ بقول مكروه, أو تعرّض بريبة وكانَ اللّهُ غَفُورا لـما سـلف منه نّ مـن تركهـنّ إدنـاءهنّ الـجلابـيب علـيهنّ رَحِيـما بهنّ أن يعاقبهنّ بعد توبتهنّ بـادناء الـجلابـيب علـيهنّ.

الآية : 60 -61

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لّئِن لّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالّذِينَ فِـي قُلُـوبِهِمْ مّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنّكَ بِهِمْ ثُمّ لاَ يُجَاوِرُونَـكَ فِيهَـآ إِلاّ قَلِيلاً * مّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوَاْ أُخِذُواْ وَقُتّلُواْ تَقْتِيلاً }.

يقول تعالـى ذكره: لئن لـم ينته أهل النفـاق, الـذين يستسـرّون الكفـر, ويظهرون الإيـمان وَالّذِينَ فِـي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يعنـي: ريبـة مـن شـهوة الزنـا وحبّ الفجور. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهـل التأويـل. ذكـر مـن قـال ذلك:

21859ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو بن علـيّ, قال: حدثنا أبـو عبـد الصـمد, قال: حدثنا مالك بن دينار, عن عكرِمة, فـي قوله: لَئِنْ لَـمْ يَنْتـهِ الـمُنافِقُونَ وَالّذِينَ فِـي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ قال: هم الزناة.

21860ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَالّذِينَ فِـي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ قال: شهوة الزنا.

قال: ثنا عبد الرحمن بن مهـدي, قـال: حـدثنا أبـو صالـح التـمار, قـال: سمعت عكرِمة فـي قوله: فِـي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ قال: شهوة الزنا.

21861ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة عمن حدثه, عـن أبـي صالـح وَالّذِينَ فِـي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ قال: الزناة.

21862ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: لَئِنْ لَـمْ يَنْتَهِ الـمُنافِقُونَ وَالّـذِينَ فِـي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ.... الآيـة, قـال: هؤلاء صنف من الـمنافقـين وَالّذِينَ فِـي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أصـحاب الزنـا, قـال: أهل الزنا من أهل النفـاق الذين يطلبـون النسـاء فـيبتغون الزنـا. وقـرأ: فَلا تَـخْضَعْنَ بـالقَوْلِ فَـيَطْمَعَ الّذِي فِـي قَلْبِهِ مَـرَضٌ قـال: والـمنافقون أصـناف

عشرة في براءة, قال: فالذين في قلوبهم مرض صنف منهم مرض من أمر النساء.

وقوله: وَالـمُرْجِفُونَ فِي الـمَدِينَةِ يقول: وأهل الإرجاف في المدينة بالكذب والباطل.

وكان إرجافهم فيما ذُكر كالذي:

21863ـ حدثني بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الـمُنافِقُونَ وَالّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالـمُرْجِفُونَ فِي الـمَدِينَةِ.... الآية, الإرجاف: الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق, وكانوا يقولون: أتاكم عدد وعدّة. وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق, فأوعدهم الله بهذه الآية, قوله: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الـمُنافِقُونَ وَالّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ.... الآية فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسرّوه.

21864ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَالـمُرْجِفُونَ فِي الـمَدِينَةِ هم أهل النفاق أيضا الذين يرجفون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين.

وقوله: لَنُغْرِيَنّكَ بِهِمْ يقول: لنسلطنك عليهم ولنحرّشنك بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21865ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لَنُغْرِيَنّكَ بِهِمْ يقول: لنسلطنك عليهم.

21866ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَنُغْرِيَنّكَ بِهِمْ: أي لنحملنك عليهم لنحرشنك بهم.

قوله: ثُمّ لا يُجاوِرونكَ فِيها إلاّ قَلِيلاً يقول: ثم لننفينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها إلا قليلاً من المدة والأجل, حتى تنفيهم عنها, فنخرجهم منها, كما:

21867ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ثُمّ لا يُجاوِرونَكَ فِيها إلاّ قَلِيلاً أي بالمدينة.

وقوله: مَلْعُونِينَ أيْنَما ثُقِفُوا أخذوا وَقُتّلُوا تَقْتِيلاً يقول تعالى ذكره: مطرودين منفيين أينما ثقفوا يقول: حيثما لقوا من الأرض أخذوا وقتلوا لكفرهم بالله تقتيلاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21868ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة مَلْعُونِينَ على كلّ حال أيْنَما ثُقِفُوا أخذوا وَقُتّلُوا تَقْتِيلاً إذا هم أظهروا النفاق.

ونصب قوله: مَلْعُونِينَ على الشتم, وقد يجوز أن يكون القليل من صفة الملعونين, فيكون قوله ملعونين مردودا على القليل, فيكون معناه: ثم لا يجاورونك فيها إلا أقلاء ملعونين يقتلون حيث أصيبوا.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {سُنّةَ اللّهِ فِي الّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً }.

يقول تعالى ذكره: سُنّةَ اللّهِ فِي الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ هؤلاء المنافقين الذين في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ضُرَباء هؤلاء

الـمنافقـين, إذا هم أظهروا نفـاقهم أن يُقَتّلَهُمْ تَقْتـيلاً, ويــلعنهم لعنـا كثــيرا. وبنـحو الذي قولنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
21869ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: سُنّةَ اللّهِ فِـي الّذِينَ خَـلَوْا مِنْ قَبْلُ... الآية, يقول: هكذا سـنة اللـه فــيهم إذا أظهروا النفـاق.
وقوله: وَلَنْ تَـجِدَ لِسُنّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً يقول تعالـى ذكره لنبــيه مــحمد صـلى الله عليه وسلم: ولـن تــجد يـا مــحمد لسـنة اللـه التــي سـنها فــي خــلقه تغيـيرا, فأيقن أنه غير مغير فـي هؤلاء الـمنافقـين سنته.

الآية : 63

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَسْأَلُكَ النّاسُ عَنِ السّاعَةِ قُـلْ إِنّمَـا عِلْمُهَـا عِندَ اللّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلّ السّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً }.
يقول تعالـى ذكره: يَسْأَلُكَ النّاسُ يا مـحمد عَنِ السّاعَةِ متـى هي قائمة؟ قلْ لهم: إنـما عِلـم الساعة عنْدَ اللّهِ لا يعلـم وقتَ قـيامها غيـره وَمـا يُـدْرِيكَ لَعَلّ السّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبـا يقول: وما أشـعرك يـا مــحمد لعـلّ قــيام السـاعة يكون منك قريبـا, قد قرب وقت قـيامها, ودنا حين مـجيئها.

الآية : 64 -65

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {إِنّ اللّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَـدّ لَهُـمْ سَـعِيراً * خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً لاّ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً }.
يقول تعالـى ذكره: إن الله أبعد الكافرين به من كل خير, وأقصاهم عنـه وأعَدّ لَهُمْ سَعِيرا يقول: وأعدّ لَهم فـي الاَخرة نارا تتقد وتتسعر لـيصلـيهموها خالِدِينَ فِـيها أبَدا يقول: ماكثـين فـي السعير أبدا, إلـى غيـر نهايـة لا يَجِـدُونَ وَلِـيّا يتـولاهم, فــيستنقذهم مـن السـعير التــي أصـلاهموها اللـه وَلا نَصِـيرا ينصرهم, فـينـجيهم من عقاب الله إياهم.

الآية : 66

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَوْمَ تُقَلّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النّارِ يَقُولُـونَ يَلَيْتَنَـآ أَطَعْنَا اللّهَ وَأَطَعْنَا الرّسُولاَ }.
يقول تعالـى ذكره: لا يجد هؤلاء الكافرون ولـيا ولا نصيرا فـي يوم تقلب وجوههم فـي النار حالاً بعد حال يَقُولُـونَ وتلـك حـالهم فــي النـار: يَـا لَـيْتَنَا أَطَعْنَا اللّهَ فـي الدنـيا وأطعنا رسوله, فـيـما جاءنا به عنـه مـن أمـره ونهيـه, فكنا مع أهل الـجنة فـي الـجنة, يا لها حسرة وندامةً, ما أعظمها وأجلها.

الآية : 67 -68

القول فــي تأويــل قـولـه تعالــى: {وَقَـالُواْ رَبّنَـآ إِنّـآ أَطَعْنَـا سَـادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَـا فَأَضَلّونَا السّبِيلاْ * رَبّنَآ آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً }.
يقول تعالـى ذكره: وقال الكافرون يوم القيامة فـي جهنـم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا فـي الضلالة وكبراءنا فـي الشرك فَأضَـلّونا السّبِيــلَ يقـول: فأزالونـا عن مــحجة الــحقّ, وطريـق الهـدى, والإيــمان بـك, والإقـرار بوحدانــيتك, وإخلاص طاعتك فـي الدنـيا رَبّنا آتِهِمْ ضِعْفَـيْنِ مِنَ العَذَابِ يقول: عذّبهم مـن العذاب مِثْلَـى عذابنا الذي تعذّبنا وَالْعَنْهُـمْ لَعْنَـا كَبــيرا يقـول: واخزهـم خزيـا كبـيرا. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21870ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: رَبّنا إنّا أطَعْنا سادَتَنا وكُبَراءَنَا أي رؤوسنا في الشرّ والشرك.
21871ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّا أطَعْنا سادَتَنا وكُبَرَاءَنا قال: هم رؤوس الأمم الذين أضلوهم, قال: سادتنا وكبراءنا واحد.
وقرأت عامة قرّاء الأمصار: سادَتَنا. ورُوي عن الحسن البصري: «سادَاتِنا» على الجماع, والتوحيد في ذلك هي القراءة عندنا, لإجماع الحجة من القرّاء عليه.
واختلفوا في قراءة قوله: لَعْنا كَبِيرا فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار بالثاء: «كَثِيرا» من الكثرة, سوى عاصم, فإنه قرأه لَعْنا كَبِيرا من الكبر. والقراءة في ذلك عندنا بالثاء لإجماع الحجة من القراء عليها.

الآية : 69

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالّذِينَ آذَوْاْ مُوسَىَ فَبرّأَهُ اللّهُ مِمّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ اللّهِ وَجِيهاً }.
يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم, ولا بفعل لا يحبه منكم, ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبيّ الله, فرموه بعيب كذبا وباطلاً فَبرّأهُ اللّهُ مِمّا قالُوا فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم وكانَ عِنْدَ اللّهِ وَجِيها يقول: وكان موسى عند الله مشفعا فيما يسأل, ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه.
ثم اختلف أهل التأويل في الأذى الذي أوذي به موسى الذي ذكره الله في هذا الموضع, فقال بعضهم: رموه بأنه آدَر. ورَوَي بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا. ذكر الرواية التي رويت عنه, ومن قال ذلك:
21872ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن المنهال, عن سعيد بن جبير, وعبد الله بن الحارث, عن ابن عباس, في قوله: لاَ تَكُونُوا كالّذِينَ آذَوْا مُوسَى قال: قال له قومه: إنك آدر, قال: فخرج ذات يوم يغتسل, فوضع ثيابه على صخرة, فخرجت الصخرة تشتدّ بثيابه, وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به إلى مجالس بني إسرائيل, قال: فرأوه ليس بآدر, قال: فذلك قوله: فَبرّأهُ اللّهُ مِمّا قالُوا.
21873ـ حدثني يحيى بن داود الواسطي, قال: حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق, عن سفيان, عن جابر, عن عكرمة, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَكُونُوا كالّذِينَ آذَوْا مُوسَى قال: قالُوا: هُوَ آدَرُ, قال: فذهب موسى يغتسل, فوضع ثيابه على حجر, فمرّ الحجر بثيابه, فتبع موسى قفاه, فقال: ثيابي حجر, فمرّ بمجلس بني إسرائيل, فرأوه, فبرأه الله مما قالوا» وكانَ عِنْدَ اللّهِ وَجِيها.
21874ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كالّذِينَ آذَوْا مُوسَى... إلى وَجِيها قال: كان أذاهم موسى أنهم قالوا: والله ما يمنع موسى أن يضع ثيابه عندنا إلا أنه آدر, فآذى ذلك موسى فبينما هو ذات يوم يغتسل وثوبه على صخرة فلما قضى موسى غسله وذهب إلى ثوبه ليأخذه, انطلقت الصخرة تسعى بثوبه, وانطلق يسعى في أثرها حتى مرّت على مجلس بني إسرائيل وهو يطلبها فلما رأوا موسى صلى الله

عليه وسلم متجرّدا لا ثوب عليه قالوا: والله ما نرى بموسى بأسا, وإنه لبريء مما كنا نقول له, فقال الله: فَبرّأهُ اللّهُ مِمّا قالُوا وكانَ عِنْدَ اللّهِ وَجِيها.

21875ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كالّذِينَ آذَوْا مُوسَى... الآية, قال: كان موسى رجلاً شديد المحافظة على فرجه وثيابه, قال: فكانوا يقولون: ما يحمله على ذلك إلا عيب في فرجه يكره أن يُرَى فقام يوما يغتسل في الصحراء, فوضع ثيابه على صخرة, فاشتدّت بثيابه, قال: وجاء يطلبها عريانا, حتى اطلع عليهم عريانا, فرأوه بريئا مما قالوا, وكان عند الله وجيها. قال: والوجيه في كلام العرب: المحبّ المقبول.

وقال آخرون: بل وصفوه بأنه أبرص. ذكر من قال ذلك:

21876ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: قال بنو إسرائيل: إن موسى آدر وقالت طائفة: هو أبرص من شدّة تستّره, وكان يأتي كلّ يوم عينا, فيغتسل ويضع ثيابه على صخرة عندها, فعدت الصخرة بثيابه حتى انتهت إلى مجلس بني إسرائيل, وجاء موسى يطلبها فلما رأوه عريانا ليس به شيء مما قالوا, لبس ثيابه ثم أقبل على الصخرة يضربها بعصاه, فأثرت العصا في الصخرة.

حدثنا بحر بن حبيب بن عربي, قال: حدثنا روح بن عبادة, قال: حدثنا عوف, عن محمد, عن أبي هريرة في هذه الآية لاَ تَكُونُوا كالّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبرّأهُ اللّهُ مِمّا قالُوا... الآية, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ مُوسَى كانَ رَجُلاً حَيِيّا سِتّيرا, لا يَكادُ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْياءً مِنْهُ, فآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَني إسْرَائِيلَ, وَقالُوا: ما تَسَتَّرَ هَذَا التّسَتّرَ إلاّ مِنْ عَيْبٍ فِي جِلْدِهِ, إمّا برصٌ, وإمّا أُدْرَةٌ, وإمّا آفَةٌ, وَإنّ اللّهَ أرَادَ أنْ يُبَرّئَهُ مِمّا قالُوا, وَإنّ مُوسَى خَلا يَوْما وَحْدَهُ, فَوَضَعَ ثِيابَهُ عَلى حَجَرٍ, ثُمّ اغْتَسَلَ فَلَمّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ أقْبَلَ عَلى ثَوْبِهِ لِيأخُذَهُ, وَإنّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ, فأخَذَ مُوسَى عَصا وَطَلَبَ الحَجَرَ, وَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ, حتى انْتَهَى إلى مَلإٍ مِنْ بَني إسْرائِيلَ, فَرأوْهُ عُرْيانا كأحْسَنِ النّاسِ خَلْقا, وَبَرّأهُ اللّهُ مِمّا قالُوا, وَإنّ الحَجَرَ قامَ, فأخَذَ ثَوْبَهُ وَلَبِسَهُ, فَطَفِقَ بالحَجَرِ ضَرْبا بذلكَ, فوَاللّهِ إنّ فِي الحَجَرِ لَنَدْبا مِنْ أثَرِ ضَوْبِهِ ثَلاثا أوْ أرْبَعا أوْ خَمْسا».

21877ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن عوف, عن الحسن, قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كانَ مُوسَى رَجُلاً حَيِيّا سِتيرا» ثم ذكر نحوا منه.

21878ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: حدّث الحسن, عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ بَنِي إسْرَائِيلَ كانُوا يَغْتَسِلُونَ وَهُمْ عُرَاةٌ, وكانَ نَبِيّ اللّهُ مُوسَى حَيِيّا, فكانَ يَتَسَتّرُ إذَا اغْتَسَلَ, فَطَعَنُوا فِيهِ بعَوْرَةٍ, قال: فَبَيْنا نَبِيّ اللّهِ يَغْتَسِلُ يَوْما, إذْ وَضَعَ ثِيابَهُ على صَخْرَةٍ, فانْطَلَقَتِ الصّخْرَةُ وَاتّبَعَها نَبِيّ اللّهِ ضَرْبا بِعَصَاهُ: ثَوْبِي يا حَجَرُ, ثَوْبِي يا حَجَرُ, حتى انْتَهَتْ إلى ملإٍ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ, أوْ تَوَسّطهُمْ, فَقامَتْ, فأخَذَ نَبِيّ اللّهُ ثِيابَهُ, فَنَظَرُوا إلَى أحْسَنِ النّاسِ خَلْقا, وأعْدَلِهِ مُرُوءَةً, فقالَ المَلأ: قاتَلَ اللّهُ أفّاكي بَنِي إسْرائِيلَ, فَكانَتْ بَراءَتَهُ التي بَرّأهُ اللّهُ مِنْها».

وقال آخرون: بل كان أذاهم إياه ادّعاءهم عليه قتل هارون أخيه. ذكر من قال ذلك:

21879ـ حدثني عليّ بن مسلم الطوسي, قال: حدثنا عباد, قال: حدثنا سفيان بن حبيب, عن الحكم, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس, عن عليّ بن أبي طالب, رضي الله عنه, في قول الله: لاَ تَكُونُوا كالّذِينَ آذَوْا مُوسَى... الآية, قال: صعد موسى وهارون الجبل, فمات هارون, فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته, وكان أشدّ حبا لنا منك, وألين لنا منك, فآذوه بذلك, فأمر الله الملائكة فحملته حتى مرّوا به على بني إسرائيل, وتكلّمت الملائكة بموته, حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات, فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه, فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم, فجعله الله أصمّ أبكم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبيّ الله ببعض ما كان يكره أن يؤذي به, فبرأه الله مما آذوه به. وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم إنه أبرص, وجائز أن يكون كان ادّعاءهم عليه قتل أخيه هارون. وجائز أن يكون كلّ ذلك, لأنه قد ذكر كلّ ذلك أنهم قد آذوه به, ولا قول في ذلك أولى بالحقّ مما قال الله إنهم آذوا موسى, فبرأه الله مما قالوا.

الآية : 70 -71

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله, اتقوا الله أن تعصوه, فتستحقوا بذلك عقوبته.

وقوله: وَقولوا قَوْلاً سَدِيدا يقول: قولوا في رسول الله والمؤمنين قولاً قاصدا غير جائز, حقا غير باطل, كما:

21880ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدا يقول: سدادا.

21881ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا عنبسة, عن الكلبي وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدا قال: صدقا.

21882ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: اتّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدا أي عدلاً, قال قتادة: يعني به في منطقه وفي عمله كله, والسديد: الصدق.

21883ـ حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا حفص بن عمر, عن الحكم بن أبان, عن عكرمة في قول الله: وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدا قولوا: لا إله إلا الله.

وقوله: يُصْلِحْ لَكُمْ أعمالَكُمْ يقول تعالى ذكره للمؤمنين: اتقوا الله وقولوا السداد من القول يوفقكم لصالح الأعمال, فيصلح أعمالكم وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ يقول: ويعف لكم عن ذنوبكم, فلا يعاقبكم عليها وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فيعمل بما أمره به, وينتهي عما نهاه, ويقل السديد فَقَدْ فازَ فَوْزا عَظِيما يقول: فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله.

الآية : 72

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً }.

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معناه: إن الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت, وإن ضيعت عوقبت, فأبت حملها شفقا منها أن لا تقوم بالواجب عليها, وحملها آدم إنّهُ كانَ ظَلُوما لنفسه جَهُولاً بالذي فيه الحظّ له. ذكر من قال ذلك:

21884ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا هشيم, عن أبي بشر, عن سعيد بن جُبَير, في قوله: إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها قال: الأمانة: الفرائض التي افترضها الله على العباد.

21885ـ قال: ثنا هشيم, عن العوّام, عن الضحاك بن مزاحم, عن ابن عباس, في قوله: إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها قال: الأمانة: الفرائض التي افترضها الله على عباده.

21886ـ قال: ثنا هشيم, قال: أخبرنا العوّام بن حوشب وجويبر, كلاهما عن الضحاك, عن ابن عباس, في قوله إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ... إلى قوله جَهُولاً قال: الأمانة: الفرائض. قال جويبر في حديثه: فلما عرضت على آدم, قال: أي ربّ وما الأمانة؟ قال: قيل: إن أدّيتها جزيت, وإن ضيعتها عوقبت, قال: أي ربّ حملتها بما فيها, قال: فما مكث في الجنة إلا قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية, فأخرج منها.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي بشر, عن سعيد, عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ قال: عرضت على آدم, فقال: خذها بما فيها, فإن أطعت غفرت لك, وإن عصيت عذّبتك, قال: قد قبلت, فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة.

حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ إن أدّوها أثابهم, وإن ضيّعوها عذّبهم, فكرهوا ذلك, وأشفقوا من غير معصية, ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها, ثم عرضها على آدم, فقبلها بما فيها, وهو قوله: وَحَمَلَها الإنْسانُ إنّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً غرّا بأمر الله.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ: الطاعة عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم, فلم تطقها, فقال لآدم: يا آدم إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال, فلم تطقها, فهل أنت آخذها بما فيها؟ فقال: يا ربّ: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جُزِيت, وإن أسأت عُوقبت, فأخذها آدم فتحملها, فذلك قوله: وَحَمَلَها الإنْسانُ إنّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً.

21887ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري, قال: حدثنا سفيان, عن رجل, عن الضحاك بن مزاحم, في قوله: إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الإنْسانُ إنّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً قال آدم: قيل له: خذها بحقها, قال: وما

حقها؟ قيل: إن أحسنت جُزيت, وإن أسأت عُوقبت, فما لبث ما بين الظهر والعصر حتى أخرج منها.
21888ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ فلم يطقن حمَلها, فهل أنت يا آدم آخذها بما فيها قال آدم: وما فيها يا ربّ؟ قال: إن أحسنت جُزِيت, وإن أسأت عوقبت, فقال: تحمّلتُها, فقال الله تبارك وتعالى: قد حملتكها فما مكث آدم إلا مقدار ما بين الأولى إلى العصر حتى أخرجه إبليس لعنه الله من الجنة والأمانة: الطاعة.
21889ـ حدثني سعيد بن عمرو السكوني, قال: حدثنا بقية, قال: ثني عيسى بن إبراهيم, عن موسى بن أبي حبيب, عن الحكم بن عمرو, وكان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ الأمانَةَ والوَفاءَ نَزَلا على ابْنِ آدَمَ مَعَ الأنْبِياءِ, فأرْسِلُوا بِهِ, فَمِنْهُمْ رَسُولُ اللّهِ, ومِنْهُمْ نَبِيّ, وَمِنْهُمْ نَبِيَّ رَسُولٌ. نزل القرآن وهو كلام الله, ونزلت العربية والعجمية, فعلموا أمر القرآن, وعلموا أمر السنن بألسنتهم, ولم يدع الله شيئا من أمره مما يأتون ومما يجتنبون, وهي الحجج عليهم, إلا بَيّنَهُ لهم, فليس أهل لسان إلا وهم يعرفون الحسن من القبيح. ثم الأمانة أوّل شيء يُرْفع, ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس, ثم يُرْفع الوفاء والعهد والذمم, وتبقى الكتب, فعالم يعمل, وجاهل يعرفها وينكرها حتى وصل إليّ وإلى أمتي, فلا يَهْلِك على الله إلا هالك, ولا يُغْفِله إلا تارك, والحذرَ أيها الناس, وإياكم والوسواس الخناس, وإنما يبلوكم أيكم أحسن عملا».
21890ـ حدثني محمد بن خلف العَسْقلاني, قال: حدثنا عبيد بن عبد المجيد الحنفيّ, قال: حدثنا العوّام العطار, قال: حدثنا قتادة, وأبان بن أبي عياش, عن خَلِيد العَصْري, عن أبي الدرداء, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَمْسٌ مَنْ جاءَ بِهِنّ يَوْمَ القِيامَةِ مَعَ إيمانٍ دَخَلَ الجَنّةَ: مَن حافَظَ على الصّلَوَاتِ الخَمْسِ, على وُضُوئِهِنّ وَرُكُوعِهِنّ وَسُجُودِهِنّ وَمَوَاقِيتِهِنّ, وأعْطَى الزّكاةَ مِنْ مالِهِ طَيّبَ النّفْسِ بِها» وكانَ يَقُولُ: «وَايْمُ اللّهِ لا يَفْعَلُ ذلكَ إلاّ مُؤْمِنٌ, وَصَامَ رَمَضَانَ, وَحَجّ البَيْتَ إنِ اسْتَطاعَ إلى ذِلك سَبِيلاً, وأدّى الأمانَةَ» قالوا: يا أبا الدرداء: وما الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة, فإن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره.
21891ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق, عن أبيّ بن كعب, قال: من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها.
21892ـ حدثني يونس, قال: حدثنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ فَأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها قال: إن الله عرض عليهنّ الأمانة أن يفترض عليهنّ الدين, ويجعل لهنّ ثوابا وعقابا, ويستأمنهنّ على الدين, فقلن: لا, نحن مسخرات لأمرك, لا نريد ثوابا ولا عقابا, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَعَرَضَها اللّهُ على آدَمَ, فقالَ: بين أُذُني وَعاتِقي» قال ابن زيد, فقال الله له: أما إذ تحملت هذا فسأعينك, أجعل لبصرك حجابا, فإذا

خشيت أن تنظر إلى ما لا يحلّ لك, فأرْخ عليه حجابه, وأجعل للسانك بابا وغلقا, فإذا خشيت فأغلق, وأجعل لفرجك لباسا, فلا تكشفه إلا على ما أحللت لك.

21893ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ يعني به: الدين والفرائض والحدود فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها قيل لهنّ: احملنها تؤَدّين حقها, فقلن: لا نطيق ذلك وَحَمَلَها الإنْسانُ إنّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً قيل له: أتحملها؟ قال: نعم, قيل: أتؤدّي حقها؟ قال: نعم, قال الله: إنه كان ظلوما جهولاً عن حقها.

وقال آخرون: بل عنى بالأمانة في هذا الموضع: أمانات الناس. ذكر من قال ذلك:

21894ـ حدثنا تميم بن المنتصر, قال: حدثنا إسحاق, عن شريك, عن الأعمش, عن عبد الله بن السائب, عن زاذان, عن عبد الله بن مسعود, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «القَتْلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُكَفّرُ الذّنُوبَ كُلّها أو قال: يُكَفّرُ كُلّ شَيْءٍ إلاّ الأمانَةَ يُؤْتَى بصَاحِبِ الأمانَةِ, فَيُقالُ لَهُ: أدّ أمانَتَكَ, فَيَقُولُ: أي ربّ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدّنْيا, ثَلاثا فَيُقالُ: اذْهَبُوا بِهِ إلى الهَاوِيَةِ فَيُذْهَبُ بِهِ إلَيْها, فَيَهْوِي فِيها حتى يَنْتَهِي إلى قَعْرِها, فَيَجِدُها هُناكَ كَهَيْئَتِها, فَيَحْمِلُها, فَيَضَعَها على عاتِقِهِ, فَيَصْعَدُ بِها إلى شَفِيرِ جَهَنّمَ, حتى إذَا رأى أنّهُ قَدْ خَرَجَ زَلّتْ, فَهَوَى فِي أثَرِها أبَدَ الآبِدِينَ». قالوا: والأمانة في الصلاة, والأمانة في الصوم, والأمانة في الحديث وأشدّ ذلك الودائع, فلقيت البراء فقلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله؟ فقال: صدق.

قال: شريك, وثني عياش العامري عن زاذان, عن عبد الله بن مسعود, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه, ولم يذكر الأمانة في الصلاة, وفي كلّ شيء.

21895ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: أخبرني عمرو بن الحارث, عن ابن أبي هلال, عن أبي حازم, قال: إن الله عرض الأمانة على سماء الدنيا, فأبت ثم التي تليها, حتى فرغ منها, ثم الأرضين ثم الجبال, ثم عرضها على آدم, فقال: نعم, بين أذني وعاتقي. فثلاث آمرك بهنّ, فإنهنّ لك عون: إني جعلت لك لسانا بين لحسيين, فكفه عن كلّ شيء نهيتك عنه وجعلت لك فرجا وواريته, فلا تكشفه إلى ما حرّمت عليك.

وقال آخرون: بل ذلك إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده, وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه. ذكر من قال ذلك:

21896ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك, وعن أبي صالح, عن ابن عباس, وعن مُرّة الهمداني, عن ابن مسعود, وعن ناس من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: كان لا يولد لآدم مولود إلا وُلد معه جارية, فكان يزوّج غلامَ هذا البطن جارية هذا البطن الآخر, ويزوّج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر, حتى وُلد له اثنان, يقال لهما قابيل, وهابيل وكان قابيل صاحب زرع, وكان هابيل صاحب ضرع, وكان قابيل أكبرهما, وكان له أخت أحسن من أخت هابيل, وإن هابيل

طلب أن يَنْكِح أخت قابيل, فأبى عليه وقال: هي أختي وُلدتْ معي, وهي أحسن من أختك, وأنا أحقّ أن أتزوّجها, فأمره أبوه أن يزوّجها هابيل فأبى, وإنهما قرّبا قربانا إلى الله أيهما أحقّ بالجارية, وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما, أي بمكة ينظر إليها, قال الله لآدم: يا آدم هل تعلم أن لي بيتا في الأرض؟ قال: اللهمّ لا, قال: إن لي بيتا بمكة فأته, فقال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة, فأبت وقال للأرض, فأبت فقال للجبال, فأبت فقال لقابيل, فقال: نعم, تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرّك فلما انطلق آدم وقرّبا قربانا, وكان قابيل يفخر عليه فيقول: أنا أحقّ بها منك, هي أختي, وأنا أكبر منك, وأنا وصيّ والدي فلما قرّبا, قرّب هابيل جَذَعة سمينة, وقرّب هابيل حُزْمة سُنْبل, فوجد فيها سنبلة عظيمة, ففركها فأكلها, فنزلت النار فأكلت قُربان هابيل, وتركت قُربان قابيل, فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي, فقال هابيل إنّمَا يَتَقَبّلُ اللّهُ مِنَ الـمُتّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إليّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أنا بِبـاسِطٍ يَدِيَ إلَـيْكَ لأَقْتُلَكَ إنّي أخافُ اللّهَ رَبّ العالَمِينَ... إلى قوله: فَطَوّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أخِيهِ فطلبه ليقتله, فراغ الغلام منه في رؤوس الجبال وأتاه يوما من الأيام, وهو يرْعَى غنمه في جبل, وهو نائم, فرفع صخرة, فشدخ بها رأسه, فمات, وتركه بالعَراء, ولا يعلم كيف يُدْفَن, فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا, فقتل أحدهما صاحبه, فحفر له, ثم حثا عليه فلما رآه قال: يا وَيْلَتا أعَجَزْتَ أنْ أكونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أخي, فهو قول الله تبارك وتعالى: فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوأَةَ أخِيهِ فرجع آدم فوجد ابنه قد قَتل أخاه, فذلك حين يقول: إنّا عَرَضْنَا الأمانَةَ على السّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ... إلى آخر الآية.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُنِي بالأمانة في هذا الموضع: جميع معاني الأمانات في الدين, وأمانات الناس, وذلك أن الله لم يخصّ بقوله: عَرَضنا الأمانَةَ بعضَ معاني الأمانات لما وصفنا.

وبنحو قولنا قال أهل التأويل في معنى قول الله: إنّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً. ذكر من قال ذلك:

21897ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ إنّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً يعني قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله.

21898ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيريّ, قال: حدثنا سفيان, عن رجل, عن الضحاك, في قوله: وَحَمَلَها الإنسان قال آدم إنّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً قال: ظلوما لنفسه, جهولاً فيما احتمل فيما بينه وبين ربه.

21899ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس إنّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً غَرّ بأمر الله.

21900ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّهُ كانَ ظَلُوما جَهُولاً قال: ظلوما لها, يعني للأمانة, جهولاً عن حقها.

الآية : 73

القول في تأويل قوله تعالى: {لِّيُعَذِّبَ اللّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً }.

يقول تعالى ذكره: وحمل الإنسان الأمانة كيما يعذّب الله المنافقين فيها الذين يظهرون أنهم يؤدّون فرائض الله, مؤمنين بها, وهم مستسرّون الكفر بها, والمنافقات والمشركين بالله في عبادتهم إياه الآلهة والأوثان, والمُشْرِكاتِ وَيَتُوبَ اللّهُ على المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ يرجع بهم إلى طاعته, وأداء الأمانات التي ألزمهم إياها حتى يؤدّوها وكانَ اللّهُ غَفُورا لذنوب المؤمنين والمؤمنات, بستره عليها, وتركه عقابهم عليها رَحِيما أن يعذّبهم عليها بعد توبتهم منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21901ـ حدثنا سوار بن عبد الله العتبري, قال: ثني أبي, قال: حدثنا أبو الأشهب, عن الحسن أنه كان يقرأ هذه الآية: إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ حتى ينتهي لِيُعَذّبَ اللّهُ المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكاتِ فيقول: اللذان خاناها, اللذان ظلماها: المنافق والمشرك.

21902ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لِيُعَذّبَ اللّهُ المُنافِقِينَ وَالمُنافِقاتِ والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكاتِ هذان اللذان خاناها, ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات, هذان اللذان أدّياها وكانَ اللّهُ غَفُورا رَحِيما.

آخر سورة الأحزاب, ولله الحمد والمنة

سورة سبأ

سورة سبإ مكية
وآياتها أربع وخمسون
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {الْحَمْدُ للّهِ الّذِي لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }.

يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل, والحمد التامّ كله, للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السموات السبع, وما في الأرَضين السبع دون كل ما يعبدونه, ودون كل شيء سواه, لا مالك لشيء من ذلك غيره فالمعنى: الذي هو مالك جميعه وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ يقول: وله الشكر الكامل في الآخرة, كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة, لأن منه النعم كلها على كل من في السموات والأرض في الدنيا, ومنه يكون ذلك في الآخرة, فالحمد لله خالصا دون ما سواه في عاجل الدنيا, وآجل الآخرة, لأن النعم كلها من قِبله لا يُشركه فيها أحد من دونه, وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه إياهم في تقديره, خبير بهم وبما يصلحهم, وبما عملوا, وما هم عاملون, محيط بجميع ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21903ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَهوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ حكيم في أمره, خبير بخلقه.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرّحِيمُ الْغَفُورُ }.

يقول تعالى ذكره: يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شيء من قولهم: ولجت في كذا: إذا دخلت فيه, كما قال الشاعر:

رأيْتُ القَوَافِي يَتّلِجْنَ مَوَالِجا تَضَايَقُ عَنْها أنْ تَوَلّجَها الإبَرْ

يعني بقوله: «يتّلجن موالجا»: يدخلن مداخل وَما يخْرُجُ مِنْها يقول: وما يخرج من الأرض وَما يَنْزِلِ مِنَ السّماءِ وَما يَعْرُجُ فِيها يعني: وما يصعد في السماء وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض, مما ظهر فيها وما بطن, وهو الرحيم الغفور وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذّبهم بعد توبتهم, الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَأْتِينَا السّاعَةُ قُلْ بَلَىَ وَرَبّي لَتَأْتِيَنّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبَ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرّةٍ فِي السّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأرْضِ وَلاَ أصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أكْبَرُ إلاّ فِي كِتَابٍ مّبِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قُدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة, استهزاء بوعدك إياهم, وتكذيبا لخبرك, قل لهم: بلى تأتيكم وربي, قسما به لتأتينكم الساعة, ثم عاد جلّ جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه, وتمجيدها, فقال: عالِمِ الغَيْبِ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عَامة قرّاء المدينة: «عالِمُ الغَيْبِ» على مثال فاعل, بالرفع على الاستئناف, إذ دخل بين قوله: وَرَبّي, وبين قوله: عالِمَ الغَيْبِ كلام حائل بينه وبينه. وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة والبصرة, عالم على مثال فاعل, غير أنهم خفضوا عالم ردّا منهم له على قوله وَرَبّي إذ كان من صفته. وقرأ ذلك بقية عامة قرّاء الكوفة: «عَلاّمِ الغَيْبِ» على مثال فعّال, وبالخفض ردّا لإعرابه على إعراب قوله وَرَبّي إذ كان من نعته.

والصواب من القول في ذلك عندنا, أن كلّ هذه القراءات الثلاث, قراءات مشهورات في قرّاء الأمصار متقاربات المعاني, فبأيتهنّ قرأ القارىء فمصيب غير أن أعجب القراءات في ذلك إليّ أقرأ بها: «عَلاّمِ الغَيْبِ» على القراءة التي ذكرتها عن عامة قرّاء أهل الكوفة فأما اختيار علام على عالم, فلأنها أبلغ في المدح. وأما الخفض فيها فلأنها من نعت الربّ, وهو في موضع الجرّ. وعنى بقوله: «عَلاّم الغَيْبِ» علام ما يغيب عن أبصار الخلق, فلا يراه أحد, إما ما لم يكوّنه مما سيكوّنه, أو ما قد كوّنه فلم يُطلع عليه أحدا غيره. وإنما وصف جلّ ثناؤه في هذا الموضع نفسه بعلمه الغيب, إعلاما منه خلقه أن الساعة لا يعلم وقت مجيئها أحد سواه, وإن كانت جائية, فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل للذين كفروا بربهم: بلى وربكم لتأتينكم الساعة, ولكنه لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب, الذي لا يعزب عنه مثقال ذرّة.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: وَلا يَعْزُبُ عَنْهُ لا يغيب عنه, ولكنه ظاهر له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21904ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن علي, عن ابن عباس في قوله: لا يَعْزُبُ عَنْهُ يقول: لا يغيب عنه.
21905ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: لا يَعْزُبُ عَنْهُ قال: لا يغيب.
21906ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرّةٍ: أي لا يغيب عنه.
وقد بيّنا ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.
وقوله: مِثْقالُ ذَرّةٍ يعني: زنة ذرّة في السموات ولا في الأرض يقول تعالى ذكره: لا يغيب عنه شيء من زنة ذرّة فما فوقها فما دونها, أيْ ن كان في السموات ولا في الأرض وَلا أصْغَرُ مِنْ ذلكَ يقول: ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرّة وَلا أكْبَرُ منه إلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ يقول: هو مثبت في كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه, فلم يعزب عن علمه.

الآية : 4

القول في تأويل قوله تعالى: {لّيَجْزِيَ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ أُوْلَـَئِكَ لَهُمْ مّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في الكتاب المبين, كي يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله, وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به, وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ يقول جلّ ثناؤه: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات, مغفرة مِن رَبهم لذنوبهم وَرِزْقٌ كَرِيمٌ يقول: وعيش هنيء يوم القيامة في الجنة, كما:
21907ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم وَرِزْقٌ كَرِيمٌ في الجنة.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ سَعَوْا فِيَ آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَـَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مّن رّجْزٍ أَلِيمٌ }.
يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في الكتاب, ليجزي المؤمنين ما وصف, وليجزي الذين سعوا في آياتنا معاجزين يقول: وكي يثيب الذين عملوا في إبطال أدلتنا وحججنا معاونين, يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ يقول: هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم ويعني بالأليم: الموجع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21908ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَسَعَوْا في آياتِنا مُعَاجِزِينَ: أي لا يعجزون أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ قال: الرجز: سوء العذاب, الأليم: الموجع.
21909ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: وَالّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ قال: جاهدين ليهبطوها أو يبطلوها, قال: وهم المشركون, وقرأ: لا تَسْمَعُوا لِهَذا القُرآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلّكُمْ تَغْلِبُونَ.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَرَى الّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ الّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رّبّكَ هُوَ الْحَقّ وَيَهْدِيَ إِلَىَ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }.

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في كتاب مبين, ليجزي الذين آمنوا, والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم, وليرى الذين أوتوا العلم فيرى في موضع نصب عطفا به على قوله: يَجزي, في قوله: لِيَجْزِيَ الّذِينَ آمَنُوا. وعنى بالذين أوتوا العلم: مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام, ونظرائه الذين قد قرؤوا كتب الله التي أنزلت قبل الفرقان, فقال تعالى ذكره: وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة, الكتاب الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحقّ.

وقيل: عني بالذين أوتوا العلم: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

21910ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَيَرَى الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رّبّكَ هُوَ الحَقّ قال: أصحاب محمد.

وقوله: وَيهْدِي إلى صِراطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ يقول: ويرشد من اتبعه, وعمل بما فيه إلى سبيل الله العزيز في انتقامه من أعدائه, الحميد عند خلقه, فأياديه عندهم, ونعمه لديهم. وإنما يعني أن الكتاب الذي أنزل على محمد يهدي إلى الإسلام.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلّكُمْ عَلَىَ رَجُلٍ يُنَبّئُكُمْ إِذَا مُزّقْتُمْ كُلّ مُمَزّقٍ إِنّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ }.

يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم, متعجبين من وعده إياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض: هَلْ نَدُلّكُمْ أيها الناس على رَجُلٍ يُنَبّئُكُمْ إذَا مُزّقْتُمْ كُلّ مُمَزّقٍ إنّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ يقول: يخبركم أنكم بعد تقطعكم في الأرض بلاء وبعد مصيركم في التراب رفاتا, عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقا جديدا, كما:

21911ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَقالَ الّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلّكُمْ على رَجُلٍ يُنَبّئُكُمْ إذَا مُزّقْتُمْ كُلّ مُمَزّقٍ قال: ذلك مشركو قُريش والمشركون من الناس, يُنَبّئُكُمْ إذَا مُزّقْتُمْ كُلّ مُمَزّقٍ: إذا أكلتكم الأرض, وصرتم رفاتا وعظاما, وقطّعتكم السباع والطير إنّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ستحيون وتبعثون.

21912ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هَلْ نَدُلّكُمْ عَلى رَجُلٍ.... إلى خَلْقٍ جَدِيدٍ قال: يقول: إذَا مُزّقْتُمْ: وإذا بليتم وكنتم عظاما وترابا ورفاتا, ذَلك كُلّ مُمَزّقٍ إنّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ قال: ينبئكم إنكم, فكسر إن ولم يعمل ينبئكم فيها, ولكن ابتدأ بها ابتداء, لأن النبأ خبر وقول, فالكسر في إن لمعنى الحكاية في قوله: يُنَبّئُكُمْ دون لفظه, كأنه قيل: يقول لكم: إنّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جدِيدٍ.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفْتَرَىَ عَلَى اللّهِ كَذِباً أَم بِهِ جِنّةٌ بَلِ الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضّلاَلِ الْبَعِيدِ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين كفروا به, وأنكروا البعث بعد الممات بعضهم لبعض, معجبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم في وعده إياهم ذلك: أفترى هذا الذي يعدنا أنا بعد أن نمزّق كلّ ممزّق في خلق جديد على الله كذبا, فتخلق عليه بذلك باطلاً من القول, وتخرص عليه قول الزور أمْ به جِنّةٌ يقول: أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21913ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قال: قالوا تكذيبا: أفْتَرَى على اللّهِ كَذِبا قال: قالوا: إما أن يكون يكذب على الله, أم به جنة, وإما أن يكون مجنونا بَلِ الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ... الآية.

21914ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد ثم قال بعضهم لبعض: أفْتَرَى عَلى اللّهِ كَذِبا أمْ بِهِ جِنّةٌ الرجل مجنون فيتكلم بما لا يعقل, فقال الله: بَلِ الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ فِي العَذَابِ والضّلالِ البَعِيدِ.

وقوله: بَلِ الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ فِي العَذَابِ والضّلالِ البَعِيدِ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما قال هؤلاء المشركون في محمد صلى الله عليه وسلم, وظنوا به من أنه أفترى على الله كذبا, أو أن به جنة, لكنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين في عذاب الله في الآخرة, وفي الذهاب البعيد عن طريق الحقّ, وقصد السبيل, فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون.

21915ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد قال الله: بَلِ الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ فِي العَذَابِ والضّلالِ البَعِيدِ وأمره أن يحلف لهم ليعتبروا, وقرأ: قُلْ بَلى وَرَبّي لَتُبْعَثُنّ ثُمّ لَتُنَبّؤُنّ بِما عَمِلْتُمْ... الآية كلها, وقرأ: قُلْ بَلى وَربّي لَتَأتِيَنّكُمْ.

وقطعت الألف من قوله: أفْتَرَى على اللّهِ في القطع والوصل, ففتُحت لأنها ألف استفهام. فأما الألف التي بعدها, التي هي ألف أفتعل, فإنها ذهبت لأنها خفيفة زائدة تسقط في اتصال الكلام, ونظيرها: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ وبِيَدَيّ أسْتَكْبَرْتَ وأصْطَفَى الْبَنَاتِ وما أشبه ذلك. وأما ألف «آلآنَ» «وآلذّكَرَيْنِ» فطوّلت هذه, ولم تطوّل تلك, لأن آلآن وآلذكرين كانت مفتوحة, فلو أسقطت لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق, فجعل التطويل فيها فرقا بين الاستفهام والخبر, وألف الاستفهام مفتوحة, فكانتا مفترقتين بذلك, فأغنى ذلك دلالة على الفرق من التطويل.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مّنَ السّمَآءِ وَالأرْضِ إِن نّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مّنَ السّمَآءِ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لّكُلّ عَبْدٍ مّنِيبٍ }.

يقول تدعالى ذكره: أفلم ينظر هؤلاء المكذّبون بالمعاد, الجاحدون البعث بعد الممات, القائلون لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: أفْتَرَى على اللّهِ كَذِبا أمْ بِهِ جِنّةٌ إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض, فيعلموا أنهم حيث كانوا, فإن أرضي وسمائي محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم, وعن أيمانهم, وعن شمائلهم, فيرتدعوا عن جهلهم, ويتزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذرا أن نأمر الأرض فتخسف بهم, أو

السماء فتسقط عليهم قطعا, فإنّا إن نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21916ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَفَلَمْ يَرَوْا إلى ما بَينَ أيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ قال: ينظرون عن أيمانهم, وعن شمائلهم, كيف السماء قد أحاطت بهم إنْ نَشأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأرْضَ كما خسفنا بمن كان قبلهم أوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفا مّنَ السّماءِ: أي قِطعا من السماء.

وقوله: إنّ فِي ذلكَ لاَيَةً لِكُلّ عَبْدٍ مُنِيبٍ يقول تعالى ذكره: إن في إحاطة السماء والأرض بعباد الله لآية يقول: لدلالة لكلّ عبد منيب يقول: لكل عبد أناب إلى ربه بالتوبة, ورجع إلى معرفة توحيده, والإقرار بربوبيته, والاعتراف بوحدانيته, والإذعان لطاعته, على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شيء أراد فعله, ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21917ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ فِي ذلكَ لاَيَةً لِكُلّ عَبْدٍ مُنِيبٍ والمنيب: المقبل التائب.

الآية : 10 -11

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنّا فَضْلاً يَجِبَالُ أَوّبِي مَعَهُ وَالطّيْرَ وَأَلَنّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدّرْ فِي السّرْدِ وَاعْمَلُواْ صَالِحاً إِنّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد أعطينا داود منا فضلاً, وقلنا للجبال: أوّبِي مَعَهُ: سبحي معه إذا سبح.

والتأويب عند العرب: الرجوع, ومبيت الرجل في منزله وأهله ومنه قول الشاعر:

يَوْمانِ يَوْمُ مَقاماتٍ وأنْدِيَةٍوَيَوْمُ سَيْرٍ إلى الأعْدَاءِ تَأوِيبِ

أي رجوع. وقد كان بعضهم يقرؤه: «أوْبِي مَعَهُ» من آب يؤوب, بمعنى: تصرّفي معه وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21918ـ حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: ثني محمد بن الصلت, قال: حدثنا أبو كدينة. وحدثنا محمد بن سنان القزاز, قال: حدثنا الحسن بن الحسن الأشقر, قال: حدثنا أبو كدينة, عن عطاء, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس أوّبِي مَعَهُ قال: سَبّحي معه.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله يا جِبالُ أوّبِي مَعَهُ يقول: سَبّحِي معه.

21919ـ حدثنا أبو عبد الرحمن العلائي, قال: حدثنا مِسْعر, عن أبي حُصين, عن أبي عبد الرحمنيا جِبالُ أوّبِي مَعَهُ يقول: سَبّحي.

21920ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن أبي إسحاق, عن أبي ميسرة يا جبالُ أوّبِي مَعَهُ قال: سَبّحي, بلسان الحبشة.

21921ـ حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: حدثنا فضيل, عن منصور, عن مجاهد, في قوله: يا جبالُ أوّبِي مَعَهُ قال: سبحي معه.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يا جبالُ أوّبِي مَعَهُ قال: سَبّحي.

21922ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يا جِبالُ أوّبِي مَعَهُ: أي سبّحي معه إذا سبّح.

21923ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا جِبالُ أوّبِي مَعَهُ قال: سبّحي معه قال: والطيرُ أيضا.

21924ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: يا جِبالُ أوّبِي مَعَهُ قال: سبّحي.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن جُوَيبر, عن الضحاك, قوله: يا جِبالُ أوّبِي مَعَهُ سبّحي معه.

وقوله: والطّيْرَ وفي نصب الطير وجهان: أحدهما على ما قاله ابن زيد من أن الطير نُوديت كما نوديت الجبال, فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع, بما لا يحسن إعادة رافعه عليه, فيكون كالمصدر عن جهته. والآخر: فعل ضمير متروك استغني بدلالة الكلام عليه, فيكون معنى الكلام: فقلنا: يا جبال أوّبي معه, وسخرنا له الطير. وإن رفع ردّا على ما في قوله «سبحي» من ذكر الجبال كان جائزا. وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال, وإن لم يحسن نداؤها بالذي نُوديت به الجبال, فيكون ذلك كما قال الشاعر:

ألا يا عَمْرُو والضّحاكَ سِيرَافَقَدْ جاوَزْتُمَا خَمَرَ الطّرِيقِ

وقوله: وأَلَنّا لَهُ الحَدِيدَ ذكر أن الحديد كان في يده كالطين الممبلول يصرّفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار, ولا ضرب بحديد. ذكر من قال ذلك:

21925ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأَلَنّا لَهُ الحَدِيدَ سخّر الله له الحديد بغير نار.

21926ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن عثمة, قال: حدثنا سعيد بن بشير, عن قتادة, في قوله: وأَلَنّا لَهُ الحَدِيدَ كان يسوّيها بيده, ولا يدخلها نارا, ولا يضربها بحديدة.

وقوله: أنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ يقول: وعهدنا إليه أن اعمل سابغات, وهي التوامّ الكوامل من الدروع. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21927ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ دروع, وكان أوّل من صنعها داود, إنما كان قبل ذلك صفائح.

21928ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ قال: السابغات: دروع الحديد.

وقوله: وَقَدّرْ فِي السّرْدِ اختلف أهل التأويل في السرد, فقال بعضهم: السرد: هو مسمار حلق الدرع. ذكر من قال ذلك:

21929ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَقَدّرْ فِي السّرْدِ قال: كان يجعلها بغير نار, ولا يقرعها بحديد, ثم يسردها. والسرد: المسامير التي في الحَلَق.

وقال آخرون: هو الحلق بعينها. ذكر من قال ذلك:

21930ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقَدّرْ فِي السّرْدِ قال: السرد: حلقه أي قدّر تلك الحلق. قال: وقال الشاعر:
الـمُسَدّي سَرْدَها وأذَالَهَا
قال: يقول: وسعها, وأجاد حلقها().
21931ـ حدثنا محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَقَدّرْ فِي السّرْدِ يعني بالسرد: ثقب الدروع فيسد قتيرها.
وقال بعض أهل العلم بكلام العرب: يقال درع مسرودة: إذا كانت مسمورة الحلق واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر:
وَعَلَيْهِما مَسْرُودَتانِ قَضَاهُمادَاوُدُ أوْ صَنَعُ السّوَابِغَ تُبّعُ
وقيل: إنما قال الله لداود: وَقَدّرْ فِي السّرْدِ لأنها كانت قبلُ صفائح. ذكر من قال ذلك:
21932ـ حدثنا نصر بن عليّ, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا خالد بن قيس, عن قتادة وَقَدّرْ فِي السّرْدِ قال: كانت صفائح, فأمر أن يسردها حلقا.
وعنى بقوله وَقَدّرْ فِي السّرْدِ: وقدّر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا تغلظ المسمار, وتضيق الحلقة, فتفصم الحلقة, ولا توسع الحلقة, وتصغر المسامير وتدقها, فتسلس في الحلقة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21933ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَقَدّرْ فِي السّرْدِ قال: قدّر المسامير والحلق, لا تدقّ المسامير فتسلس, ولا تجلها. قال محمد بن عمرو, وقال الحارث: فتفصم.
حدثني عليّ بن سهل, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, في قوله: وَقَدّرْ فِي السّرْدِ قال: لا تصغر المسمار, وتعظم الحلقة فتسلس, ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فيفصم المسمار.
21934ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عيينة, قال: حدثنا أبي, عن الحكم, في قوله: وَقَدّرْ فِي السّرْدِ قال: لا تغلظ المسمار فيفصم الحلقة, ولا تدقه فيقلق.
وقوله: واعْمَلُوا صَالِحا يقول تعالى ذكره: واعمل يا داود أنت وآلك بطاعة الله إنّي بمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يقول جلّ ثناؤه: إني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر لا يخفى عليّ منه شيء, وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرّيحَ غُدُوّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السّعِيرِ }.
اختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَلِسُلَيْمانَ الرّيحَ فقرأته عامة قرّاء الأمصار وَلِسُلَيْمانَ الرّيحَ بنصب الريح, بمعنى: ولقد آتينا داود منا فضلاً, وسخرنا لسليمان الريحَ. وقرأ ذلك عاصم: «وَلِسُلَيْمانَ الرّيحُ» رفعا بحرف الصفة, إذ لم يظهر الناصب.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا النصب لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: غُدُوّها شَهْرٌ يقول تعالى ذكره: وسخرنا لسليمان الريح, غدوّها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر, ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21935ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلِسُلَيْمانَ الرّيحَ غُدُوّها شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ قال: تغدو مسيرة شهر, وتروح مسيرة شهر, قال: مسيرة شهرين في يوم.

21936ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أهل العلم, عن وهب بن منبه: وَلِسُلَيْمانَ الرّيحَ غُدُوّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ قال: ذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان, إما من الجنّ, وإما من الإنس: نحن نزلناه وما بنيناه, ومبنيا وجدناه, غدونا من إصطخر فقِلناه, ونحن رائحون منه إن شاء الله فبائتون بالشام.

21937ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلِسُلَيْمانَ الرّيحَ غُدُوّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ قال: كان له مركب من خشب, وكان فيه ألف ركن, في كل ركن ألف بيت تركب فيه الجنّ والإنس, تحت كل ركن ألف شيطان, يرفعون ذلك المركب هم والعصار فإذا ارتفع أتت الريح رُخَاء, فسارت به, وساروا معه, يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر, ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر, ولا يدري القوم إلا وقد أظلهم معه الجيوش والجنود.

21938ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا قرة, عن الحسن, في قوله غُدُوّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ قال: كان يغدو فيقيل في إصطخر, ثم يروح منها, فيكون رواحها بكابل.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا حماد, قال: حدثنا قرة, عن الحسن بمثله.

وقوله: وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ يقول: وأذبنا له عين النحاس, وأجريناها له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21939ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ عين النحاس, كانت بأرض اليمن, وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان.

21940ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ قال: الصّفر سال كما يسيل الماء, يعمل به كما كان يعمل العجين في اللين.

21941ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ يقول: النحاس.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ يعني: عين النحاس أسيلت.

وقوله: وَمِنَ الجِنّ مَنْ يَعْمَلُ بَينَ يَدَيْهِ بإذْنِ رَبّهِ يقول تعالى ذكره: ومن الجنّ من يطيعه, ويأتمر بأمره, وينتهي لنهيه, فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له بإذن ربه يقول: بأمر الله بذلك, وتسخيره إياه له وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ

عَنْ أمْرِنا يقول: ومن يزُل ويعدل من الجنّ عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمان نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السّعِيرِ فِي الآخرة, وذلك عذاب نار جهنم الموقدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21942ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أمْرِنا أي يعدل منهم عن أمرنا عما أمره به سليمان نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السّعِيرِ.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رّاسِيَاتٍ اعْمَلُوَاْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مّنْ عِبَادِيَ الشّكُورُ }.
يعني تعالى ذكره: يعمل الجنّ لسليمان ما يشاء من محاريب, وهي جمع محراب, والمحراب: مقدّم كل مسجد وبيت ومصلّى ومنه قول عديّ بن زيد:
كَدُمَى العاجِ فِي المَحارِيبِ أوْ كالْبَيضِ في الرّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21943ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ما يَشاءُ مِنْ مَحَارِيبَ قال: بنيان دون القصور.
21944ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وقصور ومساجد.
21945ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحَارِيبَ قال: المحاريب: المساكن. وقرأ قول الله: فَنادَتْهُ المَلائكَةُ وَهُوَ قائمٌ يُصَلّي فِي المحْرابِ.
21946ـ حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن جُوَيبر, عن الضحاك: يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحَارِيبَ قال: المحاريب: المساجد.
وقوله: وتَماثِيلَ يعني أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج, كما:
21947ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وتَماثِيلَ قال: من نحاس.
21948ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وتَماثِيلَ قال: من زجاج وشَبَه.
21949ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان, عن جُوَيبر, عن الضحاك في قول الله وتَماثِيلَ قال: الصور.
وقوله: وَجِفانٍ كالجَوَابِ يقول: وينحتون له ما يشاء من جفان كالجواب وهي جمع جابية, والجابية: الحوض الذي يُجْبَى فيه الماء, كما قال الأعشى ميمون بن قَيس:
تَرُوحُ على نادِي المُحَلّقِ جَفْنَةٌكَجابِيَةِ الشّيْخِ العِرَاقِيّ تَفْهَقُ
وكما قال الآخر:
فَصَبّحْتُ جابِيَةً صُهارِجاكأنّها جِلْدُ السّماءِ خارِجا
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21950ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَجِفانٍ كالجَوَابِ يقول: كالجوبة من الأرض.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَجِفانٍ كالجَوَابِ يعني بالجواب: الحياض.
21951ـ وحدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن أبي رجاء, عن الحسن وَجِفانٍ كالجَوَابِ قال: كالحياض.
21952ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَجِفانٍ كالجَوَابِ قال: حياض الإبل.
21953ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَجِفانٍ كالجَوَابِ قال: جفان كجوبة الأرض من العظم, والجوبة من الأرض: يستنقع فيها الماء.
21954ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَجِفانٍ كالجَوَابِ كالحياض.
حدثنا عمرو, قال: حدثنا مروان بن معاوية, قال: حدثنا جويبر, عن الضحاك: وَجِفانٍ كالجَوَابِ قال: كحياض الإبل من العظم.
وقوله: وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ يقول: وقدور ثابتات لا يحركن عن أماكنهنّ, ولا تحوّل لعظمهنّ.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21955ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ قال: عظام.
21956ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ قال: عِظام ثابتات الأرض لا يزُلن عن أمكنتهن.
21957ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ قال: مثال الجبال من عِظمها, يعمل فيها الطعام من الكبر والعِظم, لا تحرّك, ولا تنقل, كما قال للجبال: راسيات.
وقوله: اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا يقول تعالى ذكره: وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خَصّكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر خلقه وتُرك ذكر: وقلنا لهم, اكتفاء بدلالة الكلام على ما ترك منه, وأخرج قوله شُكْرًا مصدرا من قوله اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ لأن معنى قوله اعْمَلُوا اشكروا ربكم بطاعتكم إياه, وأن العمل بالذي رضي الله, لله شكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21958ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا موسى بن عبادة, عن محمد بن كعب, قوله: اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا قال: الشكر: تقوى الله, والعمل بطاعته.

21959ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: أخبرني حَيْوَة, عن زُهْرة بن معبد, أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول: اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرا وأفضل الشكر: الحمد.

21960ـ قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرا قال: أعطاكم وعلمكم وسخر لكم ما لم يسخر لغيركم, وعلّمكم منطق الطير, اشكروا له يا آل داود, قال: الحمد طرف من الشكر.

وقوله: وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشّكُورُ يقول تعالى ذكره: وقليل من عبادي المخلصو توحيدي, والمفردو طاعتي وشكري على نعمتي عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21961ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشّكُورُ يقول: قليل من عبادي الموحّدون توحيدهم.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلّهُمْ عَلَىَ مَوْتِهِ إِلاّ دَابّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمّا خَرّ تَبَيّنَتِ الْجِنّ أَن لّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ }.

يقول تعالى ذكره: فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات ما دَلّهُمْ عَلى مَوْتِهِ يقول: لم يدلّ الجنّ على موت سليمان إلاّ دَابّةُ الأرْضِ وهي الأَرَضَة وقعت في عصاه, التي كان متكئا عليها فأكلتها, فذلك قول الله عزّ وجلّ تَأْكُلُ مِنْسأَتَهُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21962ـ حدثني ابن المثنى وعليّ, قالا: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إلاّ دَابّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنْسأَتَهُ يقول: الأَرَضَة تأكل عصاه.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله تَأْكُلُ مِنْسأَتَهُ قال: عصاه.

21963ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: ثني أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إلاّ دَابّةُ الأرْضِ قال: الأَرَضَة تَأْكُلُ مِنْسأَتَهُ قال: عصاه.

حدثني محمد بن عمارة, قال: حدثنا عبد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد تأْكُلُ مِنْسأَتَهُ قال: عصاه.

21964ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن عثمة, قال: حدثنا سعيد بن بشير, عن قتادة, في قوله: تَأْكُلُ مِنْسأَتَهُ أكلت عصاه حتى خرّ.

21965ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: المنسأة: العصا بلسان الحبشة.

21966ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: المنسأة: العصا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: مِنْسأَتَهُ فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة: «مِنْساتَهُ» غير مهموزة وزعم من اعتلّ لقارىء ذلك كذلك من أهل البصرة أن المِنساة: العصا, وأن أصلها من

نسأت بها الغنم, قال: وهي من الهمز الذي تركته العرب, كما تركوا همز النبيّ والبرية والخابية, وأنشد لترك الهمز في ذلك بيتا لبعض الشعراء:
إذَا دَبَبتَ عَلى المِنساةِ مِنْ هَرَمٍفَقَدْ تَباعَدَ عَنْكَ اللّهْوُ والغَزَلُ
وذكر الفراء عن أبي جعفر الرّوَاسِيّ, أنه سأل عنها أبا عمرو, فقال: «مِنْساتَهُ» بغير همز.
وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: مِنْسأتَهُ بالهمز, وكأنهم وجهوا ذلك إلى أنها مِفْعَلة, من نسأت البعير: إذا زجرته ليزداد سيره, كما يقال: نسأت اللبن: إذا صببت عليه الماء, وهو النّسيء. وكما يقال: نسأ الله في أجلك أي أدام الله في أيام حياتك.
قال أبو جعفر: وهما قراءتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, وأن كنت أختار الهمز فيها لأنه الأصل.
وقوله: فَلَمّا خَرّ تَبَيّنَتِ الجِنّ يقول عزّ وجلّ: فلما خرّ سليمان ساقطا بانكسار منسأته تبيّنت الجنّ أنْ لو كانوا يعلمون الغَيْبَ الذي يدّعون علمه ما لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ المذلّ حولاً كاملاً بعد موت سليمان, وهم يحسبون أن سليمان حَيّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21967ـ حدثنا أحمد بن منصور, قال: حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة, قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جُبَير, عن ابن عباس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «كانَ سُلَيْمانُ نَبِيّ اللّهِ إذَا صَلّى رأى شَجَرَةً نابِتَةً بينَ يَدَيْهِ, فَيَقُولُ لَهَا: ما اسمُكِ؟ فَتَقُولُ: كَذَا, فَيَقُولُ: لأيّ شَيْءٍ أنْتِ؟ فإنْ كانَتْ تُغْرَسُ غُرِسَتْ, وَإنْ كانَتْ لِدَوَاءٍ كُتِبَتْ, فَبَيْنَما هُوَ يُصَلّي ذَاتَ يَوْمٍ, إذْ رأى شَجَرَةً بينَ يَدَيْهِ, فَقالَ لَهَا: ما اسمُكِ؟ قالَتْ: الخَرّوب, قالَ: لأيّ شَيْءٍ أنْتِ؟ قالَتْ: لخَرَابِ هَذَا البَيْتِ, فَقالَ سُلَيْمانُ: اللّهُمّ عَمّ على الجِنّ مَوْتِي حتى يَعْلَمَ الإنْسُ أنّ الجِنّ لا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ, فَنَحَتَها عَصا فَتَوَكّأ عَلَيْها حَوْلاً مَيّتا, والجِنّ تَعْمَلُ, فأكَلَتْها الأرَضَةُ, فَسَقَطَ, فَتَبَيّنَتِ الإنْسُ أنّ الجِنّ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ما لَبِثُوا حَوْلاً فِي العَذَابِ المُهِينِ» قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك, قال: فشكرت الجنّ للأرضة, فكانت تأتيها بالماء.
21968ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في خبر ذكره عن أبي مالك, وعن أبي صالح, عن ابن عباس, وعن مُرّة الهمْدانيّ, عن ابن مسعود, وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان سليمان يتجرّد في بيت المقدس السنة والسنتين, والشهر والشهرين, وأقلّ من ذلك وأكثر, يَدْخل طعامه وشرابه, فدخله في المرّة التي مات فيها, وذلك أنه لم يكن يوم يُصبح فيه, إلا تنبت فيه شجرة, فيسألها ما اسمك, فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا, فيقول لها: لأيّ شيء نبتّ؟ فتقول: نبتّ لكذا وكذا, فيأمر بها فتقطع, فإن كانت نبتت لغرس غرسها, وإن كانت نبتت لدواء, قالت: نبتّ دواء لكذا وكذا, فيجعلها كذلك, حتى نبتت شجرة يقال لها الخرّوبة, فسألها: ما اسمك؟ فقالت له: أنا الخرّوبة, فقال: لأيّ شيء نبتّ؟ قالت: لخراب هذا المسجد قال سليمان: ما كان الله ليخربه وأنا حيّ, أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس, فنزعها وغرسها

في حائط له, ثم دخل المحراب, فقام يصلي متكئا على عصاه, فمات ولا تعلم به الشياطين في ذلك, وهم يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب, وكان المحراب له كُوًى بين يديه وخلفه, وكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول: ألست جَلدا إن دخلتُ, فخرجتُ من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمرّ, ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق, فمرّ ولم يسمع صوت سليمان عليه السلام, ثم رجع فلم يسمع, ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق, ونظر إلى سليمان قد سقط فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات, ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته, وهي العصا بلسان الحبشة, قد أكلتها الأرضة, ولم يعلموا منذ كم مات, فوضعوا الأرضة على العصا, فأكلت منها يوما وليلة, ثم حسبوا على ذلك النحو, فوجدوه قد مات منذ سنة. وهي في قراءة ابن مسعود: «فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولاً كاملاً» فأيقن الناس عند ذلك أن الجنّ كانوا يكذِبونهم, ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان, ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له, وذلك قول الله: ما دَلّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إلاّ دَابّةُ الأرْضِ تَأكُلُ مِنْسأتَهُ فَلَمّا خَرّ تَبَيّنَتِ الجِنّ أنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي العَذابِ المُهِينِ يقول: تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذِبونهم, ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام, ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب, ولكنا سننقل إليك الماء والطين, فالذي يكون في جوف الخشب, فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها.

21969ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كانت الجنّ تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء, وأنهم يعلمون ما في غد, فابتلوا بموت سليمان, فمات, فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته, وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين فَلَمّا تَبَيّنَتِ الْجِنّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ ولقد لبثوا يدأبون, ويعملون له حولاً.

21970ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ما دَلّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إلاّ دَابّةُ الأرْضِ تَأكُلُ مِنْسأتَهُ قال: قال سليمان لملك الموت: يا ملك الموت, إذا أُمِرْتَ بي فأعلمني قال: فأتاه فقال: يا سليمان, قد أمرت بك, قد بقيت لك سُويعة, فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير, ليس له باب, فقام يصلي, واتكأ على عصاه قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكىء على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت, قال: والجنّ تعمل بين يديه, وينظرون إليه, يحسبون أنه حيّ, قال: فبعث الله دابة الأرض, قال: دابة تأكل العِيدان يقال لها القادح, فدخلت فيها فأكلتها, حتى إذا أكلت جوف العصا, ضعفت وثقل عليها, فخرّ ميتا, قال: فلما رأت الجنّ ذلك, انفضوا وذهبوا, قال: فذلك قوله: ما دَلّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إلاّ دَابّةُ الأرْضِ تَأكُلُ مِنْسأتَهُ قال: والمنسأة: العصا.

21971ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, قال: كان سليمان بن داود يصلي, فمات وهو قائم يصلي والجنّ يعملون لا يعلمون بموته, حتى أكلت الأرضة عصاه, فخرّ, و«أن» في قوله: أن لَوْ

كانُوا فـي موضع رفع بتبـين, لأن معنى الكلام: فلـما خرّ تبـين وانكشـف, أن لو كان الـجنّ يعلـمون الغيب, ما لبثوا فـي العذاب الـمهين.

وأما علـى التأويـل الذي تأوّله ابن عبــاس مـن أن معنـاه: تبــينت الإنـس الـجنّ, فإنه ينبغي أن يكون فـي موضع نصب بتكريرها علـى الـجنّ, وكـذلك يجب علـى هذه القراءة أن تكون الـجنّ منصوبة, غير أنـي لا أعلـم أحدا مـن قرّاء الأمصار يقرأ ذلك بنصب الـجنّ, ولو نصب كان فـي قوله تَبَـيّنَت ضـمير من ذكر الإنس.

الآية : 15

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رّزْقِ رَبّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيّبَةٌ وَرَبّ غَفُورٌ }.

يقول تعالـى ذكره: لقد كان لولد سبإ فـي مسكنهم علامة بـينة, وحجـة واضحة, علـى أنه لا رب لهم إلا الذي أنعم علــيهم النعـم التــي كـانوا فــيها. وسبأ عن رسول الله اسم أبـي الـيـمن. ذكر من قال ذلك:

21972ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا وكيع, عن أبـي حيان الكلبــي, عـن يحيى بن هانىء, عن عروة الـمراديّ, عن رجـل منهـم يقـال لـه: فـروة بـن مسيك, قال: قلت: يا رسول الله أخبرنـي عـن سَـبَإٍ مـا كـان؟ رجلاً كـان أو امرأة, أو جبلاً, أو دوابّ؟ فقال: «لا, كانَ رَجُلاً مِن العَرَبِ وَلَهُ عَشَــرَةُ أوْلادٍ, فَتَـيَـمّنَ مِنْهُمْ سِتّةٌ, وَتَشاءَمَ أرْبَعَةٌ, فأمّا الّذِينَ تَـيَـمّنُوا مِنْهُمْ فَكِنْدَةُ, وحِمْيَـرُ, والأزْدُ, والأشْعَرِيّونَ, وَمَذْحِجُ, وأنْـمَارُ الّذِينَ مِنْها خَثْعَمُ وَبُجَيْـلَةُ. وأمّـا الّـذِينَ تَشاءَمُوا: فَعامِلَةُ, وَجُذَامُ, وَلـخْمُ, وَغَسّان».

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو أُسامة, قال: ثنـي الـحسن بـن الــحكَم, قال: حدثنا أبو سَبْرة النـخَعيّ, عن فـروة بـن مُسَـيْك القُطَيعِـيّ, قـال: قـال رجل: يا رسولَ الله أخبرنـي عن سَبَإٍ ما هو؟ أرض أو امـرأة؟ قـال: «لَـيْسَ بأرْضٍ وَلا امْرأةٍ, وَلَكِنّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشَرَةً مِنَ الوَلَـد, فَتَــيامَنَ سِـتّةٌ, وَتَشـاءَمَ أرْبَعَةٌ, فأمّا الّذِين تَشاءَمُوا: فَلَــخْمٌ, وَجُـذَامُ, وَعامِلَـةُ, وَغَسّـانُ وأمّـا الّـذِينَ تَـيامَنُوا: فَكِنْدَةُ, والأشْعَرِيّونَ, والأزْدُ, وَمَذْحِجُ, وحِمْيَر, وأنْـمَارُ» فقال رجل: ما أنـمار؟ قال: «الّذِينَ مِنْهُمْ خَثْعَمُ وَبجِيْـلَةُ».

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا العَنْقَزيّ, قال: أخبرنـي أسباط بن نصر, عن يحيى بن هانىء الـمراديّ, عن أبـيه, أو عن عمه «أسباطٌ شكّ» قال: قــدم فَرْوة بن مُسَيك علـى رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم فقـال: يـا رسـول الله, أخبرنـي عن سبإ, أجبلاً كان أو أرضا؟ فقال: «لـم يكُـنْ جَبَلاً وَلا أرْضـا, ولَكِنّهُ كان رَجُلاً مِنَ العَرَبِ وَلَدَ عَشَرَةَ قَبـائِلَ», ثم ذكر نـحوه, إلا أنـه قـال: «وأنـمار الذين يقولون منهم بجيـلة وخثعم».

فإن كان الأمر كما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, من أن سَبَأ رجل, كان الإجراء فـيه وغير الإجراء معتدلـين. أما الإجراء فعلــى أنـه اسـم رجل معروف, وأما ترك الإجراء فعلـى أنـه اسـم قبـيــلة أو أرض. وقـد قـرأ بكل واحدة منهما علـماء من القرّاء.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: «فِـي مَسـاكِنِهِمْ» فقرأتـه عامـة قـرّاء الــمدينة والبصـرة وبعـض الكوفـيــين: «فــي مسـاكنهم» علــى الــجماع بـمعنى منازل آل سبأ. وقرأ ذلـك عامـة قـرّاء الكوفـيــين «فِــي مَسْـكِنِهِمْ» علـى التوحيد وبكسر الكاف, وهي لغة لأهل الـيـمن فـيــما ذُكـر لــي. وقـرأ حمزة: مَسْكَنِهِمْ علـى التوحيد وفتـح الكاف.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن كلّ ذلك قراءات متقاربات المعنى, فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: آيَةٌ قد بيّنا معناها قبل. وأما قوله: جَنّتانِ عَن يَمِينٍ وَشِمالٍ فإنه يعني: بستانان كانا بين جبلين, عن يمين من أتاهما وشماله. وكان من صنفهما فيما ذكر لنا ما:

21973ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا سليمان, قال: حدثنا أبو هلال, قال: سمعت قتادة, في قوله: لَقَدْ كانَ لِسَبإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنّتانِ عَنْ يَمِينٍ وشِمالٍ قال: كانت جنتان بين جبلين, فكانت المرأة تُخَرْجُ, مِكتَلُها على رأسها, فتمشي بين جبلين, فيمتلىء مِكتَلُها, وما مست بيدها, فلما طَغَوا بعث الله عليهم دابة, يقال لها «جُرَذ», فنقَبت عليهم, فغرقتهم, فما بقي لهم إلا أثْل, وشيء من سِدْرٍ قليل.

21974ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لَقَدْ كانَ لِسَبإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمالٍ... إلى قوله: فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ قال: ولم يكن يرى في قريتهم بعوضة قط, ولا ذُباب, ولا بُرْغوث, ولا عَقْرب, ولا حَية, وإنْ كان الركبُ ليأتون وفي ثيابهم القُمّل والدّوابّ, فما هم إلا أن ينظروا إلى بيوتهم, فتموتَ الدوابّ, قال: وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين, فيمسك القُفّة على رأسه, فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئا بيده قال: والسّدّ يسقيها.

ورُفعت الجنتان في قوله: جَنّتانِ عنْ يَمِينٍ وشِمالٍ ترجمة عن الآية, لأن معنى الكلام: لقد كان لسبأ في مسكنهم آية هي جنتان عن أيمانهم وشمائلهم.

وقوله: كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبّكُمْ الذي يرزقكم من هاتين الجنتين من زروعهما وأثمارهما, وَاشْكُرُوا لَهُ على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك وإلى هذا منتهى الخبر, ثم ابتدأ الخبر عن البلدة, فقيل: هذه بلدة طيبة: أي ليست بسبخة, ولكنها كما ذكرنا من صفتها عن عبد الرحمن بن زيد أن كانت كما وصفها به ابن زيد, من أنه لم يكن فيها شيء مؤذ, الهمج والدبيب والهوامّ وَرَبّ غَفُورٌ يقول: وربّ غفور لذنوبكم إن أنتم أطعتموه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21975ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: بَلْدَةٌ طَيّبَةٌ وَرَبّ غَفُورٌ وربكم غفور لذنوبكم, قوم أعطاهم الله نعمة, وأمرهم بطاعته, ونهاهم عن معصيته.

الآية : 16 - 17

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدّلْنَاهُمْ بِجَنّاتِهِمْ جَنّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجْزِيَ إِلاّ الْكَفُورَ }.

يقول تعالى ذكره: فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدّت عن اتباع ما دعتها إليه رسلها من أنه خالقها, كما:

21976ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن وهب بن منبه اليماني, قال: لقد بعث الله إلى سبإ, ثلاثة عشر نبيا, فكذّبوهم فأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ يقول تعالى ذكره: فثقبنا

علـيهم حين أعرضـوا عـن تصـديق رسـلنا سـدّهم الـذي كـان يحبـس عنهـم السيول.

والعرم: الـمسناة التـي تـحبس الـماء, واحدها: عرمة, وإياه عنى الأعشى بقوله:

فَفِـي ذَاكَ لِلْـمُؤْتَسِي أُسْوَةٌوَمأْرِبُ عَفّـى عَلَـيْهِ العَرِمْ
رِجامٌ بَنَتْهُ لَهم حِمْيَرٌإِذَا جاءَ ماؤُهُمُ لَـمْ يَرِمْ

وكان العرم فـيـما ذُكر مـما بنته بلقـيس. ذكر من قال ذلك:

21977ـ حدثنا أحمد بن إبراهيـم الدورقـي, قال: ثنــي وهـب بـن جريـر, قـال: حـدثنا أبــي, قـال: سـمعت الــمغيرة بـن حكيــم, قـال: لــما ملكـت بلقـيس, جعل قومها يقتتلـون علــى مـاء واديهـم قـال: فجعلـت تنهـاهم فلا يطيعونها فتركت مُلكها, وانطلقت إلـى قصر لها, وتركتهم فلــما كـثر الشـرّ بـينهم, وندموا أتوها, فأرادوهـا علــى أن ترجـع إلــى مُلكهـا, فـأبت فقـالوا: لترجعنّ أو لنقتلنك, فقالت: إنكـم لا تطيعوننــي, ولــيست لكـم عقـول, ولا تطيعونـي, قالوا: فإنا نطيعك, وإنا لـم نـجد فـينا خيرا بعدك, فجاءت فأمرت بواديهم, فسدّ بـالعرم. قال أحمد, قال وهب, قال أبــي: فسـألت الــمغيرة بن حكيــم عـن العـرم, فقـال: هـو بكلام حِمْيـر الــمُسنّاة فسـدّت مـا بــين الـجبلـين, فحبست الـماء مـن وراء السـدّ, وجعلـت لـه أبوابــا بعضـها فـوق بعض, وبنت من دونه بركة ضخمة, فجعلت فـيها اثنـي عشـر مخرجـا علــى عدّة أنهارهم فلــما جـاء الــمطر احتبـس السيــل مـن وراء السـدّ, فـأمرت بـالبـاب الأعلـى ففُتـح, فجـرى مـاؤه فــي البركـة, وأمـرت بــالبعر فألقــي فـيها, فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض, فلـم تزل تضيق تلك الأنهـار, وترسل البعر فـي الـماء, حتـى خرج جميعا معا, فكانت تقسمه بـينهم علـى ذلك, حتـى كان من شأنها وشأن سلـيـمان ما كان.

21978ـ حدثنا أحمد بن عمر البصري, قال: حدثنا أبـو صالـح بـن زريـق, قال: أخبرنا شريك, عن أبـي إسحاق, عن أبـي ميسرة, فـي قـوله فأَرْسَـلْنا عَلَـيْهِمْ سَيْـلَ العَرِمِ قال: الـمسناة بلـحن الـيـمن.

21979ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: سَيْـلَ العَرِمِ قال: شديد.

وقـيـل: إن العرم: اسم واد كان لهؤلاء القوم. ذكر من قال ذلك:

21980ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: فأَرْسَـلْنا عَلَــيْهِمْ سَيْــلَ العَـرِمِ قـال: واد كـان بـاليــمن, كـان يسيــل إلــى مكـة, وكـانوا يسـقون وينتهـي سيـلهم إلـيه.

21981ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قَتـادة فأَرْسَلْنا عَلَـيْهِمْ سَيْـلَ العَرِمِ ذُكر لنا أن سيـل العرم واد كانت تـجتــمع إلــيه مسايــل مـن أوديـة شتــى, فعمـدوا فسـدّوا مـا بــين الـجبلــين بـالقــير والـحجارة, وجعلوا علـيه أبوابـا, وكانوا يأخذون من مـائه مـا احتـاجوا إلــيه, ويسدّون عنهم ما لـم يعنوا به من مائه شيئا.

21982ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول, فـي قوله: فأَرْسَـلْنا عَلَــيْهِمْ سَيْــلَ العَـرِمِ وَاد يُدعى العَرِم, وكان إذا مُطِر سالت أودية الـيـمن إلـى العرم, واجتــمع إلــيه

الـماء, فَعمَدَت سَبأُ إلـى العرم, فسدّوا ما بـين الـجبلـين, فحجزوه بـالصخر والقار, فـانسدّ زمانا من الدهر, لا يَرْجون الـماء, يقول: لا يخافون.
وقال آخرون: العَرِم: صفة للـمُسَنّاة التـي كانت لهم ولـيس بـاسم لهـا. ذكر من قال ذلك:
21983ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنـي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: سَيْـلَ العَـرِمِ يقـول: الشـديد, وكـان السـبب الذي سبب الله لإرسال ذلك السيـل علـيهمَ فـيـما ذُكر لـي جُرذا ابتعثه اللـه علـى سدّهم, فثقب فـيه ثقبـا.
ثم اختلف أهل العلـم فـي صفة ما حدث عن ذلك الثقـب مـما كـان فـيه خَراب جَنتـيهم.
فقال بعضهم: كان صفة ذلك أن السيـل لـما وجد عملاً فـي السـدّ عمِـل فـيه, ثم فـاض الـماء علـى جناتهم, فغرّقهـا وخـرّب أرضـهم وديـارهم. ذكـر من قال ذلك:
21984ـ حدثنا ابـن حميـد, قـال: حـدثنا سلـمة, قـال: ثنـي مـحمد بـن إسحاق, عن وهب بن مُنَبه اليـمانـي, قال: كان لهم, يعنـي لسبأ سـدّ, قـد كانوا بنوْه بنـيانا أبدا, وهو الـذي كـان يَـرُدّ عنهـم السيـل إذا جـاء أن يغشـى أموالهم. وكان فـيـما يزعمون فـي علـمهم مـن كَهـانتهم, أنـه إنـما يخـرّب علـيهم سدّهم ذلك فأرة, فلـم يتركوا فُرْجة بـين حجريـن, إلا ربطـوا عنـدها هرّة فلـما جاء زمانه, وما أراد الله بهم من التغريق, أقبلـت فـيـما يـذكرون فأرة حمراء إلـى هرّة من تلك الهِرر, فسـاورتها, حتـى اسـتأخرت عنهـا أي الهرة, فدخـلت فـي الفُرجة التـي كانت عندها, فغلغلت فـي السدّ, فحفرت فـيه حتـى وَهّنته للسيـل وهم لا يدرون فلـما جاء السيـل وجد خَـلَلاً, فدخـل فـيه حتـى قلع السدّ, وفـاض علـى الأموال, فـاحتـملها فلـم يُبْق منهـا إلا مـا ذكره الله فلـما تفرّقوا نزلوا علـى كَهانة عمران بن عامر.
21985ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: لـما ترك القوم أمر الله, بعث الله علـيهم جُرَذا يسـمى الـخُـلْد, فنَقبـه مـن أسفله حتـى غرّق به جناتُهم, وخَرب به أرضهم عقوبة بأعمالهم.
21986ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول: لـما طغَـوْا وبَغَـوْا, يعنـي سَـبَأ, بعث الله علـيهم جُرَذا, فخَرَق علـيهم السّدّ, فأغرقهم الله.
21987ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد: بعـث الله علـيه جُ رَذا, وسلّطه علـى الـذي كـان يحبـس الـماء الـذي يَسقـيها, فأخرب فـي أفواه تلك الـحجارة, وكلّ شيء منها من رَصاص وغيـره, حتـى تركها حِجارة, ثم بعث الله سيـل العرم, فـاقتلع ذلك السّدّ, وما كان يحبـس, واقتلـع تلـك الـجنتـين, فـذهب بهمـا وقـرأ: فأرْسَـلْنا عَلَـيْهِمْ سَيْـلَ العَـرِمِ وَبَدّلْناهُمْ بِجَنّتَـيْهِمْ جَنّتَـيْنَ قال: ذهب بتلك القُرى والـجنتـين.
وقال آخرون: كانت صفة ذلك أن الـماء الذي كانوا يعمُرُون به جَناتهم سال إلـى موضع غير الـموضع الذي كانوا ينتفعون به, فبذلك خربت جنـاتهم. ذكـر من قال ذلك:
21988ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قال: بعث اللـه علـيهم, يعنـي علـى العرم, دابة من الأرض, فثَقَبت فـيه ثَقبـا, فسال ذلك الـماء إلـى موضع غير

الموضع الذي كانوا ينتفعون به, وأبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين ذواتي أُكُلٍ خَمْط, وذلك حين عَصَوا, وبَطِروا المعيشة.

والقول الأوّل أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل, وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم, ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإسالته عليهم, أو على جناتهم وأرضهم, لا بصرفه عنهم.

وقوله: وَبَدّلْناهُمْ بِجَنّتَيْهِمْ جَنّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ يقول تعالى ذكره: وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار, بساتين من جَنى ثمر الأراك, والأراك: هو الخَمْط. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

21989ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قال: أبدلهم الله مكان جنّتيهم جنتين ذواتي أُكُلٍ خَمْط, والخمْط: الأراك.

21990ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن أبي رجاء, قال: سمعت الحسن, يقول في قوله: ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ قال: أراه قال: الخَمْط: الأراك.

21991ـ حدثني محمد بن عمارة, قال: ثني عبد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد أُكُلٍ خَمْطٍ قال: الخمْط: الأراك.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ قال: الأراك.

21992ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ والخمط: الأراك, وأُكُلُه: بريره.

21993ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: وَبَدّلْناهُمْ بِجَنّتَيْهِمْ جَنّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ قال: بدّلهم الله بجنان الفواكه والأعناب, إذ أصبحت جناتهم خَمْطا, وهو الأراك.

21994ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَبَدّلْناهُمْ بِجَنّتَيْهِمْ جَنّتَيْنِ قال: أذهب تلك القرى والجنتين, وأبدلهم الذي أخبرك ذواتي أكل خَمْط قال: فالخَمْط: الأراك, قال: جعل مكان العنب أراكا, والفاكهة أثْلاً, وشيء من سدر قليل.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار بتنوين أُكُلٍ غيرَ أبي عمرو, فإنه يضيفها إلى الخمط, بمعنى: ذواتي ثمرِ خَمْطٍ. وأما الذين لم يضيفوا ذلك إلى الخَمْط, وينوّنون الأُكُل, فإنهم جعلوا الخمط هو الأُكُل, فردّوه عليه في إعرابه. وبضم الألف والكاف من الأُكُل قرأت قرّاء الأمصار, غير نافع, فإنه كان يخفف منها.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه: ذَوَاتَيْ أُكُلٍ بضم الألف والكاف لإجماع الحجة من القرّاء عليه, وبتنوين أُكُلٍ لاستفاضة القراءة بذلك في قُرّاء الأمصار, من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك بإضافته إلى الخمط وذلك في إضافته وترك إضافته, نظيرُ قول العرب: في بُستان فلان أعنابُ كَرْمٍ وأعنابٌ كَرْمٌ, فتضيف أحيانا الأعناب إلى الكرم, لأنها منه, وتنوّن أحياناً, ثم تترجم بالكرم عنها, إذ كانت الأعنابُ ثمرَ

الكَرْم. وأما الأَثْل فإنه يقال له الطّرْفاء وقيل: شجر شبيه بالطّرْفاء, غير أنه أعظم منها. وقيل: إنها السّمُر. ذكر من قال ذلك:
21995ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس وأَثْلٍ, قال: الأثل: الطرفاء.
وقوله: وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ يقول: ذواتي أُكُل خَمْطٍ وأَثْلٍ وشيءٍ من سدر قليل.
وكان قتادة يقول في ذلك ما:
21996ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: ثني سعيد, عن قتادة ذَوَاتَي أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ قال: بينما شجر القوم خير الشجر, إذ صيره الله من شرّ الشجر بأعمالهم.
وقوله: ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِمَا كَفَرُوا يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم, حتى هلكت أموالهم, وخَرِبت جناتهم, جزاء منّا على كفرهم بنا, وتكذيبهم رسلنا «وذلك» من قوله: ذلكَ جَزَيْناهُمْ في موضع نصب بوقوع جزيناهم عليه ومعنى الكلام: جزيناهم ذلك بما كفروا.
وقوله: وَهَلْ نُجازِي إلاّ الكَفُورَ اختلفت القرّاء في قراءته, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة, وبعضُ أهل الكوفة: «وَهَلْ يُجازَي» بالياء وبفتح الزاي على وجه ما لم يُسَمّ فاعله «إلاّ الكَفُورُ» رفعا. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: وَهَلْ نُجازِي بالنون وبكسر الزاي إلاّ الكَفُورَ بالنصب.
والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. ومعنى الكلام: كذلك كافأناهم على كفرهم بالله, وهل يُجازَي إلا الكفور لنعمة الله؟.
فإن قال قائل: أو ما يجزي الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصالحة, فيخصّ أهل الكفر بالجزاء؟ فيقال وهل يجازي إلا الكفور؟ قيل: إن المجازاة في هذا الموضع: المكافأة, والله تعالى ذكره وعد أهل الإيمان به التفضل عليهم, وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشرَ أمثالها إلى ما لا نهاية له من التضعيف, ووعد المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته, مثلَها مكافأة له على جُرمه, والمكافأة لأهل الكبائر والكفر والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل, فلذلك قال جلّ ثناؤه في هذا الموضع: «وَهَلْ يُجازَي إلاّ الكَفُورُ»؟ كأنه قال جلّ ثناؤه: لا يجازَي: لا يكافأ على عمله إلا الكفور, إذا كانت المكافأة مثل المكافَأ عليه, والله لا يغفر له من ذنوبه شيئا, ولا يُمَحّصُ شيء منها في الدنيا. وأما المؤمن فإنه يتفضل عليه على ما وصفتُ.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
21997ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَهَلْ نُجازِي: نعاقِب.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إلاّ الكَفُورَ إن الله تعالى إذا أراد بعبده كرامة تقبّل حسناته, وإذا أراد بعبده هوانا أمسك عليه ذنوبه حتى يُوَافيَ به يوم القيامة. قال: وذُكر لنا أن رجلاً بينما هو في طريق من طرق المدينة, إذا مرّت به امرأة, فأتبعها بصره, حتى أتى على حائط, فشجّ وجهه, فأتى

نبـيّ الله ووجهه يسيـل دما, فقال: يا نبـيّ اللـه فعلـت كـذا وكـذا, فق ال لـه نبـيّ الله: «إنّ اللّهَ إذَا أرَادَ بِعَبْدٍ كَرَامَةً, عَجّلَ لَهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ فِـي الدنـيا, وإذَا أرَادَ اللّهُ بِعَبْدٍ هَوَانا أمْسَكَ عَلَـيْهِ ذَنْبَهُ حتـى يُوَافِـيَ بِهِ يَوْمَ القِـيامَةِ, كأنّهُ عَيرٌ أبْتَر».

الآية : 18

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الّتِي بَارَكْنَا فِيهَـا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدّرْنَا فِيهَا السّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيّاماً آمِنِينَ }.

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن نعمته التـي كان أنعمها علـى هـؤلاء القـوم الذين ظلـموا أنفسهم. وجعلنا بـين بلدهم وبـين القُـرى التـي بـاركنا فـيها وهي الشأم, قُرًى ظاهرة. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

21998ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد قـوله: القُـرَى التـي بـارَكْنا فِـيها قـال: الشأم.

21999ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَجَعَلْنا بَـيْنَهُمْ وَبَـينَ القُرَى الّتِـي بـارَكْنا فِـيها يعنـي الشأم.

حدثنـي علـيّ بن سهل, قال: حدثنا حجاج, عن ابن جُرَيـج, عـن مـجاهد القُرَى التـي بـارَكْنا فِـيها قال: الشأم.

وقـيـل: عُنِـي بـالقرى التـي بُورِك فـيَها بـيت الـمقدس. ذكر من قال ذلك:

22000ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس وَجَعَلْنا بَـيْنَهُمْ وَبَـينَ القُرَى التـي بـارَكْنا فِـيها قُرًى ظاهِرَةً قال: الأرض التـي بـاركنا فـيها: هي الأرض الـمقدسة.

وقوله: قُرًى ظاهِرَةً يعنـي: قُرًى متصلة, وهي قُرًى عَرَبِـيّةٌ. وبنـحو الـذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22001ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابـن علـية, عـن أبـي رجـاء, قـال: سمعت الـحسن, فـي قوله: وَجَعَلْنا بَـيْنَهُمْ وَبَـينَ القُـرَى التـي بـارَكْنا فِـيها قُرًى ظاهِرَةً قال: قُرًى متواصلة, قال: كان أحدهم يغدو فَـيَقِـيـل فـي قريـة ويَرُوح, فـيأوِي إلـى قرية أخرى. قال: وكـانت الـمرأة تضـع زِنْبِـيـلها علـى رأسها, ثم تـمتهن بـمغزلها, فلا تأتـي بـيتها حتـى يـمتلـىء من كلّ الثمار.

22002ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قُـرًى ظاهِرَةً: أي متواصلة.

22003ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عـن ابـن عبـاس, قـوله: قُـرًى ظـاهِرَةً يعنـي: قُـرَى عَرَبِـيّةً, بـين الـمدينة والشام.

22004ـ حدثنـي مـحمد بن عمـرو, قـال: ثنـي أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: ثناء ورقاء, جميعا عـن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: قُرًى ظاهِرَةً قال: السّرَوَات.

22005ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: قُرًى ظـاهِرَةً يعنـي: قُـرَى عَرَبِـيّةً, وهي بـين الـمدينة والشأم.

22006ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد, في قوله: وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَينَ القُرَى التي بارَكْنا فِيها قُرًى ظاهِرَةً قال: كان بين قريتهم وبين الشأم قُرًى ظاهرة, قال: إن كانت المرأة لتَخرجُ معها مِغْزلها ومِكتلُها على رأسها, تروح من قريةٍ وتغدوها, وتبيت في قرية لا تحمل زادا ولا ماء لما بينها وبين الشأم.

وقوله: وَقَدّرْنا فِيها السّيْرَ يقول تعالى ذكره: وجعلنا بين قُراهم والقرى التي باركنا فيها سيرا مقدّرا من منزل إلى منزل, وقرية إلى قرية, لا ينزلون إلا في قرية, ولا يغدون إلا من قرية.

وقوله: سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وأيّاما آمِنينَ يقول: وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ما بين قراكم, والقرى التي باركنا فيها لياليَ وأياما, آمنين لا تخافون جوعا ولا عطشا, ولا من أحد ظلما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22007ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وأيّاما آمِنِينَ: لا يخافون ظلما ولا جوعا, وإنما يغدون فَيقِيلون, ويروحون فيبيتون في قريةٍ أهل جنة ونهر, حتى لقد ذُكر لنا أن المرأة كانت تضع مِكتلها على رأسها, وتمتهن بيدها, فيمتلىء مكتلها من الثمر قبل أن ترجع إلى أهلها من غير أن تخترف شيئا, وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادا ولا سِقاء مما بُسِط للقوم.

22008ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأيّاما آمِنِينَ قال: ليس فيها خوف.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقَالُواْ رَبّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزّقْنَاهُمْ كُلّ مُمَزّقٍ إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَاتٍ لّكُلّ صَبّارٍ شَكُورٍ }.

اختلَف القرّاء في قراءة قوله: رَبّنا باعِدْ بينَ أسْفارِنا فقرأته عامة قرّاء المدينة والكُوفة: رَبّنا باعِدْ بينَ أسْفارِنا على وجه الدعاء والمسألة بالألف وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة: «بَعّدْ» بتشديد العين على الدعاء أيضا. وذُكر عن المتقدمين أنه كان يقرؤه: «رَبّنا باعَدَ بَينَ أسْفارِنا» على وجه الخبر من الله أن الله فعل ذلك بهم. وحكي عن آخر أنه قرأه: «ربنا بَعّد» على وجه الخبر أيضا غير أنّ الربّ منادي.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: رَبّنا باعِدْ و«بَعّدْ» لأنهما القراءتان المعروفتان في قرأة الأمصار وما عداهما فغير معروف فيهم على أن التأويل من أهل التأويل أيضا يحقّق قراءة من قرأه على وجه الدعاء والمسألة, وذلك أيضا مما يزيد القراءة الأخرى بُعدا من الصواب.

فإذا كان هو الصواب من القراءة, فتأويل الكلام: فقالوا: يا ربنا باعِدْ بين أسفارنا, فاجعل بيننا وبين الشأم فَلَوات ومَفاوِز, لنركب فيها الرواحل, ونتزوّد معنا فيها الأزواد وهذا من الدلالة على بطَر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم, وجهلهم بمقدار العافية ولقد عجل لهم ربهم الإجابة, كما عجل للقائلين: إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقّ مِنْ عَنْدِكَ فَأمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أعطاهم ما رغبوا إليه فيه وطلبوا من المسألة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22009ـ حدثني أبو خُصَين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عَبْثَر, قال: حدثنا حُصَين, عن أبي مالك في هذه الآية: فَقالُوا رَبّنا باعِدْ بينَ أسْفارِنا قال: كانت لهم قُرًى متصلة باليمن, كان بعضها ينظر إلى بعض, فبطروا ذلك, وقالوا: ربنا باعِدْ بين أسفارنا, قال: فأرسل الله عليهم سَيْل العَرِم, وجعل طعامهم أثْلاً وخَمْطا وشيئا من سدر قليل.

22010ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَقَالُوا رَبّنا باعِدْ بَيْنَ أسْفَارِنَا وظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ قال: فإنهم بطِروا عيشهم, وقالوا: لو كان جَنَى جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهيه, فمُزّقوا بين الشأم وسبأ, وبدّلوا بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل, وشيء من سدر قليل.

22011ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَقالُوا رَبّنا باعِدْ بينَ أسْفارِنا بطر القوم نعمة الله, وغَمَطوا كرامة الله, قال الله وَظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أحادِيثَ.

22012ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَقالُوا رَبّنا باعِدْ بَينَ أسْفارِنا حتى نبيت في الفَلَوات والصحاري فَظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ.

وقوله فَظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ وكان ظلمهم إياها عَمَلَهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه, مما يوجب لهم عقاب الله فجَعَلْناهُمْ أحادِيثَ يقول: صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل في السبّ, فيقال: تفرّق القوم أيادِي سَبَا, وأيدي سبا, إذا تفرّقوا وتقطّعوا.

وقوله وَمَزّقْناهُمْ كُلّ مُمَزّقٍ يقول: وقطعناهم فِي البلاد كلّ مقطع, كما:

22013ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ فجَعَلْناهُمْ أحادِيثَ وَمَزّقْناهُمْ كُلّ مُمَزّقٍ قال قتادة: قال عامر الشّعْبي: أما غَسّان فقد لَحِقوا بالشأم, وأما الأنصار فلحقوا بَيثرب, وأما خَزَاعة فلحقوا بتهامة, وأما الأزد فلحقوا بعُمان.

22014ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: يزعمون أن عمِران بن عامر, وهو عمّ القوم كان كاهنا, فرأى في كَهانته أن قومه سيمزّقون ويتباعَدُون, فقال لهم: إني قد علمت أنكم سَتُمزّقون, فمن كان منكم ذا همّ بعيد, وجمل شديد, ومزاد جديد, فليلحق بكأس أو كرود, قال: فكانت وادعة بن عمرو ومن كان منكم ذا هم مدنٍ, وأمرد عَنٍ, فليلْحَق بأرض شَنّ, فكانت عوف بن عمرو, وهم الذين يقال لهم بارِق ومن كان منكم يريد عيشا آينا, وحرَما آمنا, فليلحق بالأرزين, فكانت خزاعة ومن كان يريد الراسيات في الوحْل, المطْعِمات في المَحْل, فليلحق بيثرب ذات النخل, فكانت الأوس والخزرج فهما هذان الحيان من الأنصار ومن كان يريد خمرا وخميرا, وذهبا وحريرا, وملكا وتأميرا فليلحق بكُوثىَ وبُصْرَى, فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشأم ومن كان منهم بالعراق. قال ابن إسحاق: قد سمعت بعض أهل العلم يقول: إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمران بن عامر, وكانت كاهنة, فرأت في كهانتها ذلك, والله أعلم أيّ ذلك كان قال: فلما تفرّقوا, نزلوا على كهانة عمران بن عامر.

وقوله: إنّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِكُلّ صَبّارٍ شَكُورٍ يقول تعالى ذكره: إن في تمزيقناهم كلّ ممزّق لآيات يقول: لعظة وعِبْرة ودلالة على واجب حق

الله على عبده من الشكر على نعمه إذا أنعم عليه, وحقه من الصبر على محنته إذا امتحنه ببلاء لكلّ صبار شكور على نعمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22015ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ فِي ذلكَ لآيَاتٍ لِكُلّ صَبّارٍ شَكُورٍ كان مطرّف يقول: نعم العبد الصّبار الشكور, الذي إذا أعطي شكر, وإذا ابتلي صبر.

الآية : 20

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنّهُ فَاتّبَعُوهُ إِلاّ فَرِيقاً مّنَ الْمُؤْمِنِينَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَلَقَدْ صَدّقَ عَلَـيْهِمْ إبْلِيسُ ظَنّهُ فقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: وَلَقَدْ صَدّقَ بتشديد الدال من صَدّق, بمعنى أنه قال ظنا منه: وَلا تَجِد أكْثرَهُمْ شاكِرِينَ وقال: فَبِعِزّتِكَ لأغَوْيَنّهُمْ أجَمعِينَ إلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ ثم صدّق ظنه ذلك فيهم, فحقّق ذلك بهم, وباتباعهم إياه. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والشأم والبصرة «وَلَقَدْ صَدَقَ» بتخفيف الدال, بمعنى: ولقد صدق عليهم ظنه.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى وذلك أن إبليس قد صدَق على كفرة بني آدم في ظنه, وصدق عليهم ظنّه الذي ظنّ حين قال: ثُمّ لآتِيَنّهُمْ مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ, وحين قال: وَلأُضِلّنّهُمْ وَلأُمَنّيَنّهُمْ... الآية, قال ذلك عدوّ الله, ظنا منه أنه يفعل ذلك لا علما, فصار ذلك حقا باتباعهم إياه, فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب. فإذا كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام على قراءة من قرأ بتشديد الدال: ولقد ظنّ إبليس بهؤلاء الذين بدّلناهم بجنّتيهم جنتين ذواتي أكل خمط, عقوبة منا لهم, ظنا غير يقين, علم أنهم يتبعونه ويطيعونه في معصية الله, فصدق ظنه عليهم, بإغوائه إياهم, حتى أطاعوه, وعصوا ربهم, إلا فريقا من المؤمنين بالله, فإنهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية إبليس.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22016ـ حدثني أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, قال: أخبرني عمرو بن مالك, عن أبي الجوزاء, عن ابن عباس أنه قرأ: وَلَقَدْ صَدّقَ عَلَـيْهِمْ إبْلِيسُ ظَنّهُ مشددة, وقال: ظنّ ظنا, فصدّق ظنه.

22017ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد وَلَقَدْ صَدّقَ عَلَـيْهِمْ إبْلِيسُ ظَنّهُ قال: ظنّ ظنا فاتبعوا ظنه.

22018ـ قال: ثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَقَدْ صَدّقَ عَلَـيْهِمْ إبْلِيسُ ظَنّهُ قال ألله: ما كان إلا ظنا ظنه, والله لا يصدّق كاذبا, ولا يكذّب صادقا.

22019ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَقَدْ صَدّقَ عَلَـيْهِمْ إبْلِيسُ ظَنّهُ قال: أرأيت هؤلاء الذين كرّمتهم عليّ, وفضّلتهم وشرّفتهم, لا تجد أكثرهم شاكرين, وكان ذلك ظنا منه بغير علم, فقال الله: فاتّبَعُوهُ إلاّ فَرِيقا منَ المُؤْمِنِينَ.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مّن سُلْطَانٍ إِلاّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكّ وَرَبّكَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ حَفِيظٌ }.

يقول تعالى ذكره: وما كان لإبليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حُجة يضلهم بها, إلا بتسليطناه عليهم, لِيعلم حزبُنا وأولياؤنا مَنْ يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ يقول: من يصدّق بالبعث والثواب والعقاب مِمّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكّ فلا يُوقِن بالمعاد, ولا يصدّق بثواب ولا عقاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22020ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ قال: قال الحسن: والله ما ضربهم بعصا ولا سَيف ولا سَوْط, إلا أمانيّ وغرورا دعاهم إليها.

22021ـ قال: ثنا سعيد, عن قتادة قوله: إلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ مِمّنْ هُوَ مِنْها فِي شكّ قال: وإنما كان بلاءً ليَعلم الله الكافر من المؤمن.

وقيل: عُنِي بقوله: إلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ إلا لنعلم ذلك موجودا ظاهرا ليستحقّ به الثواب أو العقاب.

وقوله: وَرَبّكَ على كُلّ شَيْءٍ حَفِيظٌ يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به, وغير ذلك من الأشياء كلها حَفِيظٌ لا يعزب عنه علم شيء منه, وهو مُجازٍ جميعَهم يوم القيامة, بِما كسبوا في الدنيا من خير وشرّ.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلِ ادْعُواْ الّذِينَ زَعَمْتُمْ مّن دُونِ اللّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرّةٍ فِي السّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مّن ظَهِيرٍ }.

يقول تعالى ذكره: فهذا فعلُنا بولينا ومن أطاعنا, داود وسليمان الذي فعلنا بهما من إنعامنا عليهما النعم التي لا كفاءَ لها إذ شكرانا, وذاك فعلنا بسَبَإ الذين فعلنا بهم, إذ بَطِروا نعمتنا, وكذّبوا رسلنا, وكفروا أيادَينا, فقل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك, الجاحدين نعمنا عندهم: ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شريك من دونه, فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا, بالذين وصفنا أمرهم من إنعام أو إياس, فإن لم يقدروا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون, لأن الشركة في الربوبية لا تصلح ولا تجوز, ثم وصف الذين يدعون من دون الله, فقال: إنهم لا يملكون مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض من خير ولا شرّ ولا ضرّ ولا نفع, فكيف يكون إلها من كان كذلك. وقوله: وَما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ يقول تعالى ذكره: ولا هم إذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض, منفردين بملكه من دون الله, يملكونه على وجه الشّرِكة, لأن الأملاك في المملوكات, لا تكون لمالكها إلا على أحد وجهين: إما مقسوما, وإما مُشَاعا يقول: وآلهتهم التي يدعون من دون الله, لا يملكون وزن ذَرّة في السموات ولا في الأرض, لا مُشاعا ولا مقسوما, فكيف يكون من كان هكذا شريكا لمن له ملك جميع ذلك. وقوله: وَما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ يقول: وما لله من الآلهة التي يدعون من دونه مُعِين على خلق شيء من ذلك, ولا على حفظه, إذ لم يكن لها ملك شيء منه مُشاعا ولا مقسوما, فيقال: هو

لك شريك من أجل أنه أعان وإن لـم يكن له ملك شـيء منـه. وبنــحو الـذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22022ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُلِ ادْعُوا الّذِينَ زَعَمْتُـمْ مِنْ دُونِ اللّهِ لاَ يـمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرّةٍ فِـي السّــمَوَاتِ وَلاَ فِـي الأرْضِ وَما لَهُمْ فِــيهِما مِـنْ شِـرْكٍ يقـول: مـا للـه مـن شـريك فــي السماء ولا فـي الأرض وما لَهُ مِنْهمْ من الذين يدعون من دون الله مِن ظهيرٍ من عون بشيء.

الآية : 23

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلاَ تَنفَعُ الشّفَاعَةُ عِنـدَهُ إِلاّ لِمَـنْ أَذِنَ لَـهُ حَتّىَ إِذَا فُزّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبّكُمْ قَالُواْ الْحَقّ وَهُوَ الْعَلِـيّ الْكَبِيـرُ}.
يقول تعالـى ذكره: ولا تنفع شفـاعة شافع كائنا من كان الشافع لـمن شَفَع له, إلا أن يشفع لــمن أذن اللـه فـي الشفـاعة. يقـول تعالـى: فـإذا كانت الشفـاعات لا تنفع عند الله أحدا إلا لـمن أذِن الله فـي الشفـاعة له, والله لا يأذن لأحد من أولـيائه فـي الشفـاعة لأحد من الكفرة به, وأنتـم أهل كفر بـه أيها الـمشركون, فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعمـا منكـم أنكـم تعبدونه, لـيقرّبكم إلـى الله زُلْفَـى, ولـيشفع لكم عند ربكم «فمـن» إذ كـان هذا معنى الكلام التـي فـي قوله إلاّ لِـمَنْ أَذِنَ لَهُ: الـمشفوع له.
واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: أَذِنَ لَهُ فقرأ ذلك عامة القرّاء بضم الألف مِن «أَذِنَ لَهُ» علـى وجه ما لـم يسمّ فـاعله. وقـرأه بعـض الكوفـيــين: أَذِنَ لَهُ علـى اختلاف أيضا عنه فـيه, بـمعنى أذن الله له.
وقوله: حتـى إذَا فُـزّعَ عَـنْ قُلُـوبِهِمْ يقـول: حتـى إذا جُلِـيَ عـن قلـوبهم, وكشف عنها الفزع وذهب.
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك: 22023ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابــن عبـاس, قوله: حتـى إذَا فُزّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ يعنـي: جُلِـيَ.
22024ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد حتـى إذَا فُزّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قال: كشف عنهــا الغطاء يوم القـيامة.
22025ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: إذا جلـي عن قلوبهم.
واختلف أهل التأويـل فـي الـموصوفـين بهذه الصفة مَنْ هُم؟ وما السـبب الذي من أجلـه فُـزّع عـن قلـوبهم؟ فقـال بعضـهم: الـذي فُـزّع عـن قلـوبهم الـملائكة, قالوا: وإنـما يفزّع عن قلوبهم مـن غشـية تصـيبهم عنـد سـماعهم الله بـالوحي. ذكر من قال ذلك:
22026ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَـية, عن داود, عن الشّعبــيّ, قال: قال ابن مسعود فـي هذه الآيـة: حتــى إذَا فُـزّعَ عَـنْ قُلُـوبِهِمْ قـال: إذا حدث أمر عند ذي العرش سَمع مَن دونه من الـملائكة صوتا كجــرّ السلسـلة علـى الصفـا, فـيُغْشى علـيهم, فإذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادَوا: ماذَا قالَ رَبّكُمْ قال: فـيقول من شاء, قال: الـحقّ, وهو العلـيّ الكبـير.

22027ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت داود, عن عامر, عن مسروق قال: إذا حدث عند ذي العرش أمر سمعت الملائكة صوتا, كجرّ السلسلة على الصفا, قال: فيُغْشَى عليهم, فإذا فُزّع عن قلوبهم, قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: فيقول من شاء الله: الحَقّ, وهو العليّ الكبير.

حدثنا ابن المثنى, قال: ثني عبد الأعلى, قال: حدثنا داود, عن عامر, عن ابن مسعود, أنه قال: إذا حدث أمر عند ذي العرش, ثم ذكر نحو معناه إلاّ أنه قال: فيُغْشَى عليهم من الفزع, حتى إذا ذهب ذلك عنهم تنادوا: ماذا قال ربكم؟

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن إبراهيم, عن عبد الله بن مسعود, في قوله: حتى إذَا فُزّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قال: إن الوحي إذا أُلقي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان, قال: فيتنادون في السموات. ماذا قال ربكم؟ قال: فيتنادون: الحَقّ, وهو العليّ الكبير.

وبه عن منصور, عن أبي الضّحَى, عن مسروق, عن عبد الله, مثله.

22028ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: يُنَزّلُ الأمرُ من عند ربّ العزّة إلى السماء الدنيا, فيفُزَع أهل السماء الدنيا, حتى يستبين لهم الأمر الذي نُزّل فيه, فيقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحقّ, وهو العليّ الكبير, فذلك قوله: حتى إذَا فُزّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ... الآية.

22029ـ حدثنا أحمد بن عَبْدة الضّبيّ, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن عكرمة, قال: حدثنا أبو هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ اللّهَ إذَا قَضَى أمْرا فِي السّماءِ ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بأجْنِحَتِها جَمِيعا, ولقوله صوت كصوت السلسلة على الصفا الصّفْوان, فذلك قوله»: حتى إذَا فُزّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ماذَا قالَ رَبّكُمْ قالُوا الحقّ وَهُو العَلِيّ الكَبِيرُ.

22030ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, قال: حدثنا أيوب, عن هشام بن عروة, قال: قال الحارث بن هشام لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ قال: «يَأتِينِي فِي صَلَصَلَةٍ كَصَلْصَلَةِ الجَرَسِ فَيَفْصِمُ عَنّي حِينَ يَفْصِمُ وَقَدْ وَعَيْتُهُ, ويَأتِي أحْيانا فِي مِثْلِ صُورَةِ الرّجُلِ, فَيُكَلّمُنِي بِهِ كَلاما, وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيّ».

22031ـ حدثني زكريا بن أبان المصريّ, قال: حدثنا نعيم, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر, عن ابن أبي زكريا, عن جابر بن حَيْوَة, عن النوّاس بن سمعان, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا أرَادَ اللّهُ أنْ يُوحِيَ بالأمْرِ تَكَلّمَ بالوَحْيِ, أخَذَتِ السّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ أوْ قالَ رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ خَوْفَ أمْرِ اللّهِ, فإذا سَمِعَ بذلكَ أهْلُ السّمَوَاتِ صَعِقُوا وَخَرّوا لِلّهِ سُجّدا, فَيَكُونُ أوّلَ مَنْ يَرْفَعُ رأسَهُ جَبْرائِيلُ, فَيُكَلّمُهُ اللّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أرَادَ, ثُمّ يَمُرّ جَبْرائِيلُ على المَلائِكَةِ كُلّما مَرّ بِسَماءٍ سألَهُ مَلائِكَتُها. ماذَا قالَ رَبّنا يا جَبْرائِيلُ؟ فَيَقُولُ جَبْرَائِيلُ. قالَ الحَقّ وَهُوَ العِلِيّ الكَبِيرُ, قالَ: فَيَقُولُونَ كُلّهُمْ مِثْلَ ما قالَ جَبْرائِيلُ, فَيَنْتَهي جَبْرائِيلُ بالوَحْيِ حَيثُ أمَرَهُ اللّهُ».

22032ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: حتى إذَا فُزّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ... الآية. قال: كان ابن عباس يقول: إن الله لما أراد أن يوحي إلى محمد, دعا جبريل, فلما تكلم ربنا بالوحي, كان صوته كصوت الحديد على الصفا فلما سمع أهل السموات صوت الحديد خرّوا سُجّدا فلما أتيَ عليهم جبرائيل بالرسالة رفعوا رُؤوسهم, فقالوا: ماذَا قالَ رَبّكُمْ قالُوا الحَقّ وَهُوَ العَلِيّ الكَبِيرُ وهذا قول الملائكة.

22033ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله حتى إذَا فُزّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ... إلى وَهُوَ العَلِيّ الكَبِير قال: لما أوحَي الله تعالى ذكره إلى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسولَ من الملائكة, فبعث بالوحْي, سمعت الملائكة صوت الجَبار يتكلم بالوحي فلما كُشِف عن قلوبهم سألوا عما قال الله, فقالوا: الحقّ, وعلموا أن الله لا يقول إلا حَقا, وأنه مُنجز ما وعد. قال ابن عباس: وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوه خرّوا سجّدا فلما رفعوا رؤوسهم قالُوا ماذَا قالَ رَبّكُمْ قالُوا الحَقّ وَهُوَ العَلِيّ الكَبِيرُ ثم أمر الله نبيه أن يسأل الناس قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السّمَوَاتِ... إلى قوله: فِي ضَلالٍ مُبِينٍ.

22034ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا قُرّة, عن عبد الله بن القاسم, في قوله: حتى إذَا فُزّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ... الآية, قال: الوحي ينزل من السماء, فإذا قضاه قالُوا ماذَا قالَ رَبّكُمْ قَالُوا الحَقّ وَهُوَ العَلِيّ الكَبِيرُ.

22035ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن مغيرة, عن إبراهيم, عن عبد الله, في قوله: حتى إذَا فُزّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قال: إن الوحي إذا قَضَى في زوايا السماء, قال: مثل وقع الفُولاذ على الصخرة, قال: فيُشْفِقون, لا يدرون ما حدث, فيفزعون, فإذا مرّت بهم الرسل قالُوا ماذا قالَ رَبّكُمْ قالُوا الحَقّ وَهُوَ العَليّ الكَبِيرُ.

وقال آخرون ممن قال: الموصوفون بذلك الملائكة: إنما يُفَزّع عن قلوبهم فَزعُهُم من قضاء الله الذي يقضيه حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة. ذكر من قال ذلك:

22036ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: حتى إذَا فُزّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ماذَا قالَ رَبّكُمْ... الآية, قال: يوحي الله إلى جبرائيل, فَتَفرّق الملائكة, أو تفزع مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة, فإذا جُلِيَ عن قلوبهم, وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة قالُوا ماذَا قالَ رَبّكُمْ قالُوا الحَقّ وَهُوَ العَلِيّ الكَبِيرُ.

وقال آخرون: بل ذلك من فعل ملائكة السموات إذا مرّت بها المعقّبات فزَعا أن يكون حدث أمر الساعة. ذكر من قال ذلك:

22037ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: حتى إذَا فُزّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ... الآية, زعم ابن مسعود أن الملائكة المُعَقبات الذين يختلفون إلى الأرض يكتبون أعمالهم, إذا أرسلهم الربّ فانحدروا سمع لهم صوت شديد, فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة, فخرّوا سُجّدا, وهكذا كلما مرُوا عليهم يفعلون ذلك من خوف ربهم.

وقال آخرون: بل الـموصوفون بـذلك الـمشركون, قـالوا: وإنـما يُفـزّع الشيطان عن قلوبهم قال: وإنـما يقولون: ماذا قال ربكم عند نزول الـمنـية بهم. ذكر من قال ذلك:

22038ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: حتـى إذَا فُزّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قال: فَزّع الشيطان عـن قلـوبهم وفـارقهم وأمانـيهم, وما كان يضلهم قالُوا مـاذَا قـالَ رَبّكُـمْ قـالُوا الـحَقّ وَهُـوَ العَلِـيّ الكَبِـيرُ قال: وهذا فـي بنـي آدم, وهذا عند الـموت أقرّوا به حين لـم ينفعهـم الإقرار.

وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب, القول الذي ذكره الشّعْبـيّ, عن ابـن مسعود لصحة الـخبر الذي ذكرناه عن ابن عبـاس, عـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بتأيـيده. وإذ كـان ذلـك كـذلك, فمعنـى الكلام: لا تنفـع الشفـاعة عنده, إلا لـمن أذن له أن يشفَع عنده, فإذا أذن الله لـمن أذن لـه أن يشفع فزع لسماعه إذنه, حتـى إذا فُزّع عن قلوبهم, فجُلّـيَ عنها, وكشَف الفزع عنهم, قالوا: ماذا قال ربكـم؟ قـالت الـملائكة: الـحقّ, وهـو العلـيّ علـى كل شيء الكبـير الـذي لا شـيء دونـه. والعـرب تسـتعمل فُـزّع فـي معنـيين, فتقول للشجاع الذي به تنزل الأمور التـي يفزَع منهـا: وهـو مُفَـزّع وتقول للـجبـان الذي يَفْزَع من كلّ شيء: إنه لـمُفَزّع, وكذلك تقـول للرجـل الذي يقضي له الناس فـي الأمور بـالغلبة علـى من نـازله فـيها: هـو مُغَلّـب وإذا أريد به هذا الـمعنى كان غالبـا وتقول للرجل أيضا الذي هو مغلوب أبـدا: مُغَلّب.

وقد اختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار أجمعـون: فُزّعَ بـالزاي والعين علـى التأويـل الذي ذكرناه عـن ابـن مسـعود ومـن قـال بقوله فـي ذلـك. ورُوي عـن الـحسن أنـه قـرأ ذلـك: «حتـى إذَا فُـزِعَ عَـنْ قُلُوبِهِمْ» بـالراء والغين علـى التأويـل الذي ذكرناه عن ابن زيد. وقد يحتـمل توجيه معنى قراءة الـحسن ذلك كذلك, إلـى «حتـى إذَا فُـزِعَ عَـنْ قُلُـوبِهِمْ» فصارت فـارغة من الفزع الذي كان حلّ بها. ذُكر عن مـجاهد أنـه قـرأ ذلـك: «فُزِعَ» بـمعنى: كَشَف الله الفزع عنها.

والصواب من القراءة فـي ذلك القراءة بـالزاي والعين لإجماع الـحجة من القراء وأهل التأويـل علـيها, ولصحة الـخبر الـذي ذكرنـاه عـن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم بتأيـيدها, والدلالة علـى صحتها.

الآية : 24

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُـمْ مّـنَ السّـمَاوَاتِ وَالأرْضِ قُلِ اللّهُ وَإِنّآ أَوْ إِيّاكُمْ لَعَلَىَ هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى اللـه عليه وسلم: قل يا مـحمد لهؤلاء الـمشركين بربهـم الأوثـان والأصـنام: مـن يرزقكـم مـن السـموات والأرض بإنزاله الغيث علـيكم منها حياة لـحروثكم, وصـلاحا لـمعايشكم, وتسـخيره الشمس والقمـر والنـجوم لـمنافعكم, ومنـافع أقـواتكم, والأرض بـإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم؟ وترك الـخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام علـيه, ثم ذكره, وهو: فإن قالوا: لا ندري, فقل: الـذي يرزقكـم ذلـك الله, وإنا أو إياكم أيها القوم لعلـي هُدًى أو فـي ضلال مبـين يقول: قل لهـم: إنا لعلـى هدى أو فـي ضلال, أو إنكم علـى ضلال أو هُدًى. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22039ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السّمَوَاتِ وَالأرْض قُلِ اللّهُ وإنّا أوْ إيّاكُمْ لعَلى هُدًى أوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قال: قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين, والله ما أنا وأنتم على أمر واحد, إنّ أحد الفريقين لمهتد.

وقد قال قوم: معنى ذلك: وإنا لعلى هدى, وإنكم لفي ضلال مبين. ذكر من قال ذلك:

22040ـ حدثني إسحاق بن إبراهيم الشهيديّ, قال: حدثنا عتاب بن بشير, عن خصيف عن عكرمة وزياد, في قوله: وَإنّا أوْ إيّاكُمْ لَعَلى هَدًى أوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قال: إنا لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين.

واختلف أهل العربية في وجه دخول «أو» في هذا الموضع, فقال بعض نحويّ البصرة: ليس ذلك لأنه شك, ولكن هذا في كلام العرب على أنه هو المهتدِي, قال: وقد يقول الرجل لعبده: أحدنا ضارب صاحبه, ولا يكون فيه إشكال على السامع أن المولى هو الضارب.

وقال آخر منهم: معنى ذلك: إنا لعلى هدى, وإنكم إياكم في ضلال مبين, لأن العرب تضع «أو» في موضع واو الموالاة, قال جرير:

أثَعْلَبَةَ الفَوَارِسِ أوْ رِياحاعَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيّةَ والخِشابا

قال: يعني ثعلبة ورياحا, قال: وقد تكلم بهذا من لا يشكّ في دينه, وقد علموا أنهم على هدى, وأولئك في ضلال, فيقال: هذا وإن كان كلاما واحدا على جهة الاستهزاء, فقال: هذا لهم, وقال:

فإنْ يَكُ حُبّهُمْ رُشْدا أُصِبْهُوَلسْتُ بِمُخْطىءٍ إنْ كانَ غَيّا

وقال بعض نحويي الكوفة: معنى «أو» ومعنى الواو في هذا الموضع في المعنى, غير أن القرينة على غير ذلك لا تكون «أو» بمنزلة الواو, ولكنها تكون في الأمر المفوّض, كما تقول: إن شئت فخذ درهما أو اثنين, فله أن يأخذ اثنين أو واحدا, وليس له أن يأخذ ثلاثة. قال: وهو في قول من لا يبصر العربية, ويجعل «أو» بمنزلة الواو, ويجوز له أن يأخذ ثلاثة, لأنه في قولهم بمنزلة قولك: خذ درهما أو اثنين قال: والمعنى في إنّا أو إياكُمْ إنا لضالون أو مهتدون, وإنكم أيضا لضالون, وهو يعلم أن رسوله المهتدي, وأن غيره الضالّ. قال: وأنت تقول في الكلام للرجل يكذّبك. واللّهِ إن أحدنا لكاذب, وأنت تعنيه, وكذّبته تكذيبا غير مكشوف, وهو في القرآن وكلام العرب كثير, أن يوجّه الكلام إلى أحسن مذاهبه, إذا عرف, كقول القائل لمن قال: والله لقد قدم فلان, وهو كاذب فيقول: قل: إن شاء الله, أو قل: فيما أظنّ, فيكذّبه بأحسن تصريح التكذيب. قال: ومن كلام العرب أن يقولوا: قاتله الله, ثم يستقبح فيقولون: قاتله الله, وكاتعه الله. قال: ومن ذلك: ويحَك, وويسَك, إنما هي في معنى: ويْلَك, إلا أنها دونها.

والصواب من القول في ذلك عندي أن ذلك أمر من الله لنبيه بتكذيب من أمره بخطابه بهذا القول بأجمل التكذيب, كما يقول الرجل لصاحب له يخاطبه, وهو يريد تكذيبه في خبر له: أحدنا كاذب, وقائل ذلك يعني صاحبه, لا نفسه فلهذا المعنى صير الكلام بأو.

الآية : 25 -26

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لاّ تُسْأَلُونَ عَمّآ أَجْرَمْنَا وَلاَ نُسْأَلُ عَمّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبّنَا ثُمّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقّ وَهُوَ الْفَتّاحُ الْعَلِيمُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين: أحد فريقينا على هدى والآخر على ضلال, لا تُسْألون أنتم عما أجرمنا نحن من جرم, وركبنا من إثم, ولا نُسأَلُ نحن عما تعملون أنتم من عمل, قل لهم: يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده, ثم يفتح بيننا بالحقّ. يقول: ثم يقضي بيننا بالعدل, فيتبين عند ذلك المهتدي منا من الضالّ وَهُوَ الفَتّاحُ العَلِيمُ يقول: والله القاضي العليم بالقضاء بين خلقه, لأنه لا تخفى عنه خافية, ولا يحتاج إلى شهود تعرّفه المُحقّ من المبطل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22041ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبّنا يوم القيامة ثُمّ يَفْتَحُ بَيْنَنا: أي يقضي بيننا.

22042ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَهُوَ الفَتّاحُ العَلِيمُ يقول: القاضي.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَرُونِيَ الّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَآءَ كَلاّ بَلْ هُوَ اللّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام: أَرُوني أيّها القوم الّذين ألحقتموهم بالله فصيّرتموهم له شركاء في عبادتكم إياهم: ماذا خلقوا من الأرض, أم لهم شرك في السموات, كلاّ يقول تعالى ذكره: كذبوا, ليس الأمر كما وصفوا, ولا كما جعلوا وقالوا من أن لله شريكا, بل هو المعبود الذي لا شريك له, ولا يصلح أن يكون له شريك في ملكه, العزيز في انتقامه ممن أشرك به من خلقه, الحكيم في تدبيره خلقه.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ كَآفّةً لّلنّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَـَكِنّ أَكْثَرَ النّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة, ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين, العرب منهم والعجم, والأحمر والأسود, بشيرا من أطاعك, ونذيرا من كذّبك, وَلَكِنّ أكْثَرَ النّاس لا يَعْلَمُونَ أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22043ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما أرْسَلْناكَ إلاّ كافّةً للنّاس قال: أرسل الله محمدا إلى العرب والعجم, فأكرمُهُم على الله أطوعهم له.

ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا سابِقُ العَرَبِ, وَصُهَيْبُ سابِقُ الرّومِ, وَبِلالُ سابِقُ الحَبَشَةِ, وَسَلْمانُ سابِقُ فارِسَ».

الآية : 29 -30

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَىَ هَـَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُل لّكُم مّيعَادُ يَوْمٍ لاّ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلاَ تَسْتَقْدِمُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون بالله إذا سمعوا وعيد الله الكفار وما هو فاعل بهم في معادهم مما أنزل الله في كتابه: مَتى هَذَا الوَعْدُ جائيا, وفي أيّ وقت هو كائن إنْ كُنْتُمْ فيما تَعِدُوننا من ذلك

صَادِقِـينَ أنه كائن, قال الله لنبـيه: قُلْ لهم يا مـحمد: لَكُمْ أيها القـوم مِيعـادُ يَوْمٍ هو آتـيكم لا تَسْتأخِرُونَ عَنْهُ إذا جاءكم ساعَةً فتنظروا للتوبة والإنابــة وَلا تسْتَقْدِمونَ قبله بـالعذاب, لأن الله جعل لكم ذلك أجلاً.

الآية : 31

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ لَن نّؤْمِنَ بِهَـذَا الْقُـرْآنِ وَلاَ بِالّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىَ إِذِ الظّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبّهِمْ يَرْجِـعُ بَعْضُـهُمْ إِلَىَ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُـولُ الّـذِينَ اسْتُضْـعِفُواْ لِلّـذِينَ اسْـتَكْبَرُواْ لَـوْلاَ أَنتُـمْ لَكُنّـا مُؤْمِنِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: وَقَالَ الّذِينَ كَفَروا من مشركي العرب: لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القُرآنِ الذي جاءنا به مـحمد صلى الله عليه وسلم, ولا بـالكتاب الذي جاء به غيره من بـين يديه, كما:

22044ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القُرآنِ وَلا بـالّذِي بـينَ يَدَيْهِ قال: قال الــمشركون: لـن نـؤمن بهذا القرآن, وَلا بـالّذِي بـينَ يَدَيْهِ من الكتب والأنبـياء.

وقوله: وَلَوْ تَرَى إذِ الظّالِـمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبّهِمْ يتلاومون, يحاور بعضهم بعضـا, يقـول الــمستضعفون كـانوا فــي الدنــيا لـلـذين كـانوا علــيهم فــيها يستكبرون: لولا أنتـم أيها الرؤساء والكبراء فـي الدْنـيا لكنـا مؤمنــين بــالله وآياته.

الآية : 32

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ الّـذِينَ اسْـتَكْبَرُواْ لِلّـذِينَ اسْتُضْـعِفُوَاْ أَنَحْنُ صَدَدنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىَ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مّجْرِمِينَ }.

يقول تعالـى ذكره: قالَ الّذِينَ اسْتَكْبَرُوا فـي الدنـيا, فرأسوا فـي الضلالة والكفر بـالله لِلّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فـيها فكـانوا أتبــاعا لأهـل الضـلالة منهـم, إذ قالوا لهم لَوْلا أنْتُـمْ لَكُنّا مُؤْمِنِـينَ أنـحْنُ صَدَدْناكُمْ عَـنِ الهُـدَى ومنعنـاكم مـن اتبـاع الـحقّ بَعْدَ إذْ جـاءَكُمْ مـن عنـد اللـه, يبــين لكـم بَـلْ كُنْتُــمْ مُــجْرِمِينَ فمنعكم إيثاركم الكفر بـالله علـى الإيـمان من اتبـاع الهدى, والإيـمان بــالله ورسوله.

الآية : 33

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالَ الّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلّـذِينَ اسْـتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ اللّيْلِ وَالنّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَـآ أَن نّكْفُـرَ بِـاللّهِ وَنَجْعَـلَ لَـهُ أَنـدَاداً وَأَسَـرّواْ النّدَامَةَ لَمّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأغْلاَلَ فِيَ أَعْنَاقِ الّـذِينَ كَفَـرُواْ هَـلْ يُجْـزَوْنَ إِلاّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: وَقالَ الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا من الكفرة بـالله فـي الدنـيا, فكانوا أتبـاعا لرؤسـائهم فــي الضـلالة لِلّـذِينَ اسْـتَكْبَرُوا فــيها, فكـانوا لهـم رؤساء بَلْ مَكْرُ كم لنا ب اللّـيْـلِ والنّهارِ صدّنا عن الهدى إذْ تَأْمُرُونَنا أنْ نَكْفُـرَ بـاللّهِ وَنـجْعَلَ لَهُ أمثالاً وأشبـاها فـي العبـادة والألوهة فأضيف الــمكر إلــى اللـيـل والنهار. والـمعنى ما ذكرنا م ن مكـر الــمستكبرين بـالـمستضعفــين فـي اللـيـل والنهار, علـى اتساع العرب فـي الذي قد عُرِف معناها فـيه مــن منطِقها, من نقل صفة الشيء إلــى غيـره, فتقـول للرجـل: يـا فلان نهـارك صائم ولـيـلك قائم, وكما قال الشاعر:

(ونِـمْتِ وَما لَـيْـلُ الـمَطِيّ بِنائمِ)

وما أشبه ذلك مـما قد مضى بـياننا له فـي غير هذا الـموضع من كتابنا هذا. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22045ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: بَلْ مَكْرُ اللّيْـلِ والنّهارِ إذ تَأْمُرُونَنـا أنْ نَكْفُـرَ بـالله وَنـجْعَلَ لَـهُ أنْـدَادا يقـول: بـل مكرُكـم بنـا فـي اللـيـل والنهـار أيهـا العظمـاء الرؤسـاء حتـى أزلتـمونا عن عبـادة الله.
وقد ذُكر فـي تأويـله عن سعيد بن جبـير ما:
22046ـ حدثنا أبو كُريب, قال: حدثنا ابن يـمان, عن أشعث, ع ن جعفـر, عن سعيد بن جُبَـير بَلْ مَكْرُ اللّيْـلِ والنّهارِ قال: مَرّ اللـيـل والنهار.
وقوله: إذْ تَأْمُرُونَنا أنْ نَكْفُرَ بـاللّهِ يقول: حين تأمروننا أن نكفر بـالله.
وقوله: ونـجعَلَ لَهُ أنْدَادا يقول: شركاء, كما:
22047ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ونَـجْعَلَ لَهُ أنْدَادا شركاء.
قوله: وأَسَرّوا النّدامَةَ لَـمّا رأَوُا العَذَابَ يقول: وندموا علـى ما فرّطوا من طاعة الله فـي الدنـيا حين عاينوا عذاب الله الذي أعدّه لهم, كما:
22048ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأَسَرّوا النّدَامَـةَ بـينهم لَـمّا رأَوُا العَذَابَ.
قوله: وَجَعَلْنا الأَغْلالَ فِـي أعْناقِ الّذِينَ كَفَرُوا وغُلّت أيدي الكافرين بـالله فـي جهنـم إلـى أعناقهم فـي جوامع من نار جهنـم, جـزاء بـما كـانوا بـ الله فـي الدنـيا يكفـرون, يقـول جـلّ ثنـاؤه: مـا يفعـل اللـه ذلـك بهـم إلاّ ثوابـا لأعمالهم الـخبـيثة التـي كانوا فـي الدنـيا يعملونها, ومكافأة لهم علـيها.

الآية : 34

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَآ أَرْسَـلْنَا فِـي قَرْيَـةٍ مّـن نّـذِيرٍ إِلاّ قَـالَ مُتْرَفُوهَآ إِنّا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: وما بعثنا إلـى أهل قرية نذيرا يُنذرهم بأسَنا أن ينـزل بهم علـى معصيتهم إيانا, إلاّ قال كُبراؤها ورؤساؤها فـي الضـلالة كمـا قـال قوم فرعون من الـمشركين له: إنا بـما أُرسلتـم به من النّـذارة, وبُعثتـم بـه من توحيد الله, والبراءة من الآلهة والأنداد كافرون. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22049ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما أرْسَلْنا فِـي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إلاّ قالَ مُتْرَفُوها إنّا بِـمَا أُرْسِلْتُـمْ بِـهِ كـافِرُونَ قال: هم رؤوسهم وقادتهم فـي الشرّ.

الآية : 35 -36

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَـرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً وَمَا نَحْـنُ بِمُعَذّبِينَ * قُلْ إِنّ رَبّي يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـكِنّ أَكْثَـرَ النّـاسِ لاَ يَعْلَمُونَ }. يقول تعالـى ذكره: وقال أهـل الاستكبـار علـى اللـه مـن كـل قرية أرسلنا فـيها نذيرا لأنبـيائنا ورسلنا: نـحن أكْثَرُ أمْـوَالاً وأوْلادا وَمـا نَـحْنُ فِـي الآخرَةِ بِـمُعَذّبـينَ لأن الله لو لـم يكن راضيا ما نـحن علـيه مـن الـملة والعمل لـم يخوّلنا الأموال والأولاد, ولـم يبسط لنا فـي الرزق, وإنـما أعطانا ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا, وآثرنا بـما آثرنا علـى غيرنا لفضلنا, وزلفة لنا عنده يقول الله لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا مـحمد: إن ربـي يبسط الرزق من الـمعاش والرياش فـي الدنـيا لـمن يشاء مـن خـلقه

ويَقْدِر فيضيق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زُلْفة له, استحقّ بها منه, ولا لبُغض منه لمن قدر عليه ذلك, ولا مَقْت, ولكنه يفعل ذلك مِحْنة لعباده وابتلاء, وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارا لعباده, ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بَسَطَ له ومَقْت لمن قَدَر عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22050ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بالتي تُقَرّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفَى... الآية, قال: قالوا: نحن أكثر أموالاً وأولادا, فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زُلْفى, إلاّ مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صَالحا, قال: وهذا قول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه, قالوا: لو لم يكن الله عنا راضيا لم يعطنا هذا, كما قال قارون: لولا أن الله رَضِيَ بي وبحالي ما أعطاني هذا, قال: أوَ لَمْ يَعْلَمْ أنّ اللّهَ قَدْ أهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ... إلى آخر الآية.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالّتِي تُقَرّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىَ إِلاّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَـَئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الضّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ }.

يقول جلّ ثناؤه: وما أموالكم التي تفتخرون بها أيّها القوم على الناس, ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم بالتي تقرّبكم منا قُرْبَةً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22051ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: عِنْدَنا زُلْفَى قال: قُربَى.

22052ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بالّتِي تُقَرّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفَى لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد, وإن الكافر قد يُعْطَى المال, وربما حُبِس عن المؤمن.

وقال جلّ ثناؤه: وَما أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بالتي تُقَرّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفَى ولم يقل باللّتين, وقد ذكر الأموال والأولاد, وهما نوعان مختلفان لأنه ذُكر من كل نوع منهما جمع يصلح فيه التي ولو قال قائل: أراد بذلك أحد النوعين لم يبعد قوله, وكان ذلك كقول الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنا, وأنْتَ بِمَاعِنْدَكَ رَاضٍ والرأيُ مُخْتَلِفُ

ولم يقل: راضيان.

وقوله: إلاّ مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صَالِحا اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زُلفى, إلاّ من آمن وعمل صالحا, فإنه تقرّبهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه إلى الله زلفى دون أهل الكفر بالله. ذكر من قال ذلك:

22053ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قول الله: إلاّ مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صَالِحا قال: لم تضرّهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين, وقرأ: لِلّذِينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ فالحُسنى:

الـجنة, والزيادة: ما أعطاهم الله فـي الدنـيا لـم يحاسبهم بـه, كمـا حاسـب الآخرين, فمن حملها علـى هـذا التأويـل نصـب بوقـوع تقـرّب علـيه, وقـد يحتـمل أن يكون «من» فـي موضع رفع, فـيكون كأنه قـيـل: وما هو إلاّ من آمن وعمل صالـحا.

وقوله: فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضّعْفِ يقول: فهؤلاء لهم من الله علـى أعمالهم الصالـحة الضعف من الثواب, بـالواحدة عشر. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22054ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قـال: قـال ابـن زيـد, فـي قوله: فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضّعْفِ بِـمَا عَمِلُـوا قـال: بأعمـالهم الواحـد عشـر, وفـي سبـيـل الله بـالواحد سبعُ مئة.

وقوله: فِـي الغُرُفـاتِ آمِنُونَ يقول: وهم فـي غرفـات الـجنات آمنون من عذاب الله.

الآية : 38

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَالّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيَ آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَـئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: والذين يعملون فـي آياتنا, يعنـي: فـي حججنـا وآي كتابنـا, يبتغـون إبطـاله, ويريـدون إطفـاء نـوره معاونـين, يحسـبون أنهـم يفوتوننا بأنفسـهم, ويُعْجزوننـا أُولَئـكَ فـي العَـذابِ مُـحْضَرونَ يعنـي فـي عذاب جهنـم مـحضرون يوم القـيامة قُلْ إنّ رَبّـي يَبْسُطُ الرّزْقَ لِـمَنْ يَشـاءُ مِنْ عِبـادِهِ يقول تعالـى ذكره: قل يـا مـحمد إن ربـي يبسـط الـرزق لـمن يشاء من خَـلْقه, فـيوسعه علـيه تكرمة لـه وغيـر تكرمـة, ويَقْـدِر علـى مـن يشاء منهم فـيضيقه ويقتره إهانة لـه وغيـر إهانـة, بـل مِـحنة واختبـارا وَمـا أَنْفَقْتُـمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْـلِفُهُ يقول: وما أنفقتـم أيها النـاس مـن نفقـة فـي طاعة الله, فإن الله يخـلفها علـيكم. وبنـحو الذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22055ـ حدثنا ابن بشار, قال: حـدثنا يحيـى, قـال: حـدثنا سفـيان, عـن الـمنهال بن عمرو, عن سعيد بن جُبَـير وَما أَنْفَقْتُـمْ مـنْ شَـيْءٍ فَهُـوَ يُخْـلِفُهُ قال: ما كان فـي غير إسراف ولا تقتـير.

وقوله: وَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِـينَ يقول: وهو خير من قـيـل إنه يَرْزُق ووُصِف به, وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه, فـيقال: فلان يَرزُق أهله وعياله.

الآية : 39 -41

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قُلْ إِنّ رَبّي يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَن يَشَـآءُ مِـنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَآ أَنفَقْتُمْ مّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِيـنَ * وَيَـوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعـاً ثُـمّ يَقُـولُ لِلْمَلاَئِكَـةِ أَهَـؤُلاَءِ إِيّـاكُمْ كَـانُواْ يَعْبُـدُونَ * قَـالُواْ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنّ أَكْـثَرُهُم بِهِم مّؤْمِنُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: ويوم نـحشر هؤلاء الكفـار بـالله جميعـا, ثـم نقـول للـملائكة: أهـؤلاء كـانوا يعبـدونكم مـن دوننـا؟ فتتـبرأ منهـم الـملائكة قَـالُوا سُبْحَانَكَ ربنا, تنزيها لك وتبرئة مـما أضاف إلـيك هؤلاء من الشركاء والأنـداد أَنْتَ وَلِـيّنَا مِنْ دونِهِمْ لا نتـخذ ولـيا دونك بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْـجِنّ. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22056ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَيَوْمَ نَـحْشُرُهُمْ جَمِيعا ثُمّ نَقُولُ لِلْـمَلاَئِكة أَهَؤُلاءِ إيّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ استفهام, كقوله لعيسى: أءَنْتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّـخِذُونِـي وأُمّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ؟
وقوله: أكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ يقول: أكثرهم بـالــجنّ مصـدّقون, يزعمـون أنهم بنات الله, تعالـى الله عما يقولون عُلُوّا كبـيرا.

الآية : 42

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَالْيَوْمَ لاَ يَمْلِـكُ بَعْضُـكُمْ لِبَعْـضٍ نّفْعـاً وَلاَ ضَرّاً وَنَقُولُ لِلّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ النّارِ الّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذّبُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: فـالـيوم لا يـملك بعضكم أيها الــملائكة للـذين كـانوا فـي الدنـيا يعبدونكم نفعا ينفعونكم به ولا ضرّا ينـالونكم بـه, أو تنـالونهم بـه وَنَقُولُ لِلّذِينَ ظَلَـمُوا يقول: ونقول للذين عبدوا غيـر اللـه فوضـعوا العبــادة فـي غير موضعها, وجعلوها لغير من تنبغي أن تكون لـه: ذُوقُـوا عَـذَابَ النّـارِ التـي كُنْتُـم بها فـي الدنـيا تُكَذّبونَ فقد وردتـموها.

الآية : 43

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذَا تُتْلَىَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيّنَاتٍ قَالُواْ مَا هَـَذَا إِلاّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدّكُمْ عَمّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَـَذَآ إِلاّ إِفْكٌ مّفْتَـرًى وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقّ لَمّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـَذَآ إِلاّ سِحْرٌ مّبِينٌ }.
يقول تعالـى ذكره: وإذا تُتلـى علـى هؤلاء الـمشركين آيات كتابنا بـيّنات يقول: واضحات أنهنّ حقّ من عندنا قالُوا مـا هَـذَا إلاّ رَجُـلٌ يُرِيـدُ أنْ يَصُـدّكُمْ عَمّا كانَ يَعْبُدُ آبـاؤُكُمْ يقول: قالوا عنـد ذلـك: لا تتبعـوا مــحمدا, فمـا هـو إلاّ رجل يريد إن يصدّكم عما كان يعبد آبـاؤكم من الأوثـان, ويغيـر دينكـم وديـن آبــائكم وَقـالُوا مـا هَـذَا إلاّ إفْـكٌ مُفْتَـرًى يقـول تعالــى ذكـره: وقـال هـؤلاء الـمشركون: ما هذا الـذي تتلـو علــينا يـا مــحمد, يعنـون القـرآن, إلاّ إفـك. يقول: إلاّ كَذِبٌ مُفْترى يقول: مختلَق. متخرّص وَقـالَ الّـذِينَ كَفَـرُوا لِلْـحَقّ لـما جَاءهمْ إنْ هَذَا إلاّ سِحْرٌ مُبِـينٌ يقـول جـلّ ثنـاؤه: وقـال الكفــار للــحقّ, يعنـي مـحمدا صلى الله عليه وسلم لـما جاءهم, يعنـي: لـما بعثه اللـه نبــيا: هذا سحر مبـين يقول: ما هذا إلاّ سـحر مبــين, يبــين لــمن رآه وتـأمله أنـه سحر.

الآية : 44 -45

القول فـي تأويــل قـوله تعالــى: {وَمَـآ آتَيْنَـاهُمْ مّـنْ كُتُـبٍ يَدْرُسُـونَهَا وَمَـآ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مّن نّذِيرٍ * وَكَذّبَ الّذِينَ مِن قَبلِهِمْ وَمَا بَلَّغُـواْ مِعْشَـارَ مَـآ آتَيْنَاهُمْ فَكَذّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ }.
يقول تعالـى ذكره: وما أنزلنا علـى الـمشركين القائلـين لـمـحمد صـلى الله عليه وسلم لـما جاءهم بآياتنا: هذا سـحر مبــين بــما يقولـون مـن ذلـك كتبـا يدرسونها: يقول: يقرؤونها, كما:
22057ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما ءاتَـيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها: أي يقرؤونها.

وَما أرْسَلْنا إلَـيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ يقول: وما أرسلنا إلـى هؤلاء الـمشركين من قومك يا مـحمد فـيـما يقولون ويعملـون قبلـك مـن نبـيّ ينـذرهم بأسـنا علـيه. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22058ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة وَمـا أرْسَلْنا إلَـيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ما أنزل الله علـى العرب كتابـا قبل القـرآن, ولا بعث إلـيهم نبـيا قبل مـحمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله: وكَذّبَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول: وكذّب الذين من قبلهم مـن الأمـم رسلنا وتنزيـلنا وَما بَلَغُوا مِعْشارَ ما آتَـيْناهُمْ يقول: ولـم يبلغ قومك يا مـحمد عُشْر ما أعطينا الذين من قبلهم مـن الأمـم مـن القـوّة والأيـدي والبطْـش, وغير ذلك من النعم. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكـر مـن قال ذلك:

22059ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قـال: ثنـي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَما بَلَغُوا مِعْشارَ ما ءاتَـيْناهُمْ مـن القـوّة فـي الدنـيا.

22060ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله وَمـا بَلَغُـوا مِعْشـارَ مـا ءاتَـيْناهُمْ يقول: ما جاوزوا معشار ما أنعمنا علـيهم.

22061ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وكَذّبَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَما بَلَغُـوا مِعْشـارَ مـا ءاتَـيْناهُمْ يخـبركم أنـه أعْطـى القوم ما لـم يُعْطكم من القوّة وغير ذلك.

22062ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: وَما بَلَغُوا مِعْشارَ ما ءاتَـيْنَاهُمْ قال: ما بلغ هؤلاء أمة مـحمد صـلى اللـه عليه وسلم معشار ما آتـينا الـذين مـن قبلهـم, ومـا أعطينـاهم مـن الدنـيا, وبسطنا علـيهم فَكَذّبوا رسلـي فكَيْفَ كانَ نَكِيرِ يقول: فكذّبوا رسلـي فـيـما أتوهم به من رسالتـي, فعاقبناهم بتغيـيرنا بهـم مـا كنـا آتـيناهم مـن النعـم, فـانظر يا مـحمد كيف كان نكير. يقول: كيف كان تغيـيري بهم وعقوبتـي.

الآية : 46

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قُلْ إِنّمَآ أَعِظُكُـمْ بِوَاحِـدَةٍ أَن تَقُومُـواْ لِلّـهِ مَثْنَىَ وَفُرَادَىَ ثُمّ تَتَفَكّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُمْ مّن جِنّةٍ إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيرٌ لّكُمْ بَيْـنَ يَـدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ }.

يقول تعالـى ذكره: قل يا مـحمد لهـؤلاء الـمشركين مـن قومـك: إنـما أعظكم أيّها القوم بواحدة وهي طاعة الله, كما:

22063ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: إنّـما أعِظُكُـمْ بِوَاحِـدَةٍ قـال: بطاعـة الله.

وقوله: أنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى يقول: وتلك الواحدة التـي أعظكم بها هي أن تقوموا لله اثنـين اثنـين, وفُـرادَى فُـرادَى, فـإن فـي موضـع خفـض ترجمة عن الواحدة. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكـر مـن قال ذلك:

22064ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: ثني أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى قال: واحدا واثنين.

22065ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُلْ إنّمَا أعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى رجلاً ورجلين. وقيل: إنما قيل: إنما أعظكم بواحدة, وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى. مَثْنَى يقول: يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة, هل علمتم بمحمد صلى الله عليه وسلم جنونا قطّ؟ ثم ينفرد كل واحد منكم, فيتفكر ويعتبر فردا هل كان ذلك به؟ فتعلموا حينئذٍ أنه نذير لكم.

وقوله: ثُمّ تَتَفَكّرُوا ما بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنّةٍ يقول: لأنه ليس بمجنون. وقوله إنْ هُوَ إلاّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ يقول: ما محمد إلاّ نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تَصْلَوْها, وقوله: «هو» كناية اسم محمد صلى الله عليه وسلم.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مّن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى اللّهِ وَهُوَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٍ }.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك المكذّبيك, الرّادّين عليك ما أتيتهم به من عند ربك: ما أسألكم من جُعْلٍ على إنذاريكم عذاب الله, وتخويفكم به بأسه, ونصيحتي لكم في أمري إياكم بالإيمان بالله, والعمل بطاعته, فهو لكم لا حاجة لي به. وإنما معنى الكلام: قل لهم: إني لم أسألكم على ذلك جُعْلاً فتتهمونني, وتظنوا أني إنما دعوتكم إلى اتباعي لمال آخذه منكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22066ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُلْ ما سألْتُكُمْ مِنْ أجْر: أي جُعل فَهُوَ لَكُمْ يقول: لم أسألكم على الإسلام جُعْلاً.

وقوله: إنْ أجْرِيَ إلاّ عَلى اللّهِ يقول: ما ثوابي على دعائكم إلى الإيمان بالله, والعمل بطاعته, وتبليغكم رسالته, إلاّ على الله وَهُوَ عَلى كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ يقول: والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لي به, وعلى غير ذلك من الأشياء كلها.

الآية : 48 -49

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّ رَبّي يَقْذِفُ بِالْحَقّ عَلاّمُ الْغُيُوبِ * قُلْ جَآءَ الْحَقّ وَمَا يُبْدِىءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ }.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لمشركي قومك إنّ رَبّي يَقْذِفُ بالحَقّ وهو الوحي, يقول: ينزله من السماء, فيقذفه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عَلاّمُ الغُيُوبِ يقول: علام ما يغيب عن الأبصار, ولا مَظْهَر لها, وما لم يكن مما هو كائن, وذلك من صفة الربّ غير أنه رُفع لمجيئه بعد الخبر, وكذلك تفعل العرب إذا وقع

النعت بعد الخبر, في أن أتبعوا النعت إعراب ما في الخبر, فقالوا: إن أباك يقوم الكريم, فرفع الكريم على ما وَصَفت, والنصب فيه جائز, لأنه نعت للأب, فيتبع إعرابه قُلْ جاءَ الحَقّ يقول: قل لهم يا محمد: جاء القرآن ووحي الله وَما يُبْدِئُ الباطِلُ يقول: وما ينشىء الباطل خلقا والباطل هو فيما فسّره أهل التأويل: إبليس وَما يُعِيدُ يقول: ولا يعيده حيا بعد فنائه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22067ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قُلْ إنّ رَبّي يَقْذِفُ بالحَقّ: أي بالوحي عَلاّمُ الغُيُوبِ قُلْ جاءَ الحَقّ أي القرآن وَما يُبْدِئُ الباطِلُ وَما يُعِيدُ, والباطل: إبليس: أي ما يخلق إبليس أحدا, ولا يبعثه.

22068ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قُلْ إنّ رَبّي يَقْذِفُ بالحَقّ عَلاّمُ الغُيُوبِ, فقرأ: بَلْ نَقْذِفُ بالحَقّ على الباطلِ... إلى قوله وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمّا تَصِفُونَ قال: يُزْهِق الله الباطل, ويثبت الله الحقّ الذي دمغ به الباطل, يدمغ بالحقّ على الباطل, فيهلك الباطل ويثبت الحقّ, فذلك قوله قُلْ إنّ رَبّي يَقْذِفُ بالحَقّ عَلاّمُ الغُيُوبِ.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنّمَآ أَضِلّ عَلَىَ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيّ رَبّي إِنّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ }.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: إن ضَلَلتُ عن الهدى, فسلكت غير طريق الحقّ, فإنما ضلالي عن الصواب على نفسي, يقول: فإن ضلالي عن الهدى على نفسي ضرّه وَإنِ اهْتَدَيْتُ يقول: وإن استقمت على الحقّ فِيما يُوحِي إليّ رَبّي يقول: فبوحي الله الذي يوحِي إليّ, وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهُدى.

وقوله: إنّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ يقول: إن ربي سميع لما أقول لكم, حافظ له, وهو المجازِي لي على صدقي في ذلك, وذلك مني غير بعيد, فيتعذّر عليه سماع ما أقول لكم, وما تقولون, وما يقوله غيرنا, ولكنه قريب من كلّ متكلم يسمع كل ما ينطق به, أقرب إليه من حبل الوريد.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىَ إِذْ فَزِعُواْ فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مّكَانٍ قَرِيبٍ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولو تَرى يا محمد إذ فزعوا.

واختلف أهل التأويل في المعنيين بهذه الآية, فقال بعضهم: عُنِي بها هؤلاء المشركون الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله: وَإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيّناتٍ قالُوا ما هَذَا إلاّ رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يَصُدّكُمْ عَمّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ قال: وعُنِي بقوله: إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ عند نزول نقمة الله بهم في الدنيا. ذكر من قال ذلك:

22069ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ... إلى آخر الآية, قال: هذا من عذاب الدنيا.
22070ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ قال: هذا عذاب الدنيا.
22071ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ... إلى آخر السورة, قال: هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر, نزلت فيهم هذه الآية, قال: وهم الذين بدّلوا نعمة الله كفرا, وأحلّوا قومهم دارَ البوار جهنم, أهل بدر من المشركين.
وقال آخرون: عنى بذلك جيش يخسف بهم ببيداء من الأرض. ذكر من قال ذلك:
22072ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, في قوله: وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ قال: هم الجيش الذي يُخْسَف بهم بالبيداء, يبقى منهم رجل يخبر الناس بما لقي أصحابه.
22073ـ حدثنا عصام بن رَوّاد بن الجَرّاح, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا سفيان بن سعيد, قال: ثني منصور بن المعتمر, عن رِبْعِيّ بن حِرَاش, قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم, وذَكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب. قال: «فبينما هم كذلك, إذ خرج عليهم السّفْيانيّ من الوادي اليابس في فَورة ذلك, حتى ينزل دمشق, فيبعث جيشين: جيشا إلى المشرق, وجيشا إلى المدينة, حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة, والبقعة الخبيثة, فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف, وَيَبْقُرون بها أكثر من مئة امرأة, ويقتلون بها ثلاث مئة كبش من بني العباس, ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخَرّبون ما حولها, ثم يخرجون متوجهين إلى الشأم, فتخرج راية هذا من الكوفة, فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم, لا يفلت منهم مخبر, ويستنقذون ما في أيديهم من السّبْي والغنائم, ويخلي جيشه التالي بالمدينة, فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها, ثم يخرجون متوجهين إلى مكة, حتى إذا كانوا بالبيداء, بعث الله جبريل, فيقول: يا جبرائيل اذهب فأبدهم, فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم, فذلك قوله في سورة سبأ وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ... الآية, ولا ينفلت منهم إلاّ رجلان: أحدهما بشير, والآخر نذير, وهما من جهينة, فلذلك جاء القول:(وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبرُ اليَقِينُ)
22074ـ حدثنا محمد بن خلَف العسقلانيّ قال: سألت روّاد بن الجرّاح, عن الحديث الذي حدث به عنه, عن سفيان الثوري, عن منصور, عن ربعى, عن حذيفة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, عن قصة ذكرها في الفتن, قال: فقلت له: أخبرني عن هذا الحديث سمعته من سفيان الثوريّ؟ قال: لا, قلت: فقرأته عليه, قال: لا, قلت: فقرىء عليه وأنت حاضر؟ قال: لا, قلت: فما قصته, فما خبره؟ قال: جاءني قوم فقالوا: معنا حديث عجيب, أو كلام هذا معناه, نقرؤه وتسمعه, قلت لهم: هاتوه, فقرءوه عليّ, ثم ذهبوا فحدّثوا به عني, أو كلام هذا معناه.
قال أبو جعفر: وقد:

22075ـ حدثني ببعض هذا الحديث محمد بن خلف, قال: حدثنا عبد العزيز بن أبان, عن سفيان الثوري, عن منصور, عن ربعي, عن حُذيفة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, حديث طويل, قال: رأيته في كتاب الحسين بن عليّ الصدائي, عن شيخ, عن روّاد, عن سفيان بطوله.

وقال آخرون: بل عنى بذلك المشركون إذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم. ذكر من قال ذلك:

22076ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن, قوله: وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعوا قال: فزعوا يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم. وقال قتادة: وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ حين عاينوا عذاب الله.

22077ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء, عن ابن معقل وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ قال: أفزعهم يوم القيامة فلم يفوتوا.

والذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك, وأشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال: وعيد الله المشركين الذين كذّبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه لأن الآيات قبل هذه الآية جاءت بالإخبار عنهم وعن أسبابهم, وبوعيد الله إياهم مغبته, وهذه الآية في سياق تلك الآيات, فلأن يكون ذلك خبرا عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبرا لما لم يجر له ذكر. وإذا كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام: ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك, فتعاينهم حين فزعوا من معاينتهم عذاب الله فَلا فَوْتَ يقول فلا سبيل حينئذٍ أن يفوتوا بأنفسهم, أو يعجزونا هربا, وينجوا من عذابنا, كما:

22078ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ يقول: فلا نجاة.

22079ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله: وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ قال: لا هرب.

وقوله: وأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ يقول: وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب, لأنهم حيث كانوا من الله قريب لا يبعدون عنه.

الآية : 52

القول في تأويل قوله تعالى:{وَقَالُوَاْ آمَنّا بِهِ وَأَنّىَ لَهُمُ التّنَاوُشُ مِن مّكَانِ بَعِيدٍ }.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون حين عاينوا عذاب الله آمنا به, يعني: آمنا بالله وبكتابه ورسوله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22080ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَقالُوا آمَنّا بِهِ قالوا: آمنا بالله.

22081ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قالُوا آمَنّا بِهِ عند ذلك, يعني: حين عاينوا عذاب الله.

22082ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقالُوا آمَنّا بِهِ بعد القتل وقوله وأنّى لَهُمُ التّناوُشُ يقول: ومن أيّ وجه لهم التناوش.

واختلفت قرّاء الأمصار في ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة التّناوُشُ بغير همز, بمعنى: التناول وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة: «التّنـأُشُ» بالهمز, بمعنى: التنوُّش, وهو الإبطاء, يقال منه: تناءشت الشيء: أخذته من بعيد, ونشته: أخذته من قريب ومن التنوُّش قول الشاعر:

تَـمَنّى نَئِيشا أنْ يكُونَ أطاعَنِيوَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الأمُورِ أمُورُ

ومن النّوْش قول الراجز:

فَهْيَ تَنُوشُ الـحَوْضَ نَوْشا مِنْ عَلانَوْشا بِهِ تَقْطَعُ أجْوَازَ الفَلا

ويقال للقوم في الحرب, إذا دنا بعضهم إلى بعض بالرماح ولم يتلاقوا: قد تناوش القوم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان في قرّاء الأمصار, متقاربتا المعنى, وذلك أن معنى ذلك: وقالوا آمنا بالله, في حين لا ينفعهم قيل ذلك, فقال الله وأنّى لَهُمُ التّناوُشُ أي وأين لهم التوبة والرجعة: أي قد بعدت عنهم, فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها وإنما وصفت ذلك الموضع بالبعيد, لأنهم قالوا ذلك في القيامة, فقال الله: أني لهم بالتوبة المقبولة, والتوبة المقبولة إنما كانت في الدنيا, وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيدا من الآخرة, فبأية القراءتين اللتين ذكرت قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك.

وقد يجوز أن يكون الذين قرؤوا ذلك بالهمز همزوا, وهم يريدون معنى من لم يهمز, ولكنهم همزوه لانضمام الواو فقلبوها, كما قيل: وَإذَا الرّسُلُ أُقّتَتْ فجعلت الواو من وُقتت, إذا كانت مضمومة همزوه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22083ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن التميمي, قال: قلت لابن عباس: أرأيت قول الله: وأنّى لَهُمُ التّناوُشُ قال: يسألون الردّ, وليس بحين ردّ.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن أبي إسحاق, عن التميمي, عن ابن عباس نحوه.

حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله وأنّى لَهُمُ التّناوُشُ يقول: فكيف لهم بالردّ.

22084ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وأنّى لَهُمُ التّناوُشُ قال: الردّ.

22085ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد وأنّى لَهُمُ التّناوُشُ قال: التناول مِنْ مَكانٍ بَعيد.

22086ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقالُوا آمَنّا بِهِ وأنّى لَهُمُ التّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ قال: هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم, وقرأ: وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَد فَوْتَ وأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ وَقالُوا آمَنّا بِهِ... الآية, قال: التناوش: التناول, وأنّى لهم تناول التوبة من مكان بعيد, وقد تركوها في الدنيا, قال: وهذا بعد الموت في الآخرة.

قال: وقال ابن زيد في قوله وَقالُوا آمَنّا بِهِ بعد القتل وأنّى لَهُمُ التّنـاوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ وقرأ: وَلا الّذِينَ يَـمُوتونَ وَهُـمْ كُفّـارٌ قال: ليس لهم توبة, وقال: عرض الله عليهم أن يتوبوا مرّة واحدة, فيقبلها الله منهم, فأبوا, أو يعرضون التوبة بعد الموت, قال: فهم يعرضونها في الآخرة خمس

عرضات, فيأبى الله أن يقبلها منهم قال: والتائب عند الموت ليست له توبة وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا على النّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدّ وَلا نُكَذّبَ بآياتِ رَبّنا... الآية, وقرأ: رَبّنا أَبْصَرْنا وَسمعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صَالِحا إنّا مُوقِنُونَ.

22087ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد, قال: حدثنا مروان, عن جُويبر, عن الضحاك, في قوله: وأنّى لَهُمُ التّناوُشُ قال: وأنى لهم الرجعة.

وقوله: مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ يقول: من آخرتهم إلى الدنيا, كما:

22088ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ من الآخرة إلى الدنيا.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مّكَانٍ بَعِيدٍ }.

يقول تعالى ذكره: وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ يقول: وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم, ومعاينتهم إياه من الإقالة له, وذلك الإيمان بالله, وبمحمد صلى الله عليه وسلم, وبما جاءهم به من عند الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22089ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ: أي بالإيمان في الدنيا.

وقوله: وَيَقْذِفُونَ بالغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ يقول: وهم اليوم يقذفون بالغيب محمدا من مكان بعيد, يعني أنهم يرجمونه, وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والأوهام, فيقول بعضهم: هو ساحر, وبعضهم شاعر, وغير ذلك.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22090ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: وَيَقْذِفُونَ بالغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ قال: قولهم ساحر, بل هو كاهن, بل هو شاعر.

22091ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَيَقْذِفُونَ بالغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ أي يرجمون بالظنّ, يقولون: لا بعث, ولا جنة, ولا نار.

22092ـ حدثني يونس, قال: حدثنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَيَقْذِفُونَ بالغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ قال: بالقرآن.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مّن قَبْلُ إِنّهُمْ كَانُواْ فِي شَكّ مّرِيبٍ }.

يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا, فلا فوت, وأخذوا من مكان قريب, فقالوا آمنا به وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ حينئذ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون ولا سبيل لهم إليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22093ـ حدثني إسماعيل بن حفص الأبلي, قال: حدثنا المعتمر, عن أبي الأشهب, عن الحسن, في قوله: وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ قال: حيل بينهم وبين الإيمان بالله.

حدثنا ابن بِشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الصمد, قال: سمعت الحسن, وسئل عن هذه الآية وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ قال: حيل بينهم وبين الإيمان.

حدثني ابن أبي زياد, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا أبو الأشهب, عن الحسن وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ قال: حيل بينهم وبين الإيمان.

22094ـ حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصاري, قال: حدثنا أبو أسامة, عن شبل, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ قال: من الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا.

22095ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها في الدنيا حين عاينوا ما عاينوا.

حدثنا الحسن بن واضح, قال: حدثنا الحسن بن حبيب, قال: حدثنا أبو الأشهب, عن الحسن, في قوله: وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ قال: حيل بينهم وبين الإيمان.

وقال آخرون: معنى ذلك: وحيل بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد وزهرة الدنيا. ذكر من قال ذلك:

22096ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى قال: ثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ قال: من مال أو ولد أو زهرة.

22097ـ حدثني يونس, قال: قال أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ قال: في الدنيا التي كانوا فيها والحياة.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك, لأن القوم إنما تَمَنّوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا, ما أخبر الله عنهم أنهم تَمَنّوه, وقالوا آمنا به, فقال الله: وأنى لهم تَناوُش ذلك من مكان بعيد, وقد كفروا من قبل ذلك في الدنيا. فإذا كان ذلك كذلك, فلأن يكون قوله: وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ خبرا عن أنه لا سبيل لهم إلى ما تمنوه أولى من أن يكون خبرا عن غيره.

وقوله: كمَا فُعِلَ بأشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ يقول فعلنا بهؤلاء المشركين, فحلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سَخَط الله بهم, ومعاينتهم بأسه كما فعلنا بأشياعهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفار الأمم, فلم نقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت, كما لم نقبل في مثل ذلك الوقت من ضُرَبائهم. والأشياع: جمع شِيَع, وشِيَع: جمع شيعة, فأشياع جمع الجمع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22098ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح كمَا فُعِلَ بأشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ قال الكفار من قبلهم.

22099ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة كمَا فُعِلَ بأشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ أي في الدنيا كانوا إذا عاينوا العذاب لم يُقبل منهم إيمان.

وقوله: إنّهُمْ كانُوا فِي شَكَ مُرِيبٍ يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله, وبين الإيمان: إنهم كانوا قبل في الدنيا في شكّ من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاينوه, وقد أخبرهم نبيهم أنهم إن لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون من الكفر بالله, وعبادة الأوثان أن الله مُهْلِكهم, ومُحِلّ بهم عقوبته في عاجل الدنيا, وآجل الآخرة قبل نزوله بهم مريب يقول: موجب لصاحبه الذي هو به ما يَرِيبه من مكروه, من قولهم: قد أراب الرجل: إذا أتى ريبة وركب فاحشة كما قال الراجز:

يا قَوْمُ مالي وأبا ذُؤَيْبِ؟ كُنْتُ إذا أتَوْتُهُ مِنْ غَيْبِ
يَشُمّ عِطْفِي وَيَبَزّ ثَوْبِي كأنّمَا أرَبْتُهُ بِرَيْبِ

يقول: كأنما أتيت إليه ريبة.
آخر تفسير سورة سبأ

سورة فاطر

سورة فاطر مكية
وآياتها خمسٌ وأربعون
بسم الله الرحمَن الرحيم

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {الْحَمْدُ للّهِ فَاطِرِ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِيَ أَجْنِحَةٍ مّثْنَىَ وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنّ اللّهَ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له, ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السموات السبع والأرض, جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً إلى من يشاء من عباده, وفيما شاء من أمره ونهيه أُولي أجْنِحَةٍ مّثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ يقول: أصحاب أجنحة: يعني ملائكة, فمنهم من له اثنان من الأجنحة, ومنهم من له ثلاثة أجنحة, ومنهم من له أربعة, كما:

22100ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أُولي أجْنِحَةٍ مّثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ قال بعضهم: له جناحان, وبعضهم: ثلاثة, وبعضهم أربعة.

واختلف أهل العربية في علة ترك إجراء مَثْنَى وثلاث ورباع, وهي ترجمة عن أجنحة, وأجنحة نكرة, فقال بعض نحويّ البصرة. تُرك إجراؤه نّ لأنهنّ مصروفات عن وجوههنّ, وذلك أن مثنى مصروف عن اثنين, وثلاث عن ثلاثة, ورُباع عن أربعة, فصرف نظيرُ عمَرَ, وزُفَرَ, إذ صُرِف هذا ع ن عامر إلى عمر, وهذا عن زافر إلى زُفر, وأنشد بعضهم في ذلك:

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمُ ثُناءَ وَمَوْحَدَاوترَكْتُ مَرّةَ مِثْلَ أمْسِ المُدْبِرِ

وقال آخر منهم: لم يصرف ذلك لأنه يوهم به الثلاثة والأربعة, قال: وهذا لا يستعمل إلا في حال العدد. وقال بعض نحويّ الكوفة: هنّ مصروفات عن المعارف, لأن الألف واللام لا تدخلها, والإضافة لا تدخلها قال: ولو دخلتها الإضافة والألف واللام لكانت نكرة, وهي ترجمة عن النكرة قال: وكذلك ما كان في القرآن, مثل: أنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى, وكذلك وُحاد وأحاد, وما أشبهه من مصروف العدد.

وقوله: يَزِيدُ فِي الخَـلْقِ ما يَشاءُ وذلك زيادته تبارك وتعالى في خـلق هذا الـملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء, ونقصانه عـن الآخـر مـا أحـبّ, وكذلك ذلك فـي جميع خـلقه يزيد ما يشاء فـي خـلق ما شاء منه, وينقص ما شاء من خـلق ما شاء, له الـخـلق والأمـر, ولـه القـدرة والسـلطان إنّ اللّـهَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول: إن الله تعالى ذكره قدير علـى زيـادة مـا شـاء من ذلك فـيـما شاء, ونقصان ما شاء منه مـمن شاء, وغير ذلك مـن الأشـياء كلها, لا يـمتنع علـيه فعل شيء أراده سبحانه وتعالـى.

الآية : 2

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {مّا يَفْتَحِ اللّهُ لِلنّاسِ مِن رّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }.

يقول تعالـى ذكره: مفـاتـيح الـخير ومغالقه كلهـا بـيده فمـا يفتـح اللـه للناس من خير فلا مُغلق له, ولا مــمسك عنهـم, لأن ذلـك أمـره لا يسـتطيع أمره أحد, وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه علـيهم, ولا يفتـحه لهم, فلا فـاتـح له سواه, لأن الأمور كلها إلـيه وله. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22101ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة مـا يَفْتَحِ اللّهُ للنّاس مِنْ رَحْمَةٍ: أي مـن خيـر فَلا مُــمْسِكَ لَهَـا فلا يسـتطيع أحـد حبسها وَما يُـمْسِكْ فَلا مُرْسِلُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ.

وقال تعالـى ذكره: فَلا مُـمْسِكَ لَهَا فأنث ما لذكر الرحمة من بعده, وقال: وَما يُـمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فذكر للفظ «ما» لأن لفظه لفـظ مـذكر, ولو أنّث فـي موضع التذكير للـمعنى, وذكر فـي موضع التأنــيث للفـظ جـاز, ولكنّ الأفصح من الكلام التأنـيث إذا ظهر بعد ما يدلّ علـى تأنــيثها والتـذكير إذا لـم يظهر ذلك.

وقوله: وَهُوَ العَزِيزُ الـحَكِيـمُ يقول: وهو العزيز فـي نِقمته مـمن انتقم منه من خـلقه بحبس رحمته عنه وخيراته, الـحكيـم فـي تدبــير خــلقه, وفتــحه لهم الرحمة إذا كان فتـح ذلك صلاحا, وإمساكه إيـاه عنهـم إذا كـان إمسـاكه حكمة.

الآية : 3

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يَأَيّهَا النّاسُ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُـمْ هَـلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّهِ يَرْزُقُكُمْ مّنَ السّمَآءِ وَالأرْضِ لاَ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ فَـأَنّىَ تُؤْفَكُـونَ }.

يقول تعالـى ذكره للـمشركين به من قوم رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم من قُرَيش: يَا أيّهَا الناسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ التـي أنعمها عَلَـيْكُم بفتـحه لكم من خيراته ما فتـح وبَسْطِه لكم من العيش ما بسـط وفكّـروا فــانظروا هل من خالق سوى فـاطر السموات والأرض الذي بــيده مفـاتــيح أرزاقكـم ومغالقها يَرْزُقُكُم مِنَ السّمَاءِ وَالأرْضِ فتعبـدوه دونـه لا إلَـهَ إلاّ هُـوَ يقـول: لا معبود تنبغي له العبـادة إلا الذي فطرَ السـموات والأرض, القـادر علــى كـلّ شيء, الذي بـيده مفـاتـح الأشياء وخزائنها, ومغالق ذلك كله, فلا تعبدوا أيها الناس شيئا سواه, فإنه لا يقدر علـى نفعكم وضرّكم سـواه, فلـه فأخــلصوا العبـادة, وإياه فأفردوا بـالألوهة فَأنّى تُؤْفَكُونَ يقول: فأيّ وجه عـن خـالقكم ورازقكم الذي بـيده نفعكم وضرّكم تصرفون, كما:

22102ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فأنّى تُؤْفَكُونَ يقول الرجل: إنه ليوفك عنى كذا وكذا.

وقد بيّنت معنى الإفك, وتأويل قوله: تُؤْفَكُونَ فيما مضى بشواهده المغنية عن تكريره.

الآية : 4-5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ * يَأَيّهَا النّاسُ إِنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ فَلاَ تَغُرّنّكُمُ الْحَيَاةُ الدّنْيَا وَلاَ يَغُرّنّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن يكذّبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزننك ذاك, ولا يعظم عليك, فإن ذلك سنة أمثالهم من كفرة الأمم بالله, من قبلهم, وتكذيبهم رسل الله التي أرسلها إليهم من قبلك, ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم, فيتبعوا في تكذيبك منهاجهم, ويسلكوا سبيلهم وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ يقول تعالى ذكره: وإلى الله مرجع أمرك وأمرهم, فمحلّ بهم العقوبة, إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا في اتباعك, والإقرار بنبوّتك, وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة, نظير ما أحللنا بنظرائهم من الأمم المكذّبة رسلها قبلك, ومنجّيك وأتباعك من ذلك, سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22103ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإِنْ يُكَذّبوكَ فَقَدْ كُذّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ يعزّي نبيه كما تسمعون.

وقوله: يا أيها النّاسُ إنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش, المكذّبي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس إن وعد الله إياكم بأسه على إصراركم على الكفر به, وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم, وتحذيركم, وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حقّ, فأيقنوا بذلك, وبادروا حلول عقوبتكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله والإيمان به وبرسوله فَلا تَغُرّنّكُمْ الحَياةُ الدّنْيا يقول: فلا يغرّنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا ورياستكم التي تترأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والإيمان وَلا يَغُرّنّكُمْ باللّهِ الغَرُورُ يقول: ولا يخدعنكم بالله الشيطان, فيمنيكم الأمانيّ, ويعدكم من الله العدات الكاذبة, ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله, كما:

22104ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: وَلا يَغُرّنّكُمْ باللّهِ الغَرُورُ يقول: الشيطان.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الشّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوّ فَاتّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السّعِيرِ }.

يقول تعالى ذكره: إنّ الشّيْطانَ الذي نهيتكم أيها الناس أن تغترّوا بغروره إياكم بالله لَكُمْ عَدُوّ فاتّخِذُوهُ عَدُوّا يقول: فأنزلوه من أنفسكم منزل العدوّ منكم, واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه, خذركم من عدوّكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم, فلا تطيعوه ولا تتّبعوا خطواته, فإنه إنما يدعو حزبه, يعني شيعته, ومن أطاعه إلى طاعته والقبول منه, والكفر بالله لِيَكُونُوا منْ أصحَابِ السّعِيرِ يقول: ليكونوا من المخلدين

فـي نار جهنـم التـي تتوقد علـى أهلها. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22105ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ الشّيْطانَ لَكُمْ عَدُوّ فـاتّـخِذُوهُ عَدُوّا فإنه لـحقّ علـى كلّ مسلــم عـدواته, وعدواته أن يعاديه بطاعة الله إنـمَا يَدْعُو حِزْبَهُ وحزبه: أولـياؤه لِـيَكُونُوا مِـنْ أصحَابِ السّعِيرِ: أي لـيسوقهم إلـى النار, فهذه عداوته.

22106ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: إنّـمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِـيَكونُوا مِنْ أصحَابِ السّعِيرِ وقال: هـؤلاء حزبـه مـن الإنـس, يقـول: أولئـك حـزب الشـيطان, والــحزب: ولاتـه الـذين يتـولاهم ويتولونه, وقرأ: إنّ وَلِـيّـيَ اللّهُ الّذِي نَزّلَ الكِتابَ وَهوَ يَتَوَلّـى الصّالِـحِينَ.

الآية : 7

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {الّذِينَ كَفَـرُواْ لَهُـمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ وَالّـذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ لَهُم مّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ }.

يقول تعالـى ذكره: الّذِينَ كَفَروا بـالله ورسوله لَهُمْ عَذَابٌ من الله شَدِيدٌ, وذلك عذاب النار. وقوله: وَالّذِينَ آمَنُوا يقول: والذين صدّقوا اللـه ورسـوله, وعملوا بـما أمرهم الله, وانتهوا عما نهاهم عنه لَهُمْ مَغْفِرَةٌ من الله لـذنوبهم وأجْرٌ كَبِـيرٌ وذلك الـجنة, كما:

22107ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة لَهُـمْ مَغْفِرَةٌ وأجْرٌ كَبِـيرٌ وهي الـجنة.

الآية : 8

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَفَمَن زُيّنَ لَهُ سُوَءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَـإنّ اللّهَ يُضِلّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَـآءُ فَلاَ تَـذْهَبْ نَفْسُـكَ عَلَيْهِـمْ حَسَـرَاتٍ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: أفمن حسّن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به, وعبـادة ما دونه م ن الآلهـة والأوثـان, فـرآه حسـنا, فحسـب سيىء ذلك حسنا, وظنّ أن قُبحه جميـل, لتزيـين الشيطان ذلـك لـه, ذهبـت نفسك علـيهم حسرات وحذف من الكلام: ذهبـت نفسـك علــيهم حسـرات, اكتفـاء بدلالة قوله: فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَـيْهِمْ حَسَرَاتٍ منه. وقوله: فإنّ اللّــهَ يُضِلّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ يقول: فإنّ الله يخذل من يشاء عن الإيـمان به واتبـاعك وتصديقك, فـيضله عن الرشاد إلـى الـحقّ فـي ذلك, ويهدي من يشاء يقول: ويوفّق من يشاء للإيـمان بـه واتبــاعك, والقبـول منـك, فتهـديه إلــى سبيــل الرشـاد فَلا تَـذْهَبْ نَفْسُـكَ عَلَـيْهِمْ حَسَـراتٍ يقـول: فلا تُهلـك نفسك حزنا علـى ضلالتهم وكفرهم بـالله, وتكذيبهم لك. وبنــحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22108ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أفمَنْ زُيّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرآهُ حَسَنا فإنّ اللّهِ يُضِلّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ قــال قتادة والـحسن: الشيطان زين لهم فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَـيْهِمْ حَسَـرَاتٍ: أي لا يُحزنك ذلك علـيهم, فإن الله يضلّ من يشاء, ويهدي من يشاء.

22109ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قول الله: فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَـيْهِمْ حَسَراتٍ قال: الـحسرات: الـحزن, وقرأ قول الله: يا حَسْرَتا علـى ما فَرّطْتُ فِـي جَنْبِ اللّهِ.

ووقع قوله: فإنّ اللّهَ يُضِلّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ موضع الجواب, وإنما هو منبع الجواب, لأن الجواب هو المتروك الذي ذكرت, فاكتفى به من الجواب لدلالته على الجواب ومعنى الكلام.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ فقرأته قرّاء الأمصار سوى أبي جعفر المدني فَلا تَـذْهَبْ نَفْسُـكَ بفتح التاء من تَذهَبْ, ونفسك برفعها. وقرأ ذلك أبو جعفر: «فَلا تُـذْهِبْ» بضم التاء من تَذْهَبْ, ونفسَك بنصبها, بمعنى: لا تذهب أنت يا محمد نفسك.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار, لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: إنّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ يقول تعالى ذكره: إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زيّن لهم الشيطان سوء أعمالهم, وهو محصيه عليهم, ومجازيهم به جزاءهم.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاللّـهُ الّـذِيَ أَرْسَـلَ الرّيَـاحَ فَتُثِيـرُ سَـحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَىَ بَلَدٍ مّيّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النّشُورُ }.

يقول تعالى ذكره: والله الذي أرسل الرياح فتثير السحاب للحَيا والغيث فَسقْناهُ إلى بَلَدٍ مَيّتٍ يقول: فسقناه إلى بلد مجدب الأهل, محل الأرض, داثر لا نبت فيه ولا زرع فَأَحْيَيْنا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها يقول: فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض التي سقناه إليها بعد جدوبها, وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل كَذلكَ النّشُورُ يقول تعالى ذكره: هكذا يُنْشِر الله الموتى بعد بلائهم في قبورهم, فيحييهم بعد فنائهم, كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22110ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن سلمة بن كهيل, قال: حدثنا أبو الزعراء, عن عبد الله, قال: يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون, فليس من بني آدم إلاّ وفي الأرض منه شيء. قال: فيرسل الله ماء من تحت العرش منيّا كمنيّ الرجل, فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك, كما تنبت الأرض من الثرى, ثم قرأ: وَاللّـهُ الّذِي أرْسَلَ الرّياحَ فَتُثيرُ سَحَابا فَسقْناهُ إلى بَلَدٍ مَيّتٍ... إلى قوله: كَـذلكَ النُشُورُ قال: ثم يقوم ملَك بالصور بين السماء والأرض, فينفخ فيه, فتنطلق كلّ نفس إلى جسدها, فتدخل فيه.

22111ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاللّهُ الّذِي أرْسَلَ الرّياحَ فَتُثيرُ سحَابا قال: يرسل الرياح فتسوق السحاب, فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء, فكذلك يبعثه يوم القيامة.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيـدُ الْعِـزّةَ فَلِلّـهِ الْعِـزّةُ جَمِيعـاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطّيّبُ وَالْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالّذِينَ يَمْكُرُونَ السّيّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ }.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: مَنْ كانَ يُرِيدُ العِزّةَ فَلِلّهِ العِزّةُ جَمِيعا فقال بعضهم: معنى ذلك: من كان يريد العزّة بعبادة الآلهة والأوثان, فإن العزة لله جميعا. ذكر من قال ذلك:

22112ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن

أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله: مَنْ كانَ يُرِيدُ العِزّةَ يقول: من كـان يريد العزّة بعبـادته الآلهة فإنّ العِزّةَ لِلّهِ جَمِيعا.

وقال آخرون: معنى ذلك: من كان يريد العزة فليتعزّز بطاعـة اللـه. ذكـر من قال ذلك:

22113ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: مَنْ كانَ يُرِيدُ العِزّةَ فَلِلّهِ العِزّةُ جَمِيعا يقول: فليتعزّز بطاعة الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: من كان يريد علـم العزّة لـمن هي, فإنه لله جميعا كلها: أي كلّ وجه من العزّة فللّه.

والذي هو أولـى الأقوال بـالصواب عندي قـول مـن قـال: مـن كـان يريـد العزّة, فبـالله فلـيتعزّز, فللّـه العـزّة جميعـا, دون كـلّ مـا دونـه مـن الآلهـة والأوثان.

وإنـما قلت: ذلك أولـى بـالصواب, لأن الآيات التـي قبل هذه الآية, جـرت بتقريع الله الـمشركين علـى عبـادتهم الأوثان, وتوبـيخه إياهم, ووعيده لهـم علـيها, فأولـى بهـذه أيضـا أن تكـون مـن جنـس الـحث علـى فـراق ذلـك, فكانت قصتها شبـيهة بقصتها, وكانت فـي سياقها.

وقوله: إلَـيْه يَصْعَدُ الكَلِـمُ الطّيّب يقول تعالـى ذكره: إلـى الله يصعد ذكـر العبد إياه وثناؤه علـيه والعَمَلُ الصّالِـحُ يَرْفَعُهُ يقـول: ويرفـع ذكـر العبـد ربـه إلـيه عمله الصالـح, وهو العمل بطاعته, وأداء فرائضه, والانتهاء إلـى ما أمر به. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22114ـ حدثنـي مـحمد بن إسماعيـل الأحمسي, قال: أخبرنـي جعفر بن عون, عن عبد الرحمن بن عبد الله الـمسعودي, عن عبد الله بن الــمخارق, عن أبـيه الـمخارق بن سلـيـم, قال: قال لنا عبـد اللـه: إذا حـدّثناكم بحـديث أتـيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله. إن العبد الـمسلـم إذا قال: سبحان الله وبحمده, الـحمد لله لا إله إلاّ الله, والله أكـبر, تبــارك اللـه, أخـذهنّ ملـك, فجعلهنّ تـحت جناحيه, ثم صعد بهنّ إلـى السماء, فلا يـمرّ بهـنّ علــى جمـع من الـملائكة إلاّ استغفروا لقائلهنّ حتـى يحيـي بهنّ وجـه الرحمـن, ثـم قـرأ عبد الله: إلَـيْهِ يَصْعَدُ الكَلِـمُ الطّيّبِ والعَمَلُ الصّالِـحُ يَرْفَعُهُ.

22115ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا ابن علـية, قال: أخبرنـا سعيد الـجريري, عن عبد الله بن شقـيق, قال: قال كعب: إن لسبحان الله, والـحمد لله, ولا إله إلاّ الله, والله أكبر, لدويا حـول العـرش كـدويّ النــحل, يذكرن بصاحبهنّ, والعمل الصالـح فـي الـخزائن.

22116ـ حدثنـي يونس, قال: حدثنا سفـيان, عن لـيث بن أبــي سلـيــم, عن شهر بن حوشب الأشعري, قـوله: إِلَــيْهِ يَصْـعَدُ الْكَلِــمُ الطّيّـبُ وَالْعَمَـلُ الصّالِـحُ يَرْفَعُهُ قال: العمل الصالـح يرفع الكلـم الطيب.

22117ـ حدثنـي علـيّ, حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عـن علــيّ, عن ابن عبـاس, قوله: إلَـيْهِ يَصْـعَدُ الكَلِــمُ الطّيّـبُ والعَمَـلُ الصّالِــحُ يَرْفَعُـهُ قال: الكلام الطيب: ذكر الله, والعمل الصالـح: أداء فرائضه فمن ذَكَـر اللـه سبحانه فـي أداء فرائضه, حُمِل علـيه ذكر الله فصعد به إلـى الله, ومن ذكر الله, ولـم يؤدّ فرائضه, رُدّ كلامه علـى عمله, فكان أولـى به.

22118ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا

عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: إلَـيْهِ يَصْـعَدُ الكَلِـمُ الطّيّـبُ وَالعَمَـلُ الصّالِـحُ يَرْفَعُهُ قال: العمل الصالـح يرفع الكلام الطيب.

22119ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عـن قتـادة قـوله: إلَـيْهِ يَصْعَدُ الكَلِـمُ الطّيّبُ والعَمَلُ الصّالِـحُ يَرْفَعُهُ قال: قال الـحسن وقتـادة: لا يقبل الله قولاً إلاّ بعمل, من قال وأحسن العمل قبل الله منه.

وقوله: وَالّذِينَ يَـمْكُرُونَ السّيّئاتِ يقـول تعالـى ذكـره: والـذين يكسـبون السيئات لهم عذاب جهنـم. وبنـحو الذي قلنا فــي ذلـك قـال أهـل التأويــل. ذكر من قال ذلك:

22120ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: ثنـي سعيد, عن قتادة, قوله: وَالّذِينَ يَـمْكُرُونَ السّيّئاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ قال: هؤلاء أهل الشرك.

وقوله: وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ يقول: وعمل هؤلاء الـمشركين يَبور, فـيبطُل فـيذهب, لأنه لـم يكن لله, فلـم ينفع عامله. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قــال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22121ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ: أي يفسد.

22122ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا سفـيان, عن لـيث بن أبـي سلـيــم, عن شهر بن حوشب وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ قال: هم أصحاب الرياء.

حدثنـي مـحمد بن عمارة, قال: حدثنا سهل بن أبي عـامر, قـال: حـدثنا جعفر الأحمر, عن شهر بن حوشب, فـي قوله وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ قال: هم أصحاب الرياء.

22123ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ قال: بـار فلـم ينفعهم, ولـم ينتفعوا به, وضرّهم.

الآية : 11

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاللّهُ خَلَقَكُمْ مّن تُرَابٍ ثُمّ مِـن نّطْفَـةٍ ثُـمّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىَ وَلاَ تَضَعُ إِلاّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمّرُ مِن مّعَمّـرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاّ فِي كِتَابٍ إِنّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ }.

يقول تعالـى ذكره: وَاللّهُ خَـلَقَكُمْ أيها الناس مِنْ تُرابٍ يعنــي بـذلك أنـه خـلق أبـاهم آدم من تراب, فجعل خـلق أبـيهم منه لهم خـلقا ثُـمّ مِـنْ نُطْفَـةٍ يقول: ثم خـلقكم من نطفة الرجل والـمرأة ثُمّ جَعَلَكُمْ أزْوَاجا يعنـي أنه زوّج منهم الأنثى من الذكر. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22124ـ حدثنـي بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَاللّهُ خَـلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ يعنـي آدم ثُمّ مِـنْ نُطْفَـةٍ يعنــي ذرّيتـه ثُـمّ جَعَلَكُـمْ أزْوَاجـا فزوّج بعضكم بعضا.

وقوله: وَما تَـحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إلاّ بِعِلْــمِهِ يقـول تعالـى ذكـره: ومـا تـحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفـة إلاّ وهـو عالــم بحملهـا إياه ووضعها, وما هو؟ ذكر أو أنثى؟ لا يخفـى علـيه شيء من ذلك.

وقوله: وَما يُعَمّرُ مِنْ مُعَمّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاّ فِـي كِتابٍ اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك, فقال بعضهم: معناه: وما يعمر من معمر فــيطول عمره, ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمّر عمرا طـويلاً إلاّ فِـي كِتابٍ عنده مكتوب قبل أن تـحمل به أمه, وقبل أن تضـعه, قـد أحصـى

ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه, لا يُزاد فيما كتب له ولا ينقص. ذكر من قال ذلك:

22125ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَما يُعَمّرُ مِنْ مُعَمّرٍ... إلى يَسِيرٌ يقول: ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلاّ وهو بالغ ما قدّرت له من العمر, وقد قضيت ذلك له, وإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدّرت له, لا يزاد عليه وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر, ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي قدّرت له لا يزاد عليه, فذلك قوله: وَلا يُنْقَصُ مِنْ عمُرِهِ إلاّ فِي كِتابٍ يقول: كلّ ذلك في كتاب عنده.

22126ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: من قضيت له أن يعمر حتى يُدركه الكبر, أو يعمر أنقص من ذلك, فكلّ بالغ أجله الذي قد قضى له, كلّ ذلك في كتاب.

22127ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما يُعَمّرُ مِنْ مُعَمّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاّ فِي كِتابٍ قال: ألا ترى الناس: الإنسانُ يعيش مئة سنة, وآخرُ يموت حين يولد؟ فهذا هذا.

فالهاء التي في قوله وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ على هذا التأويل وإن كانت في الظاهر أنها كناية عن اسم المُعَمّر الأوّل, فهي كناية اسم آخر غيره, وإنما حسُن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأوّل, وذلك كقولهم: عندي ثوب ونصفه, والمعنى: ونصف الآخر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما يُعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره بفناء ما فني من أيام حياته, فذلك هو نقصان عمره. والهاء على هذا التأويل للمُعَمّر الأوّل, لأن معنى الكلام: ما يطوّل عمر أحد, ولا يذهب من عمره شيء, فيُنْقَص إلاّ وهو في كتاب عبد الله مكتوب قد أحصاه وعلمه. ذكر من قال ذلك:

22128ـ حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عبثر, قال: حدثنا حصين, عن أبي مالك في هذه الآية: وَما يُعَمّرُ مِنْ مُعَمّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاّ فِي كِتابٍ قال: ما يقضي كم أيامه التي عددت له إلاّ في كتاب.

وأولى التأويلين في ذلك عندي الصواب, التأويل الأوّل وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه, وأشبههما بظاهر التنزيل.

وقوله: إنّ ذلكَ على اللّهِ يَسِيرٌ: يقول تعالى ذكره: إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل, طويلُ ذلك وقصيره, لا يتعذّر عليه شيء منه.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَـذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَـذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: وما يعتدل البحران فيستويان, أحدهما عَذْب فُرات والفرات: هو أعذب العذب, وهذا مِلْحٌ أُجَاجٌ يقول: والآخر منهما ملح أجاج, وذلك هو ماء البحر الأخضر والأُجاج: المرّ, وهو أشدّ المياه مُلوحة, كما:

22129ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَهَذَا مِلْحٌ أُجاجٌ والأُجاج: المرّ.

وقوله: وَمِنْ كُلَ تَأْكُلُونَ لَحْما طَرِيّا يقول: ومن كلّ البحار تـأكلون لـحما طَرِيا, وذلك السمك من عـذبهما الفـرات, وملـحهما الأجـاج وتَسْتَـخْرِجُونَ حِلْـيَةً تَلْبَسُونَها يعنـي: الدرّ والـمرجان تستـخرجونها من الـملـح الأجاج. وقد بـيّنا قبل وجه تَسْتَـخْرِجُونَ حِلْـيَةً, وإنـما يستـخرج من الـملـح فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته وَتَرَى الفُلْـكَ فِـيهِ مَـوَاخِرَ يقـول تعالـى ذكـره: وتـرى السفن فـي كل تلك البحار مواخر, تـمخُر الـماء بصدورها, وذلك خرقها إيـاه إذا مرّت واحدتها ماخرة. يقال منه: مَخَرت تـمخُر, وتـمخَر مَخْـرا, وذلـك إذا اشقّت الـماء بصدورها. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قـال أهـل التأويـل. ذكـر من قال ذلك:

22130ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمِنْ كُلّ تَأكُلُونَ لَـحْما طَرِيّا: أي منهما جميعا وتَسْتَـخْرِجونَ حِلْـيَةً تَلْبَسُـونَها هذا اللؤلؤ, وترى الفُلك فـيه مواخر: فـيه السفن مُقبلَةً ومدبرة بريح واحدة.

22131ـ حدثنا علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَتَرَى الفُلْكَ فِـيه مَوَاخِرَ يقول: جَوارِي.

وقوله: لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ يقول: لتطلبوا بركـوبكم فـي هـذه البحـار فـي الفلك من معايشكم, ولتتصرّفوا فـيها فـي تـجاراتكم, وتشـكروا اللـه علـى تسخيره ذلك لكم, وما رزقكم منه من طيبـات الرزق, وفـاخر الـحلـيّ.

الآية : 13

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {يُولِجُ اللّيْلَ فِـي النّهَـارِ وَيُولِـجُ النّهَـارَ فِـي اللّيْلِ وَسَخّرَ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلّ يَجْرِي لأجَـلٍ مّسَـمّى ذَلِكُـمُ اللّـهُ رَبّكُـمْ لَـهُ الْمُلْكُ وَالّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ }.

يقول تعالـى ذكره: يدخـل الليـل فـي النهار, وذلك ما نقص من الليـل أدخـله فـي النهار فزاده فـيه, ويولـج النهار فـي الليـل, وذلك ما نقـص مـن أجزاء النهار زاد فـي أجزاء الليـل, فأدخـله فـيها, كما:

22132ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يُولِجُ اللّـيْـلَ فِـي النّهارِ وَيُولِـجُ النّهارَ فِـي اللّـيْـلِ زيادة هذا فـي نقصان هذا, ونقصان هذا فـي زيادة هذا.

22133ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: يُولِجُ اللّـيْـلَ فِـي النّهارِ وَيُولِـجُ النّهارَ فِـي اللّـيْـلِ يقول: هو انتقاص أحدهما من الآخر.

وقوله: وسَخّرَ الشّمْسَ والقَمَرَ كُلّ يَجْرَي لأجَلٍ مُسَمّى يقول: وأَجْرى لكم الشمس والقمر نعمة منه علـيكم, ورحمة منه بكم, لتعلـموا عـدد السنـين والـحساب, وتعرفوا الليـل من النهار.

وقوله: كُلّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّى يقول: كل ذلك يجري لوقت معلوم. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22134ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَسَخّرَ الشّمْسَ والقَمَرَ كُلّ يَجْرِي لاِءَجَلٍ مُسَمّى أجل معلوم, وحـدّ لا يُقَصّـر دونه ولا يتعدّاه.

وقوله: ذَلِكُمُ اللّهُ رَبّكُمْ يقول: الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لا تصلـح العبـادة إلاّ له, وهو الله ربكم, كما:

22135ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ذَلِكُمُ اللّهُ رَبّكُمْ لَهُ الـمُلْكُ: أي هو الذي يفعل هذا.

وقوله: لَهُ الـمُلْكُ يقول تعالـى ذكره: له الـملك التامّ الذي لا شيء إلاّ وهو فـي ملْكه وسلطانه.
وقوله وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَـمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ يقول تعالـى ذكره: والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التـي ذكرهـا فـي هذه الآيات الذي له الـمُلك الكامل, الذي لا يُشبهه ملك, صـفته مـا يَـمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ يقول: ما يـملكون قِشْر نواة فما فوقها. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
22136ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا هشيـم, قال: أخبرنـا عـوف, عمـن حدّثه, عن ابن عبـاس فـي قـوله: مـا يَـمْلِكُونَ مِـنْ قِطْمِيـرٍ قـال: هـو جلـد النواة.
حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عـن ابن عبـاس, قوله مِنْ قِطْمِيرٍ يقول: الـجلد الذي يكون علـى ظهر النواة.
حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمـي, قـال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله ما يَـمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيـرٍ يعنـي: قشـر النواة.
22137ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول اللـه: مِـن قِطْمِيـرٍ قـال: لفـافة النواة كسحاة البـيضة.
22138ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, فـي قوله: ما يَـمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ والقطمير: القشرة التـي علـى رأس النواة.
22139ـ حدثنا عمرو بن عبد الـحميد, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عـن جُوَيبر, عن بعض أصحابه, فـي قوله: ما يَـمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ قال: هو القِمع الذي يكون علـى التـمرة.
22140ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبـو عـامر, قـال: حـدثنا مـرّة, عـن عطية, قال: القطمير: قشر النواة.

الآية : 14

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {إِن تَـدْعُوهُمْ لاَ يَسْـمَعُواْ دُعَـآءَكُمْ وَلَـوْ سَمِعُواْ مَا اسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِـكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}.
قوله: إنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا ما اسْتَـجابُوا لَكُمْ يقول تعالـى ذكره: إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التـي تعبدونها من دون الله لا يسـمعوا دعـاءكم, لأنهـا جمـاد لا تفهـم عنكـم مـا تقولـون وَلَـوْ سَـمِعُوا مـا اسْتَـجابُوا لَكُمْ يقول: ولو سمعوا دعاءكم إياهم, وفهموا عنكـم أنهـا قـولكم, بأن جُعل لهم سمع يسمعون بـه, مـا اسـتـجابوا لكـم, لأنهـا لـيست ناطقـة, ولـيس كـلّ سـامع قـولاً متـيسّرا لـه الـجواب عنـه. يقـول تعالـى ذكـره للـمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دون الله مـن هـذه صـفته, وهو لا نفع لكم عنده, ولا قُدرة له علـى ضرّكم, وتَدَعون عبـادة الـذي بـيده نفعكم وضرّكم, وهو الذي خـلقكم وأنعم علـيكم. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلـك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22141ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا ما اسْتَجابُوا لَكُمْ أي ما قَبِلوا ذلك عنكم, ولا نفعوكم فيه.

وقوله: وَيَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان: ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكا في الدنيا, كما:

22142ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَيَوْمَ القِيامَةِ يكْفُرُونَ بِشِرْكِكمْ إياهم, ولا يرضَوْن, ولا يُقِرّون به.

وقوله: وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ يقول تعالى ذكره: ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عَبَدَتها يوم القيامة, من تَبَرّئها منهم, وكفرها بهم, مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شيء كان أو يكون سبحانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22143ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِير والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَيّهَا النّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى اللّهِ وَاللّهُ هُوَ الْغَنِيّ الْحَمِيدُ }.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم, فإياه فاعبدوا, وفي رضاه فسارعوا, يغنكم من فقركم, وتُنْجح لديه حوائجكم وَاللّهُ هُوَ الغَنِيّ عن عبادتكم إياه, وعن خدمتكم, وعن غير ذلك من الأشياء, منكم ومن غيركم, الحَمِيدُ يعني: المحمود على نِعَمه, فإن كلّ نعمة بكم وبغيركم فمنه, فله الحمد والشكر بكلّ حال.

الآية : 16-18

القول في تأويل قوله تعالى: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللّهِ بِعَزِيزٍ * وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىَ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىَ حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىَ إِنّمَا تُنذِرُ الّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُواْ الصّلاَةَ وَمَن تَزَكّىَ فَإِنّمَا يَتَزَكّىَ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ }.

يقول تعالى ذكره: إن يشأ يُهلككم أيها الناس ربكم, لأن أنشأكم من غير ما حاجة به إليكم ويَأتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ يقول: ويأت بخلق سواكم يُطيعونه, ويأتمرون لأمره, وينتهون عما نهاهم عنه, كما:

22144ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إِنْ يَشأْ يُذْهِبْكُمْ ويَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ: أي ويأت بغيركم.

وقوله: وَما ذَلكَ علَى اللّهِ بِعَزِيزٍ يقول: وما إذهابكم والإتيان بخلق سواكم على الله بشديد, بل ذلك عليه يسير سهل, يقول: فاتقوا الله أيها الناس, وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك.

وقوله: وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى يقول تعالى ذكره: ولا تحملْ آثمة إثم أخرى غيرها وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبَى يقول تعالى: وإن تسألْ ذاتُ ثِقْل من الذنوب مَنْ يحمل عنها ذنوبها, وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئا منها, ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22145ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبَى يقول: يكون عليه وزر لا يجد أحدا يحمل عنه من وزره شيئا.

22146ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَإِنْ تَدعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ كنحو: لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وَزْرَ أُخْرَى.

22147ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإِنْ تَدْع مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِها إلى ذنوبها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبَى: أي قريب القرابة منها, لا يحمل من ذنوبها شيئا, ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئاوَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ونصب ذا قربى على تمام «كان» لأن معنى الكلام: ولو كان الذي تسأله أن يحمل عنها ذنوبها ذا قربى لها وأنثت «مثقلة», لأنه ذهب بالكلام إلى النفس, كأنه قيل: وإن تدع نفس مثقلة من الذنوب إلى حمل ذنوبها. وإنما قيل كذلك لأن النفس تؤدّي عن الذكر والأنثى, كما قيل: كُلّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ يعني بذلك: كلّ ذكر وأنثى.

وقوله: إنّمَا تُنْذِرُ الّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّهُمْ بالغَيْبِ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك, ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به, وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله فهؤلاء الذين ينفعهم إنذارك, ويتعظون بمواعظك, لا الذين طَبَع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون, كما:

22148ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّمَا تُنْذِرُ الّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّهُمْ بالغَيْبِ: أي يخشون النار.

وقوله: وأقامُوا الصّلاةَ يقول: وأدّوْا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم. وقوله: وَمَنْ تَزَكّى فإنّمَا يتَزَكّى لِنَفْسِهِ يقول تعالى ذكره: ومن يتطهّر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله, والإيمان به, والعمل بطاعته, فإنما يتطهّر لنفسه, وذلك أنه يثيبها به رضا الله, والفوز بجنانه, والنجاة من عقابه, الذي أعدّه لأهل الكفر به, كما:

22149ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَمَنْ تَزَكّى فإنّمَا يَتَزَكّى لِنَفْسِهِ: أي من يعملْ صالحا فإنما يعمله لنفسه.

وقوله: وَإلى اللّهِ المَصِيرُ يقول: وإلى الله مصير كلّ عامل منكم أيها الناس, مؤمنكم وكافركم, وبرّكم وفاجركم, وهو مجاز جميعكم بما قدّم من خير أو شرّ على ما أهل منه.

الآية : 19-23

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الأعْمَىَ وَالْبَصِيرُ * وَلاَ الظّلُمَاتُ وَلاَ النّورُ * وَلاَ الظّلّ وَلاَ الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأحْيَآءُ وَلاَ الأمْوَاتُ إنّ اللّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مّن فِي الْقُبُورِ * إنْ أَنتَ إلاّ نَذِيرٌ}. يقول تعالى ذكره: وَما يَسْتَوِي الأعْمَى عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والبَصِيرُ الذي قد أبصر فيه رشده, فاتبع محمدا وصدّقه, وقبل عن الله ما ابتعثه به وَلا الظّلُماتُ يقول: وما تستوي ظلمات الكفر, ونور الإيمان وَلا الظّلّ قيل: ولا الجنة وَلا الحَرُورُ قيل: النار, كأن معناه عندهم: وما تستوي الجنة والنار

والـحَرُور بـمنزلة السّموم, وهي الرياح الـحارّة. وذكر أبو عبــيدة مَعْمَـر بـن الـمثنى, عن رُؤْبة بن العَجّاج, أنه كان يقـول: الــحَرور بـالليــل, والسـموم بـالنهار. وأما أبو عبـيدة فإنه قـال: الــحَرور فـي هـذا الــموضع والنهـار مـع الشـمس. وأمـا الفـراء فإنه كـان يقـول: الــحَرُور يكـون بـالليــل والنهـار, والسّموم لا يكون بـالليـل إنـما يكون بـالنهار.

والقول فـي ذلك عندي, أن الـحَرور يكون بـالليـل والنهار, غير أنـه فــي هذا الـموضع بأن يكون كما قال أبو عبـيدة: أشـبه مـع الشـمس, لأن الظـلّ إنـما يكون فـي يوم شمس, فذلك يدلّ علـى أنه أريد بـالـحَرور: الذي يوجــد فـي حال وجود الظلّ.

وقوله: وَما يَسْتَوِي الأحْياءُ وَلا الأمْوَاتُ يقول: وما يستوي الأحيـاء القلـوب بـالإيـمان بـالله ورسوله, ومعرفة تنزيـل الله, والأموات القلوب لغلبة الكفر علـيها, حتـى صارت لا تعقـل عـن اللـه أمـره ونهيـه, ولا تعـرف الهـدى مـن الضلال وكلّ هذه أمثـال ضـربها اللـه للــمؤمن والإيــمان, والكـافر والكفـر. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22150ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَما يَسْتَوِي الأعْمَـى والبَصِـيرُ... الآية, قال: هو مَثَل ضربه اللـه لأهـل الطاعـة وأهـل الــمعصية. يقـول: ومـا يستوي الأعمى والظلـمات والـحرور, ولا الأموات, فهو مَثَل أهل الــمعصية. ولا يستوي البصير ولا النور, ولا الظلّ والأحياء, فهو مثل أهل الطاعة.

22151ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما يَسْتَوِي الأعْمَى... الآية خـلقا, فضـل بعضـه علــى بعـض فأمـا الــمؤمن فعبد حيّ الأثر, حيّ البصر, حيّ النـية, حيّ العمل. وأما الكـافر فعبـد ميـت, ميت البصر, ميت القلب, ميت العمل.

22152ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قـوله: وَمـا يَسْـتَوِي الأعْمَـى والبَصِـيرُ وَلا الظُّلُـماتُ وَلا النّـورُ وَلا الظّـلّ وَلا الـحَرُورُ وَما يَسْتَوِي الأحْياءُ وَلا الأمْوَاتُ قال: هذا مثل ضربه الله فـالــمؤمن بصير فـي دين اللَه, والكافر أعمـى, كمـا لا يسـتوي الظـلّ ولا الــحَرور, ولا الأحياء ولا الأموات, فكذلك لا يستوي هذا الـمؤمن الذي يبصر دينـه, ولا هـذا الأعمى, وقرأ: أوَ مَنْ كانَ مَيْتـا فأحْيَـيْناهُ وَجَعَلْنـا لَـهُ نُـورا يَـمْشِي بِـهِ فِــي النّاسِ قال: الهُدى الذي هداه الله بـه ونـوّر لـه. هـذا مثـل ضـربه اللـه لهـذا الـمؤمن الذي يبصر دينه, وهذا الكافر الأعمى, فجعل الــمؤمن حيـا, وجعـل الكافر ميتا, ميت القلب أوَ مَنْ كانَ مَيْتا فأحْيَـيْناهُ قال: هديناه إلــى الإسـلام كمن مثله فـي الظلـمات أعمـى القلـب, وهـو فــي الظلــمات, أهـذا وهـذا سواء؟

واختلف أهل العربـية فـي وجه دخول «لا» مع حرف العطف فـي قوله: وَلا الظّلُـماتُ وَلا النّورُ وَلا الظّلّ وَلا الـحَرُورُ فقال بعض نـحويّـي البصـرة: قـال: ولا الظلّ ولا الـحَرور, فـيشبه أن تكون «لا» زائدة, لأنك لو قلت: لا يسـتوي عمرو ولا زيد فـي هذا الـمعنى لـم يجز إلاّ أن تكون «لا» زائـدة وكـان غيـره يقول: إذا لـم تدخـل «لا» مع الواو, فإنـما لـم تدخـل اكتفــاء بـدخولها فــي أوّل الكلام, فإذا أدخـلت فـإنه يـراد بــالكلام أن كـلّ واحـد منهمـا لا يسـاوي صاحبه, فكان معنى الكلام إذا أعيدت «لا» مع الواو عند صاحب هذا القــول:

لا يساوي الأعمى البصير ولا يساوي البصير الأعمى, فكلّ واحد منهما لا يساوي صاحبه.

وقوله: إنّ اللّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَما أنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله, فيهديهم به إلى سبيل الرشاد, فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله, وبيان حُججه, من كان ميت القلب من أحياء عباده, عن معرفة الله, وفهم كتابه وتنزيله, وواضح حججه, كما:

22153ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ اللّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَما أنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ كذلك الكافر لا يسمع, ولا ينتفع بما يسمع.

وقوله: إنْ أنْتَ إلاّ نَذِيرٌ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ما أنت إلاّ نذير تُنذر هؤلاء المشركين بالله, الذين طبع الله على قلوبهم, ولم يُرسِلك ربك إليهم إلاّ لتبلغهم رسالته, ولم يكلفك من الأمر ما لا سبيل لك إليه فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به, فإن ذلك بيد الله لا بيدك, ولا بيد غيرك من الناس, فلا تذهب نفسُك عليهم حَسَراتٍ إن هم لم يستجيبوا لك.

الآية : 24-26

القول في تأويل قوله تعالى: {إنّآ أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مّنْ أُمّةٍ إِلاّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ * وَإِن يُكَذّبُوكَ فَقَدْ كَذّبَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيّنَاتِ وَبِالزّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ }.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنّا أرْسَلْناكَ يا محمد بالحَقّ وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده بَشِيرا يقول: مُبشّرا بالجنة من صدّقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة وَنَذِيرا تُنذر الناسَ مَنْ كذّبك وردّ عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة. وَإنْ مِنْ أُمّةٍ إلاّ خَلا فِيها نَذِيرٌ يقول: وما من أمة من الأمم الدائنة بملة إلاّ خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله, كما:

22154ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإنْ مِنْ أُمّةٍ إلاّ خَلا فِيها نَذِيرٌ كلّ أمة كان لها رسول.

وقوله: وَإنْ يُكَذّبُوكَ فَقَدْ كَذّبَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يقول تعالى ذكره مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يلقى من مشركي قومه من التكذيب: وإن يكذّبك يا محمد مشركو قومك, فقد كذّب الذين من قبلهم من الأمم الذين جاءتهم رسلهم بالبينات يقول: بحجج من الله واضحة. وبالزّبُر يقول: وجاءتهم بالكتب من عند الله, كما:

22155ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: بالبَيّناتِ وبِالزّبُرِ أي الكتب.

وقوله: وَبالكِتَابِ المُنِيرِ يقول: وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمّله وتدبّره أنه الحقّ, كما:

22156ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَبالكِتابِ المُنِيرِ يضعف الشيء وهو واحد.

وقوله: ثُمّ أخَذْتُ الّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا, وحقيقة ما دعوهم إليه من آياتنا,

وأصرّوا على جحودهم فكَيْفَ كانَ نَكِيرِ يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييري بهم, وحلول عقوبتي بهم.

الآية : 27-28

القول في تأويل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ أَنزَلَ مِنَ السّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النّاسِ وَالدّوَآبّ وَالأنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنّ اللّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }.

يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثا, فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها يقول: فسقيناه أشجارا في الأرض, فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفا ألوانها, منها الأحمر, ومنها الأسود والأصفر, وغير ذلك من ألوانها وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ يقول تعالى ذكره: ومن الجبال طرائق, وهي الجدد, وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود, كالطرق واحدتها جدّة ومنه قول امرىء القيس في صفة حمار:

كأنّ سَرَاتَهُ وَجُدّةَ مَتْنِهِكَنائِنُ يَجْرِي فَوْقَهُنّ دَلِيصُ

يعني بالجدّة: الخطة السوداء تكون في متن الحمار.

وقوله: مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُها يعني: مختلف ألوان الجدد وَغَرَابِيبُ سُودٍ, وذلك من المقدّم الذي هو بمعنى التأخير وذلك أن العرب تقول: هو أسود غربيب, إذا وصفوه بشدّة السواد, وجعل السواد ههنا صفة للغرابيب. وقوله: وَمِنَ النّاسِ وَالدّوَابّ والأنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحُمرة والبياض والسواد والصفرة, وغير ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22157ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: أَلَمْ تَرَ أنّ اللّهَ أنْزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً فأخْرَجْنا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفا أَلْوَانُها أحمر وأخضر وأصفر. وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ: أي طرائق بيض وحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُها أي جبال حمر وبيض وَغَرابِيبُ سُودٌ هو الأسود, يعني لونه كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدوابّ والأنعام كذلك.

22158ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ طرائق بيض, وحمر وسود, وكذلك الناس مختلف ألوانهم.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي, قال: حدثنا مروان, عن جُوَيبر, عن الضحاك قوله وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ قال: هي طرائق حمر وسود.

وقوله: إنّمَا يَخْشى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ يقول تعالى ذكره: إنما يخاف اللّهَ فيتقي عقابه بطاعته العلماءُ, بقدرته على ما يشاء من شيء, وأنه يفعل ما يريد, لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته, فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22159ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ قال: الذين يعلمون أن الله على كلّ شيء قدير.

22160ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ قال: كان يقال: كفى بالرهبة عِلما.

وقوله: إنّ اللّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ يقول تعالى ذكره: إن الله عزيز في انتقامه ممن كفر به, غفور لذنوب من آمن به وأطاعه.

الآية : 29-30

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللّهِ وَأَقَامُواْ الصّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لّن تَبُورَ * لِيُوَفّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مّن فَضْلِهِ إِنّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يقرؤون كتاب الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم وأقامُوا الصّلاةَ يقول: وأدّوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها. وقال: وأقاموا الصلاة بمعنى: ويقيموا الصلاة. وقوله: وأنْفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ سِرّا وَعَلانِيَةً يقول: وتصدّقوا بما أعطيناهم من الأموال سرّا في خفاء, وعلانية: جهارا. وإنما معنى ذلك أنهم يؤدّون الزكاة المفروضة, ويتطوّعون أيضا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه. وقوله: يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ يقول تعالى ذكره: يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور: لن تكسد ولن تهلك من قولهم: بارت السوق: إذا كسدت وبار الطعام. وقوله: تِجارَةً جواب لأوّل الكلام. وقوله: لِيُوَفّيَهُمْ أُجُورَهُمْ يقول: ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ يقول: وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل. وكان مطرف بن عبد الله يقول: هذه آية القراء.

22161ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عمرو بن عاصم, قال: حدثنا معتمر, عن أبيه, عن قتادة, قال: كان مطرف إذا مرّ بهذه الآية: إنّ الّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللّهِ يقول: هذه آية القراء.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن يزيد, عن مطرف بن عبد الله, أنه قال في هذه الآية: إنّ الّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللّهِ... إلى آخر الآية, قال: هذه آية القراء.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان مطرف بن عبد الله يقول: هذه آية القراء لِيُوَفّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

وقوله: إنّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ يقول: إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم, شكور لحسناتهم, كما:

22162ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ: إنه غفور لذنوبهم, شكور لحسناتهم.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِيَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقّ مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنّ اللّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ }.

يقول تعالى ذكره: وَالّذِي أوْحَيْنا إلَيْكَ مِنَ الكِتابِ يا محمد, وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه هُوَ الحَقّ يقول: هو الحقّ عليك وعلى أمتك أن تعمل به, وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أُوحيت إلى غيرك مُصَدّقا لِمَا بَينَ يَدَيْهِ يقول: هو يصدّق ما مضى بين يديه, فصار أمامه من الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل, كما:

22163ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَالّذِي أَوْحَيْنا إلَـيْكَ مِنَ الكِتابِ هُوَ الـحَقّ مُصَدّقا لِـمَا بـينَ يَدَيْهِ للكتـب التـي خـلت قبله.

وقوله: إنّ اللّهَ بِعِبـادِهِ لـخَبِـيرٌ بَصِيرٌ يقول تعالـى ذكره: إن الله بعبـاده لذو علـم وخبرة بـما يعملون بصير بـما يصلـحهم من التدبـير.

الآية : 32

القول فـي تأويـل قوله تعالــى: {ثُـمّ أَوْرَثْنَـا الْكِتَـابَ الّـذِينَ اصْـطَفَيْنَا مِـنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِـالْخَيْرَاتِ بِـإِذْنِ اللّـهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }.

اختلف أهل التأويـل فـي معنى الكتاب الذي ذكر الله فـي هذه الآيـة أنـه أورثه الذين اصطفـاهم من عبـاده, ومن الـمصطفون من عبـاده, والظالــم لنفسه, فقال بعضهم: الكتاب: هو الكتب التـي أنزلها الله من قبل الفُرقـان, والـمصطفون من عبــاده: أمـة مــحمد صـلى اللـه عليـه وسـلم, والظالــم لنفسه: أهل الإجرام منهم. ذكر من قال ذلك:

22164ـ حدثنا علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: ثُمّ أوْرَثْنا الكِتابَ... إلـى قوله: الفَضْلُ الكَبِـيرُ هم أمة مـحمد صلى الله عليه وسلم, ورّثهم الله كل كتـاب أنزلـه, فظالــمهم يغفـر له, ومقتصدهم يحاسب حسابـا يسيرا, وسابقهم يدخـل الـجنة بغير حساب.

22165ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الـحكم بن بشير, قال: حدثنا عمـرو بن قـيس, عن عبد الله بن عيسى, عن يزيد بن الـحارث, عن شقــيق, عـن أبـي وائل, عن عبد اللـه بـن مسـعود أنـه قـال: هـذه الأمـة ثلاثـة أثلاث يـوم القـيامة: ثلث يدخـلون الـجنة بغير حساب, وثلث يحاسـبون حسابــا يسـيرا, وثلث يجيئـون بـذنوب عظـام, حتــى يقـول: مـا هـؤلاء؟ وهـو أعلــم تبــارك وتعالـى, فتقول الـملائكة: هؤلاء جاؤوا بذنوب عظـام إلاّ أنهـم لــم يُشـركوا بك, فـيقول الربّ: أدخـلوا هؤلاء فـي سعة رحمتـي. وتلا عبد الله هذه الآية: ثُمّ أوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَـيْنا مِنْ عِبـادِنا.

22166ـ حدثنا حميد بن مسعدة, قال: حدثنا يزيد بـن زريـع, قـال: حـدثنا عون, قال: حدثنا عبد الله بن الـحارث بن نوفل, قال: حـدثنا كعـب الأحبــار أن الظالـم لنفسه من هذه الأمة, والــمقتصد, والسـابق بـالــخيرات: كلهـم فـي الـجنة ألــم تـر أن اللـه قـال: ثُـمّ أوْرَثْنـا الكِتـابَ الّـذِينَ اصْطَفَــيْنا مِـنْ عِبـادِنا... إلـى قوله: كُلّ كَفُورٍ.

حدثنـي علـيّ بن سعيد الكندي, قال: حدثنا عبد الله بن الـمبــارك, عـن عوف, عن عبد الله بن الـحارث بن نوفل, قال: سمعت كعبـا يقـول: فَمِنْهُـمْ ظالِـمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِـالـخَيْرَاتِ بإذْنِ اللّـهِ قـال: كلهـم فـي الـجنة, وتلا هذه الآية: جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُـلُونَها.

حدثنا الـحسن بن عرفة, قال: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري, عن عوف بن أبـي جبلة, قال: حدثنا عبد الله بن الـحارث بن نوفل, قـال: حـدثنا كعـب أن الظالـم من هـذه الأمـة, والــمقتصد, والسـابق بـالــخيرات, كلهـم فــي الـجنة ألـم تر أن الله قال: ثُمّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الّـذِينَ اصْطَفَــيْنا مِـنْ عِبــادِنا... إلـى قوله: لُغُوبٍ والذين كفروا لهم نار جهنـم, قال: قال كعب: فهؤلاء أهــل النار.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن عوف, قال: سمعت عبد الله بن الحارث يقول: قال كعب: إن الظالم لنفسه, والمقتصد, والسابق بالخيرات من هذه الأمة: كلهم في الجنة, ألم تر أن الله يقول: ثُمّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا... حتى بلغ قوله: جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها.

22167ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: أخبرنا حميد, عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه, أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى: ثُمّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا... إلى قوله: بإذْنِ اللّهِ فقال: تماست مناكبهم ورب الكعبة, ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

22168ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمرو بن قيس, عن أبي إسحاق السبيعي, في هذه الآية: ثُمّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنا قال: قال أبو إسحاق: أما ما سمعت منذ ستين سنة, فكلهم ناج.

22169ـ قال: ثنا عمرو, عن محمد بن الحنفية, قال: إنها أمة مرحومة الظالم مغفور له, والمقتصد في الجنات عند الله, والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله.

وقال آخرون: الكتاب الذي أورث هؤلاء القوم, هو شهادة أن لا إله إلاّ الله والمصطفون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم والظالم لنفسه منهم هو المنافق, وهو في النار والمقتصد, والسابق بالخيرات في الجنة. ذكر من قال ذلك:

22170ـ حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي, قال: حدثنا الفضل بن موسى, عن حسين بن واقد, عن يزيد, عن عكرمة, عن عبد الله فَمِنهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ قال: اثنان في الجنة, وواحد في النار.

22171ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله ثُمّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا... إلى آخر الآية, قال: جعل أهل الإيمان على ثلاثة منازل, كقوله: أَصحَابُ الشّمالِ ما أَصحَابُ الشّمال وأَصحَابُ اليَمِينِ ما أَصحَابُ اليَمِينِ والسّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرّبُونَ فهم على هذا المثال.

22172ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرمة فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ... الآية, قال: الاثنان في الجنة, وواحد في النار, وهي بمنزلة التي في الواقعة: وأَصحَابُ اليَمِينِ ما أَصحَابُ اليَمِينِ وأَصحَابُ الشّمالِ ما أَصحَابُ الشّمالِ والسّابِقونَ السّابِقُونَ.

22173ـ حدثنا سهل بن موسى, قال: حدثنا عبد المجيد, عن ابن جريج, عن مجاهد, في قوله: ثُمّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قال: هم أصحاب المشأمة وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ قال: هم أصحاب الميمنة وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْراتِ قال: هم السابقون من الناس كلهم.

22174ـ حدثنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا مروان بن معاوية, قال: قال عوف, قال الحسن: أما الظالم لنفسه فإنه هو المنافق, سقط هذا. وأما المقتصد والسابق بالخيرات, فهما صاحبا الجنة.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن عوف, قال: قال الحسن: الظالم لنفسه: المنافق.

22175ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ثمّ أوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا شهادة أن لا إله إلاّ الله فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ هذا المنافق في قول قتادة والحسن وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ قال: هذا صاحب اليمين وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ قال: هذا المقرّب. قال قتادة: كان الناس ثلاث منازل في الدنيا, وثلاث منازل عند الموت, وثلاث منازل في الآخرة. أما الدنيا, فكانوا: مؤمن, ومنافق, ومشرك. وأما عند الموت, فإن الله قال: فأمّا إنْ كانَ مِنَ المُقَرّبِينَ فَرْوحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنّةُ نَعِيمٍ وأمّا إنْ كانَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَابِ اليَمينِ وأمّا إنْ كَانَ مِنَ المُكَذّبِينَ الضّالّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ. وأما في الآخرة فكانوا أزواجا ثلاثة, وأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ وأصحَابُ المَشأمَةِ ما أصحَابُ المَشْأمَةِ والسّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرّبُونَ.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ثُمّ أوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قال: هم أصحاب المشأمة وَمِنْهُمْ مُقْتَصِد قال: أصحاب الميمنة, وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ قال: فهم السابقون من الناس كلهم.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: ثُمّ أوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قال: سقط هذا وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ بإذْنِ اللّهِ قال: سبق هذا بالخيرات, وهذا مقتصد على أثره.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال: عنى بقوله: ثُمّ أوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه, وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتلون غير كتابهم, ولا يعملون إلاّ بما فيه من الأحكام والشرائع؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الذي ذهبت إليه, وإنما معناه: ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا, فمنهم مؤمنون بكلّ كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به, لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان, فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله, وباتباع من جاء به, وذلك عمل من أقرّ بمحمد صلى الله عليه وسلم, وبما جاء به, وعمل بما دعاه إليه بما في القرآن, وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله.

وإنما قيل: عنى بقوله ثُمّ أوْرَثْنا الكتابَ الكتب التي ذكرنا لأن الله جلّ ثناؤه قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وَالّذِي أوْحَيْنَا إلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الحَقّ مُصَدّقا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثم أتبع ذلك قوله ثُمّ أوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنا فكان معلوما, إذ كان معنى الميراث إنما هو انتقال معنى من قوم إلى آخرين, ولم تكن أمة على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته, أن ذلك معناه. وإذ كان ذلك كذلك, فبيّنٌ أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته وأما الظالم لنفسه, فإنه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق

والشرك عندي أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر, وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله: جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها فعمّ بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة.

فإن قال قائل: فإن قوله يَدْخُلُونَها إنما عنى به المقتصد والسابق قيل له: وما برهانك على أن ذلك كذلك من خبر أو عقل؟ فإن قال: قيام الحجة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار, ولو لم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد وجب أن لا يكون لأهل الإيمان وعيد قيل: إنه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون النار, وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عَدْن, وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التي أصابها في الدنيا, وظلمه نفسه فيها بالنار, أو بما شاء من عقابه, ثم يُدخله الجنة, فيكون ممن عمه خبر الله جلّ ثناؤه بقوله جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخَلُونَها.

وقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا في ذلك أخبارٌ, وإن كان في أسانيدها نظر, مع دليل الكتاب على صحته على النحو الذي بيّنت. ذكر الرواية الواردة بذلك:

22176ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري, قال: حدثنا سفيان عن الأعمش, قال: ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد, فجلس إلى جنب أبي الدرداء, فقال: اللهمّ آنس وحشتي, وارحم غُرْبتي, ويسّر لي جليسا صالحا, فقال أبو الدرداء: لئن كنت صادقا لأنا أسعد به منك سأحدّثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدّث به منذ سمعته ذَكَرَ هذه الآية: ثُمّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالْخَيْرَاتِ فأما السابق بالخيرات, فيدخلها بغير حساب, وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا, وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغمّ والحزن, فذلك قوله: الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أذْهَبَ عَنّا الحَزَنَ.

22177ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة عن الوليد بن المغيرة, أنه سمع رجلاً من ثقيف حدّث عن رجل من كنانة, عن أبي سعيد الخدريّ, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية: ثُمّ أوْرَثْنا الكِتابَ الّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ بإذْنِ الله قال: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة, وكلهم في الجنة».

وعنى بقوله: الّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا: الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبيناهم. وقوله: فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ يقول: فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا, من يظلم نفسه بركوبه المآثم, واجترامه المعاصي, واقترافه الفواحش وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وهو غير المبالغ في طاعة ربه, وغير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه, حتى يكون عمله في ذلك قصدا وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ وهو المبرز الذي قد تقدّم المجتهدين في خدمة ربه, وأداء ما لزمه من فرائضه, فسبقهم بصالح الأعمال, وهي الخيرات التي قال الله جلّ ثناؤه بإذْنِ اللّهِ يقول: بتوفيق الله إياه لذلك.

وقوله: ذَلكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ يقول تعالى ذكره: سبوق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله, وهو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقصّرا عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه.

الآية : 33-34

القول في تأويل قوله تعالى: {جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُواْ الْحَمْدُ للّهِ الّذِيَ أَذْهَبَ عَنّا الْحَزَنَ إِنّ رَبّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ }.

يقول تعالى ذكره: بساتين إقامة يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب, الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة يُحَلّوْنَ فِيها مِنْ أساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ يلبسون في جنات عدن أسورة من ذهب وَلُؤْلُؤا وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ يقول: ولباسهم في الجنة حرير.

وقوله: وَقالُوا الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَذْهَبَ عَنّا الحَزَنَ اختلف أهل التأويل في الحَزَن الذي حمد الله على إذهابه عنهم هؤلاء القوم, فقال بعضهم: ذلك الحزَن الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار, إذ كانوا خائفين أن يدخلوها. ذكر من قال ذلك:

22178ـ حدثني قتادة بن سعيد بن قتادة السدوسيّ, قال: حدثنا معاذ بن هشام صاحب الدستوائي, قال: حدثنا أبي, عن عمرو بن مالك, عن أبي الجوزاء, عن ابن عباس, في قوله: الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَذْهَبَ عَنّا الحَزَنَ قال: حزن النار.

22179ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا ابن المبارك, عن معمر, عن يحيى بن المختار, عن الحسن وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما قال: إن المؤمنين قوم ذُلّل, ذلّت والله الأسماع والأبصار والجوارح, حتى يحسبهم الجاهل مَرْضَى, وما بالقوم مرض, وإنهم لأصحة القلوب, ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم, ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة, فقالوا: الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَذْهَبَ عَنّا الحَزَنَ, والحَزَن, والله ما حزنهم حزن الدنيا, ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار, وإنه من لا يتعزّ بعزاء الله يقطّع نفسه على الدنيا حسرات, ومن لم ير لله عليه نعمة إلاّ في مطعم أو مشرب, فقد قلّ علمه, وحضر عذابه.

وقال آخرون: عُني به الموت. ذكر من قال ذلك:

22180ـ حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أبيه, عن عطية, في قوله: الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَذْهَبَ عَنّا الحَزَنَ قال: الموت.

وقال آخرون: عُني به حزن الخبز. ذكر من قال ذلك:

22181ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن حفص, يعني ابن حميد, عن شمر, قال: لما أدخل الله أهل الجنة الجنة, قالوا الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَذْهَبَ عَنّا الحَزَنَ قال: حزن الخبز.

وقال آخرون: عُني بذلك: الحَزَن من التعب الذي كانوا فيه في الدنيا. ذكر من قال ذلك:

22182ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَقالُوا الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَذْهَبَ عَنّا الحَزَنَ قال: كانوا في الدنيا يعملون وينصَبون وهم في خوف, أو يحزنون.

وقال آخرون: بل عُني بذلك الحزن الذي ينال الظالم لنفسه في موقف القيامة. ذكر من قال ذلك:

22183ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, قال: ذكر أبو ثابت أن أبا الدرداء, قال: سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول: «أمّا الظّالِمُ لِنَفْسِهِ, فَيُصِيبُهُ فِي ذَلكَ الـمَكانِ مِنَ الغَمّ والحَزَنِ, فَذلكَ قَوْلُهُ: الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أذْهَبَ عَنّا الحَزَنَ».

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أذْهَبَ عَنّا الحَزَنَ وخوف دخول النار من الحزن, والجَزَع من الموت من الحزن, والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن, ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعا دون نوع, بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنوع الحزن بقولهم ذلك, وكذلك ذلك, لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك, فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن.

وقوله: إنّ رَبّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة: إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم, فساترها عليهم بعفوه لهم عنهم, شكور لهم على طاعتهم إياه, وصالح ما قدّموا في الدنيا من الأعمال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22184ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة في قوله: إنّ رَبّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ لحسناتهم.

22185ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن حفص, عن شمر إنّ رَبّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ غفر لهم ما كان من ذنب, وشكر لهم ما كان منهم.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِيَ أَحَلّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسّنَا فِيهَا لُغُوبٌ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين أدخلوا الجنة إنّ رَبّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الّذِي أحَلّنا دَارَ الـمُقامَةِ: أي ربنا الذي أنزلنا هذه الدار, يعنون الجنة فدار الـمُقامة: دار الإقامة التي لا نقلة معها عنها, ولا تحوّل والميم إذا ضمت من الـمُقامة, فهي من الإقامة, فإذا فتحت فهي من المجلس, والمكان الذي يُقام فيه, قال الشاعر:

يَوْمانِ يَوْمُ مَقاماتٍ وأنْدِيَةٍوَيَوْمُ سَيْرٍ إلى الأعْدَاءِ تأْوِيبِ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22186ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة الّذِي أحَلّنا دَارَ الـمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ أقاموا فلا يتحوّلون.

وقوله: لا يَـمَسّنا فِيها نَصَبٌ يقول: لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع وَلا يَـمَسّنا فِيها لُغُوبٌ يعني باللغوب: العناء والإعياء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22187ـ حدثنا محمد بن عبيد, قال: حدثنا موسى بن عمير, عن أبي صالح, عن ابن عباس, في قوله: لا يَـمَسّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَـمَسّنا فِيها لُغُوبٌ قال: اللغوب: العناء.

22188ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لا يَـمَسّنا فِيها نَصَبٌ: أي وجع.

الآية : 36-37

القول في تأويل قوله تعالى: {وَالّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنّمَ لاَ يُقْضَىَ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلاَ يُخَفّفُ عَنْهُمْ مّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلّ كَفُورٍ * وَهُمْ

يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الّذِي كُـنّا نَعْمَلُ أَوَلَـمْ نُعَمّرْكُـمْ مّا يَتَذَكّرُ فِيهِ مَن تَذَكّرَ وَجَآءَكُمُ النّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظّالِمِينَ مِن نّصِيرٍ }.

يقول تعالى ذكره: وَالّذِينَ كَفَرُوا بالله ورسوله لَهُمْ نارُ جَهَنّـمَ يقول: لهم نار جهنم مخلّدين فيها, لا حظّ لهم في الجنة ولا نعيمها, كما:

22189ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَهُمْ نَارُ جَهَنّـمَ لاَ يُقْضَى عَلَـيْهِمْ بالموت فيموتوا, لأنهم لو ماتوا لاستراحوا.

وَلا يُخَفّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها يقول: ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتتهم, فيخفف ذلك عنهم, كما:

22190ـ حدثني مُطرّف بن عبد الله الصّبّي, قال: حدثنا أبو قُتيبة, قال: حدثنا أبو هلال الراسبيّ, عن قتادة عن أبي السوداء, قال: مساكين أهل النار لا يموتون, لو ماتوا لاستراحوا.

22191ـ حدثني عقبة عن سنان القزاز, قال: حدثنا غَسان بن مضر, قال: حدثنا سعيد بن يزيد وحدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن سعيد بن يزيد وحدثنا سَوّار بن عبد الله, قال: حدثنا بشر بن المفضل, حدثنا أبو سَلَمة, عن أبي نضرة, عن أبي سعيد, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمّا أَهْلُ النّارالّذِينَ هُمْ أَهْلُها فإنّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيها ولا يَحْيَوْنَ, لكنّ ناسا أو كما قال تُصِيبُهُمْ النّارُ بِذُنُوبِهِمْ, أو قال: بِخَطاياهُمْ, فَيُمِيتُهُمْ إماتَةً حتى إذَا صَارُوا فَحْما أُذِنَ فِي الشّفَاعَةِ, فَجِيءَ بِهِمْ ضَبائِرَ, فَبُثّوا على أَهْلِ الجَنّةِ, فَقالَ: يا أهلَ الجَنّةِ أفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ كمَا تَنْبُتُ الحَبّةُ فِي حَمِيلِ السّيْلِ» فقال رجل من القوم حينئذٍ: كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ولاَ يخَفّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِهَا وقد قيل في موضع آخر: كُلّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيرا؟ قيل: معنى ذلك: ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب.

وقوله: كَذَلكَ نَجْزِي كُلّ كَفُورٍ يقول تعالى ذكره: هكذا يكافىء كلّ جحود لنعم ربه يوم القيامة, بأن يدخلهم نار جهنم بسيئاتهم التي قدّموها في الدنيا.

وقوله: وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبّنا أخْرِجْنا نَعْمَلْ صَالِحا غيرَ الّذِي كُنّا نعملُ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الكفار يستغيثون, ويضجون في النار, يقولون: يا ربنا أخرجنا نعمل صالحا: أي نعمل بطاعتك غَيرَ الّذِي كُنّا نَعْمَلُ قبلُ من معاصيك. وقوله: يَصْطَرِخُونَ يفتعلون من الصّراخ, حوّلتْ تاؤها طاء لقرب مخرجها من الصاد لما ثَقُلت.

وقوله: أوَ لَمْ نُعَمّرْكُمْ ما يَتَذَكّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكّرَ اختلف أهل التأويل في مبلغ ذلك, فقال بعضهم: ذلك أربعون سنة. ذكر من قال ذلك:

22192ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا بشر بن المفضل, قال: حدثنا عبد الله بن عثمان بن خُثَيم, عن مجاهد, قال: سمعت ابن عباس يقول: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم أوَ لَمْ نُعَمّرْكُمْ ما يَتَذَكّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكّرَ: أربعون سنة.

22193ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, عن مجالد, عن الشعبي, عن مسروق أنه كان يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة, فليأخذ حِذْره من الله.

وقال آخرون: بل ذلك ستون سنة. ذكر من قال ذلك:

22194ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن ابن خُثَيْم, عن مجاهد, عن ابن عباس أو لَمْ نُعَمّرْكُمْ ما يَتَذَكّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكّرَ قال: ستون سنة.

حدثنا أبو كُرَيب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم, عن مجاهد, عن ابن عباس, قال: العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة.

22195ـ حدثنا عليّ بن شعيب, قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي كديك, عن إبراهيم بن الفضل, عن أبي حسين المكيّ, عن عطاء بن أبي رَباح, عن ابن عباس, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ نُودِيَ: أيْنَ أبْناءُ السّتّينَ, وَهُوَ العُمُرُ الّذِي قالَ اللّهُ: أوَ لَمْ نُعَمّرْكُمْ ما يَتَذَكّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكّرَ وَجاءَكُمُ النّذِيرُ».

22196ـ حدثني أحمد بن الفرج الحِمْصِيّ, قال: حدثنا بقية بن الوليد, قال: حدثنا مُطَرّف بن مازن الكنانيّ, قال: ثني معمر بن راشد, قال: سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاريّ يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ أعْذَرَ اللّهُ إلى صَاحِبِ السّتّينَ سَنَةً والسّبْعِينَ».

22197ـ حدثنا أبو صالح الفزاري, قال: حدثنا محمد بن سوار, قال: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القاريّ الإسكندريّ, قال: حدثنا أبو حازم, عن سعيد المقبريّ, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَمّرَهُ اللّهُ سِتّينَ سَنَةً فَقَدْ أعْذَرَ إلَيْهِ فِي العُمْرِ».

22198ـ حدثنا محمد بن سوار, قال: حدثنا أسد بن حميد, عن سعيد بن طريف, عن الأصبغ بن نباتة, عن عليّ رضي الله عنه, في قوله: أوَ لَمْ نُعَمّرْكُمْ ما يَتَذَكّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكّرَ وَجاءَكُمُ النّذِيرُ قال: العمر الذي عمركم الله به ستون سنة.

وأشبه القولين بتأويل الآية إذ كان الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا في إسناده بعض من يَجِب التثبت في نقله, قول من قال ذلك أربعون سنة, لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه, وما قبل ذلك وما بعده منتقَص عن كماله في حال الأربعين.

وقوله: وَجاءَكُمُ النّذيرُ اختلف أهل التأويل في معنى النذير, فقال بعضهم: عنى به محمدا صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

22199ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَجاءَكُمُ النّذِيرُ قال: النذير: النبيّ. وقرأ: هذا نَذِيرٌ مِنَ النّذُرِ الأُولى.

وقيل: عَنَى به الشيب. فتأويل الكلام إذن: أو لم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قُرَيش من السنين, ما يتذكر فيه من تذكر, من ذوي الألباب والعقول, واتعظ منهم من اتعظ, وتاب من تاب, وجاءكم من الله منذر يُنذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله, فلم تتذكّروا مواعظ الله, ولم تقبلوا من نذير الله الذي جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم.

الآية : 37-38

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الّذِي كُنّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمّرْكُمْ مّا يَتَذَكّرُ فِيهِ مَن تَذَكّرَ وَجَآءَكُمُ النّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظّالِمِينَ مِن نّصِيرٍ * إِنّ اللّهَ عَالِمُ غَيْبِ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصّدُورِ }.

يقول تعالى ذكره: فَذُوقُوا نار عذاب جهنم الذي قد صَلِيتموه أيها الكافرون بالله فَمَا للظّالِمِينَ مِنْ نَصِير يقول: فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسَبُوها غضب الله بكفرهم بالله في الدنيا من نصير ينصرهم من الله ليستنقذهم من عقابه. وقوله: إنّ اللّهَ عالِمُ غَيْبِ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول تعالى ذكره: إن الله عالم ما تُخْفون أيها الناس في أنفسكم وتُضْمرونه, وما لم تضمروه ولم تنوُوه مما ستنوُونه, وما هو غائب عن أبصاركم في السموات والأرض, فاتقوه أن يَطّلع عليكم, وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشكّ في وحدانية الله, أو في نبوّة محمد, غير الذي تبدونه بألسنتكم, إنّه عَلِيمٌ بِذَاتِ الصّدُورِ.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {هُوَ الّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلاَ يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ إِلاّ مَقْتاً وَلاَ يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاّ خَسَاراً }.

يقول تعالى ذكره: الله الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض من بعد عاد وثمود, ومن مضى من قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم في ديارهم ومساكنهم, كما:

22200ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: هُوَ الّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ في الأرْضِ أمة بعد أمة, وقرنا بعد قرن.

وقوله: فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ يقول تعالى ذكره: فمن كفر بالله منكم أيها الناس, فعلى نفسه ضرّ كفره, لا يضرّ بذلك غير نفسه, لأنه المعاقب عليه دون غيره. وقوله: وَلا يَزِيدُ الكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبّهِمْ إلاّ مَقْتا يقول تعالى: ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلاّ بُعدا من رحمة الله وَلا يَزِيدُ الكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إلاّ خَسارا يقول: ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلاّ هلاكا.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ الّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَىَ بَيّنَةٍ مّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلاّ غُرُوراً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لمشركي قومك أرأيْتُمْ أيها القوم شُرَكاءَكُمُ الّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أرُونِي ماذَا خَلَقُوا مِنَ الأرْضِ يقول: أروني أيّ شيء خلقوا من الأرض أمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السّمَوَاتِ يقول: أم لشركائكم شرك مع الله في السموات, إن لم يكونوا خَلَقوا من الأرض شيئا أمْ آتَيْناهُمْ كِتابا فَهُمْ عَلى بَيّنَةٍ مِنْهُ يقول: أم آتينا هؤلاء المشركين كتابا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام, فهم على بيّنة منه, فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك بي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22201ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قُلْ أرأيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أرُونِي ماذَا خَلَقُوا مِنَ الأرْضِ لا شيء والله خَلَقوا منها أمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السّمَوَاتِ لا والله ما لهم فيها شرك أمْ آتَيْناهُمْ كِتابا فَهُمْ عَلى بَيّنَةٍ منه, يقول: أم آتيناهم كتابا فهو يأمرهم أن يشركوا.

وقوله: بَلْ إنْ يَعِدُ الظّالِـمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضا إلاّ غُرُورا وذلـك قـول بعضـهم لبعض: ما نعْبُدُهُمْ إلاّ لِـيُقَرّبُونا إلـى اللّـهِ زُلْفَــى خـداعا مـن بعضـهم لبعـض وغرورا, وإنـما تزلفهم آلهتهم إلـى النار, وتقصيهم من الله ورحمته.

الآية : 41

القول فـي تأويـل قـوله تعالــى: {إِنّ اللّـهَ يُمْسِـكُ السّـمَاوَاتِ وَالأرْضَ أَن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مّن بَعْدِهِ إِنّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً }.

يقول تعالــى ذكـره: إنّ اللّـهَ يُـمْسِكُ السّـمَوَاتِ وَالأَرْضَ لئلا تـزولا مـن أماكنهما وَلَئِنْ زَالَتا يقول: ولو زالتا إنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ يقول: مـا أمسكهما أحد سواه. ووضعت «لئن» فـي قوله وَلَئِنْ زَالَتا فـي موضع «لـو» لأنهما يجابـان بجواب واحد, فيتشابهان فـي الـمعنى ونظير ذلك قوله: وَلَئِنْ أرْسَلْنا رِيحا فَرَأَوْهُ مُصْفَرّا لَظَلّوا مِنْ بَعْدِهِ يكْفُرُونَ بـمعنى: ولو أرسلنا ريحا, وكما قالَ: ولئن أَتَـيْتَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ بـمعنى: لو أتـيت. وقـد بـيّنا ذلـك فـيـما مضى بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع. وبنـحو الـذي قلنـا فــي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22202ـ حدثَنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ اللّهَ يُـمْسِكُ السّمَوَات والأرْضَ أنْ تَزُولا من مكانهما.

22203ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حـدثنا سفــيان, عن الأعمش, عن أبـي وائل, قال: جاء رجل إلـى عبد الله, فقـال: مـن أيـن جئت؟ قال: من الشأم, قال: مَن لقـيتَ؟ قال: لقـيتُ كعبـا, فقال: ما حدّثك كعب؟ قال: حدثنـي أن السموات تدور علـى منكب ملك, قـال: فصـدّقته أو كذّبته؟ قال: ما صدّقته ولا كذّبته, قال: لوددت أنك افتديت من رحلتـك إلــيه براحلتك ورحلهـا, وكـذب كعـب إن اللـه يقـول: إنّ اللّـهَ يُــمْسِكُ السّـمَوَاتِ والأرْضَ أنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتا إنْ أمْسَكَهُما مِنْ أحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ.

22204ـ حدثنا جرير, عن مغيرة, عن إبراهيـم, قال: ذهب جُندَب البَجَلـيّ إلـى كعب الأحبـار, فقدم علـيه ثم رجع, فقال له عبد الله: حدّثنا مـا حـدّثك, فقال: حدثنـي أن السماء فـي قطب كقطب الرحـا, والقطـب عمـود علــى مَنكِب ملك, قال عبد الله: لوددت أنك افتديت رحلتك بـمثل راحلتك ثم قال: ما تنتكت الــيهودية فــي قلـب عبـد فكـادت أن تفــارقه, ثـم قـال: إنّ اللّـهَ يُـمْسِكُ السّمَوَاتِ وَالأرْضَ أنْ تَزُولا كفـى بها زوالاً أن تدور.

وقوله: إنّهُ كانَ حَلِـيـما غَفُورا يقول تعالـى ذكره: إن الله كان حلـيـما عمن أشرك وكفر به من خـلقه فـي تركه تعجيـل عذابه له, غفورا لذنوب من تاب منهم, وأناب إلـى الإيـمان به, والعمل بـما يرضيه.

الآية : 42-43

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَـانِهِمْ لَئِـن جَـآءَهُمْ نَذِيرٌ لّيَكُونُنّ أَهْدَىَ مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمّا جَآءَهُمْ نَـذِيرٌ مّـا زَادَهُـمْ إِلاّ نُفُـوراً * اسْتِكْبَاراً فِي الأرْضِ وَمَكْرَ السّيّىءِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السّـيّىءُ إِلاّ بِـأَهْلِهِ فَهَـلْ يَنظُرُونَ إِلاّ سُنّةَ الأَوّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللّهِ تَحْوِيلاً }.

يقول تعالـى ذكره: وأقسم هؤلاء الـمشركون بـالله جهد أيـمانهم يقول: أشدّ الإيـمان, فبـالغوا فـيها, لئن جاءهم مـن اللـه مُنـذر ينـذرهم بـأس اللـه لَـيَكُونُنّ أهْدَى مِنْ إحْدَى الأمَـمِ يقول: لـيكونُنّ أسلك لطريق الــحقّ, وأشـدّ قبولاً لِـما يأتـيهم به النذير من عند الله, من إحدى الأمــم التــي خــلت مـن

قبلهم فَلَـمّا جاءَهُمْ نَـذِيرٌ يعنــي بــالنذير: مــحمدا صـلى اللـه عليـه وسـلم, يقول: فلـما جاءهم مـحمد ينذرهم عقاب الله علـى كفرهم, كما:
22205ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلَـمّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ وهو مـحمد صلى الله عليه وسلم.
وقوله: ما زَادَهُمْ إلاّ نُفُورا يقول: ما زادهم مـجِيء النذير من الإيـمان بـالله واتبـاع الـحقّ, وسلوك هدى الطريق, إلاّ نفورا وهربـا.
وقوله: اسْتِكْبـارافِـي الأرْضِ يقول: نفروا استكبـارا فــي الأرض, وخِدْعـة سيئة, وذلك أنهم صدّوا الضعفـاء عن اتبـاعه مع كفرهم به. والــمكر هاهنــا: هو الشرك, كما:
22206ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة: وَمَكْرَ السّيّىءِ وهو الشرك.
وأضيف الـمكر إلـى السيىء, والسيىء من نعت الــمكر, كمـا قيــل: إن هذا لهو حقّ الـيقـين. وقـيـل: إن ذلك فـي قراءة عبد الله: «وَمَكْـرا سَـيّئا», وفـي ذلك تـحقـيق القول الذي قلناه من أن السيىء فـي الـمعنى من نعــت الــمكر. وقـرأ ذلـك قـرّاء الأمصـار غيـر الأعمـش وحمـزة بهمـزة مــحركة بـالـخفض. وقرأ ذلك الأعمش وحمزة بهمزة وتسكين الهمـزة اعتلالاً منهمـا بأن الـحركات لـما كثرت فـي ذلك ثقل, فسكنا الهمزة, كما قال الشاعر:
(إذا اعْوَجَجْنَ قُلْتُ صَاحِبْ قَوّمِ)
فسكّن البـاء, لكثرة الـحركات.
والصواب من القراءة ما علـيه قرّاء الأمصار من تـحريك الهمزة فـيه إلـى الـخفض, وغير جائز فــي القـرآن أن يقـرأ بكـل مـا جـاز فــي العربــية, لأن القراءة إنـما هي ما قرأت به الأئمة الـماضية, وجاء به السلف علــى النــحو الذي أخذوا عمن قبلهم.
وقوله: وَلا يَحِيقُ الـمَكْرُ السّيّىءُ إلاّ بأهْلِهِ يقول: ولا ينزل الـمكر السـيىء إلاّ بأهله, يعنـي بـالذين يـمكرونه وإنـما عَنَى أنه لا يحل مكروه ذلـك الــمكر الذي مكره هؤلاء الـمشركون إلاّ بهم.
وقال قتادة فـي ذلك ما:
22207ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة وَلا يَحِيقُ الـمَكْرُ السّيّىءُ إلاّ بأهْلِهِ وهو الشرك.
وقوله: فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ سُنّةَ الأوّلِـينَ يقول تعالـى ذكره: فهل ينتظر هؤلاء الـمشركون من قومك يا مـحمد إلاّ سنة الله بهم فــي عاجـل الدنــيا علــى كفرهم به أليــمَ العقـاب. يقـول: فهـل ينتظـر هـؤلاء إلاّ أن أحـلّ بهـم مـن نقمتـي علـى شركهم بـي وتكذيبهم رسولـي مثل الذي أحللـت بــمن قبلهـم من أشكالهم من الأمـم, كما:
22208ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ سُنّتَ الأوّلِـينَ: أي عقوبة الأوّلـين.
فَلَنْ تَـجِدَ لِسُنّتِ اللّهِ تَبْدِيلاً يقول: فلن تـجد يا مـحمد لسنة الله تغيـيرا.
وقوله: وَلَنْ تَـجِدَ لِسُنّتِ اللّهِ تَـحْوِيلاً يقول: ولن تـجد لسنّة الله فـي خـلقه تبديلاً يقول: لن يغير ذلك, ولا يبدّله, لأنه لا مردّ لقضائه.

الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوَاْ أَشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأرْضِ إِنّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً }.

يقول تعالى ذكره: أو لم يَسِرْ يا محمد هؤلاء المشركون بالله, في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا, فإنهم تجار يسلكون طريق الشأم فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم التي كانوا يمرون بها ألم نهلكهم ونخربْ مساكنهم ونجعلْهم مثلاً لمن بعدهم, فيتعظوا بهم, وينزجروا عما هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله, ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل وكانُوا أشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً وَبَطْشا لن يتعذّر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة, والعذاب لهم. وبنحو الذي قلنا في قوله: وكانُوا أشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22209ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وكانُوا أشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم.

وقوله: وَما كانَ اللّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السّمَوَاتِ وَلا فِي الأرْضِ يقول تعالى ذكره: ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة, المكذّبون محمدا فيسبقونا هربا في الأرض, إذا نحن أردنا هلاكهم, لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السموات ولا في الأرض, ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفُذوا من أقطار السموات والأرض. وقوله: إنّهُ كانَ عَلِيما قَدِيرا يقول تعالى ذكره: إن الله كان عليما بخلقه, وما هو كائن, ومن هو المستحقّ منهم تعجيل العقوبة, ومَن هو عن ضلالته منهم راجع إلى الهدى آئب, قديرا على الانتقام ممن شاء منهم, وتوفيق من أراد منهم للإيمان.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىَ ظَهْرِهَا مِن دَآبّةٍ وَلَـكِن يُؤَخّرُهُمْ إِلَىَ أَجَلٍ مّسَمّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنّ اللّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً }.

يقول تعالى ذكره: ولو يؤاخذ الله الناس. يقول: ولو يعاقب الله الناس, ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي, واجترحوا من الآثام, ما تَرَكَ على ظهرها من دابة تدبّ عليها وَلَكِنْ يُؤَخّرُهُمْ إلى أجَلٍ مُسَمّى يقول: ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده, محدود لا يقصرون دونه, ولا يجاوزونه إذا بلغوه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22210ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهَ النّاسَ بِمَا كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابّةٍ إلاّ ما حمل نوح في السفينة.

وقوله: فإذَا جاءَ أجَلُهُمْ فإنّ اللّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيرا يقول تعالى ذكره: فإذا جاء أجل عقابهم, فإن الله كان بعباده بصيرا من الذي يستحقّ أن يعاقب منهم, ومن الذي يستوجب الكرامة, ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعا, ومن كان فيها به مشركا, لا يخفى عليه أحد منهم, ولا يعزب عنه علم شيء من أمرهم.

آخر تفسير سورة فاطر

سورة يس

سورة يس مكية
وآياتها ثلاث وثمانون
بسم الله الرحمَن الرحيـم

الآية : 1 -4

القول في تأويل قوله تعالى: {يسَ * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىَ صِرَاطٍ مّسْتَقِيمٍ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: يس, فقال بعضهم: هو قسم أقسم الله به, وهو من أسماء الله. ذكر من قال ذلك:

22211ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يس قال: فإنه قسم أقسمه الله, وهو من أسماء الله.

وقال آخرون: معناه: يا رجل. ذكر من قال ذلك:

22212ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا أبو تُمَيلة, قال: حدثنا الحسين بن واقد, عن يزيد, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قوله يس قال: يا إنسان, بالحبشية.

22213ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن شرقيّ, قال: سمعت عكرمة يقول: تفسير يس: يا إنسان.

وقال آخرون: هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه. ذكر من قال ذلك:

22214ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: يس مفتاح كلام, افتتح الله به كلامه.

وقال آخرون: بل هو اسم من أسماء القرآن. ذكر من قال ذلك:

22215ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يس قال: كلّ هجاء في القرآن اسم من أسماء القرآن.

قال أبو جعفر: وقد بيّنا القول فيما مضى في نظائر ذلك من حروف الهجاء بما أغنى عن إعادته وتكريره في هذا الموضع.

وقوله: والقُرآنِ الحَكِيمِ يقول: والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه, وبيّنات حججه إنّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ يقول تعالى ذكره مقسما بوحيه وتنزيله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنك يا محمد لمن المرسلين بوحي الله إلى عباده, كما:

22216ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة والقُرآنِ الحَكِيمِ إنّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ قسم كما تسمعون إنّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وقوله: عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يقول: على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى, وهو الإسلام, كما:

22217ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ: أي على الإسلام.

وفي قوله: عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وجهان أحدهما: أن يكون معناه: إنك لمن المرسلين على استقامة من الحقّ, فيكون حينئذٍ على من قوله

عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ من صلة الإرسال. والآخر أن يكون خبرا مبتدأ, كأنه قيل: إنك لمن المرسلين, إنك على صراط مستقيم.

الآية : 5

القول في تأويل قوله تعالى: {تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرّحِيمِ }.

اختلف القرّاء في قراءة قوله: تَنْزِيلَ العَزِيزِ الرّحِيمِ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «تَنْزِيلُ العَزِيز» برفع تنزيل, والرفع في ذلك يتجه من وجهين أحدهما: بأن يُجعل خبرا, فيكون معنى الكلام: إنه تنزيل العزيز الرحيم. والآخر: بالابتداء, فيكون معنى الكلام حينئذٍ: إنك لمن المرسلين, هذا تنزيل العزيز الرحيم. وقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض أهل الشام: تَنْزِيلَ نصبا على المصدر من قوله: إنّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ لأنّ الإرسال إنما هو عن التنزيل, فكأنه قيل: لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقا.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب. ومعنى الكلام: إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الربّ العزيز في انتقامه من أهل الكفر به, الرحيم بمن تاب إليه, وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له.

الآية : 6 - 7

القول في تأويل قوله تعالى: {لِتُنذِرَ قَوْماً مّآ أُنذِرَ آبَآؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقّ الْقَوْلُ عَلَىَ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤمِنُونَ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: لِتُنْذِرَ قَوْما ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فقال بعضهم: معناه: لتنذر قوما ما أنذر الله من قبلهم من آبائهم. ذكر من قال ذلك:

22218ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شُعْبة, عن سِماك, عن عكرمة في هذه الآية: لِتُنْذِرَ قَوْما ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ قال: قد أنذروا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم. ذكر من قال ذلك:

22219ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لِتُنْذِرَ قَوْما ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ قال بعضهم: لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من إنذار الناس قبلهم. وقال بعضهم: لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم: أي هذه الأمة لم يأتهم نذير, حتى جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم.

واختلف أهل العربية في معنى «ما» التي في قوله: ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ إذا وُجّه معنى الكلام إلى أن آباءهم قد كانوا أنذروا, ولم يُرد بها الجحد, فقال بعض نحويّي البصرة: معنى ذلك: إذا أريد به غير الجحد لتنذرهم الذي أُنذر آباؤهم فَهُمْ غافِلُونَ. وقال: فدخول الفاء في هذا المعنى لا يجوز, والله أعلم. قال: وهو على الجحد أحسن, فيكون معنى الكلام: إنك لمن المرسلين إلى قوم لم ينذر آباؤهم, لأنهم كانوا في الفترة.

وقال بعض نحويّي الكوفة: إذا لم يرد بما الجحد, فإن معنى الكلام: لتنذرهم بما أنذر آباؤهم, فتلقى الباء, فتكون «ما» في موضع نصب فَهُمْ غافِلُونَ يقول: فهم غافلون عما الله فاعل: بأعدائه المشركين به, من إحلال نقمته, وسطوته بهم.

وقوله: لَقَدْ حَقّ القَوْلُ على أكْثَرِهِمْ فَهمْ لا يُؤْمِنُونَ يقول تعالى ذكره: لقد وجب العقاب على أكثرهم, لأن الله قد حتم عليهم في أمّ الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله, ولا يصدّقون رسوله.

الآية : 8 -9

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّا جَعَلْنَا فِيَ أَعْناقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِىَ إِلَى الأذْقَانِ فَهُم مّقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أيْدِيهِمْ سَدّاً ومِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ }.

يقول تعالى ذكره: إنا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقِهم بالأغلال, فلا تُبْسط بشيء من الخيرات وهي في قراءة عبد الله فيما ذُكر: «إنّا جَعَلْنا فِي أيمَانِهِمْ أغْلالاً فَهِيَ إلى الأذْقانِ». وقوله: إلى الأذْقانِ يعني: فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم, فكُنّي عن الأيمان, ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام, وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلاّ وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان, كما قال الشاعر:

وَما أدْرِي إذَا يَمّمْتُ وَجْهاأُرِيدُ الخَيْرَ أيّهُما يَلِينِي
أألْخَيْرُ الّذِي أنا أبْتَغِيهأمِ الشّرّ الّذِي لا يَأتَلِينِي

فكنى عن الشرّ, وإنما ذكر الخير وحده لعلم سامع ذلك بمعنيّ قائله, إذ كان الشرّ مع الخير يُذكر. والأذقان: جمع ذَقَن, والذّقَن: مجمع اللّحْيَين.

وقوله: فَهُمْ مُقْمَحُونَ والمُقْمَح: هو المقنع, وهو أن يحدر الذقن حتى يصير في الصدر, ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة. وفي قول بعض الكوفيين: هو الغاضّ بصره, بعد رفع رأسه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22220ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّا جَعَلْنا فِي أعْناقِهِمْ أغْلاَلاً فَهِيَ إلى الأذْقان فَهُمْ مُقْمَحُونَ قال: هو كقول الله: وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلَى عُنُقِكَ يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم, لا يستطيعون أن يبسُطوها بخير.

22221ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فَهُمْ مُقْمَحُونَ قال: رافعو رؤوسهم, وأيديهم موضوعة على أفواههم.

22222ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّا جَعَلْنا فِي أعْناقِهِمْ أغْلاَلاً فَهِيَ إلى الأذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ: أي فهم مغلولون عن كلّ خير.

وقوله: وَجَعَلْنا مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ سَدّا يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بين أيدي هؤلاء المشركين سَدّا, وهو الحاجز بين الشيئين إذا فتح كان من فعل بني آدم, وإذا كان من فعل الله كان بالضمّ. وبالضمّ قرأ ذلك قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين. وقرأه بعض المكيين وعامة قرّاء الكوفيين بفتح السين سَدّا في الحرفين كلاهما والضم أعجب القراءتين إليّ في ذلك, وإن كانت الأخرى جائزة صحيحة.

وعنى بقوله: وَجَعَلْنا مِن بـين أيْدِيهِمْ سَدّا وَمِنْ خَـلْفِهِمْ سَدّا أنـه زيّـن لهـم سوء أعمالهم, فهم يَعْمَهون, ولا يبصـرون رشـدا, ولا يتنبهـون حقـا. وبنــحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22223ـ حدثنـي ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن مـحمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بَزّة, عن مــجاهد, فــي قـوله: مِـنْ بــينِ أيْدِيهِمْ سَدّا وَمِنْ خَـلْفِهِمْ سَدّا قال: عن الـحقّ.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسـى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وَجَعَلْنا مِنْ بـين أيْديهِمْ سَدّا وَمِنْ خَــلْفِهِمْ سَـدّا عـن الـحقّ فهم يتردّدون.

22224ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَجَعَلْنا مِنْ بـين أيْدِيهِمْ سدّا وَمِنْ خَـلْفِهِمْ سَدّا قال: ضلالات.

22225ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قول الله: وَجَعَلْنا مِنْ بَـينِ أيْدِيهِمْ سَدّا وَمِنْ خَـلْفِهِمْ سَدّا فَأَغْشَـيْناهُمْ فَهُـمْ لا يُبْصِـرُونَ قـال: جعـل هـذا سـدّا بــينهم وبــين الإسـلام والإيــمان, فهـم لا يخـلصون إلـيه, وقرأ: وَسَـوَاءٌ عَلَــيْهِمْ أأنْـذَرْتَهُمْ أمْ لَــمْ تُنْـذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُـونَ, وقرأ: إنّ الّذِينَ حَقّتْ عَلَـيْهِمْ كَلِـمَةُ رَبّكَ لا يُؤْمِنُونَ... الآية كلهـا, وقـال: مـن منعه الله لا يستطيع.

وقوله: فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ يقول: فأغشينا أبصار هؤلاء: أي جعلنـا علـيها غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به, كما:

22226ـ حدثنا بشر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ هُدًى, ولا ينتفعون به.

وذُكر أن هذه الآية نزلت فـي أبـي جهل بن هشام حين حلـف أن يقتلـه أو يشدخ رأسه بصخرة. ذكر الرواية بذلك:

22227ـ حدثنـي عمران بن موسى, قال: حدثنا عبـد الـوارث بـن سـعيد, قال: حدثنا عُمارة بن أبـي حفصة, عن عكرمة قال: قال أبو جهل: لئن رأيت مـحمدا لأفعلنّ ولأفعلنّ, فأنزلت: إنّا جَعَلْنا فِـي أعْناقِهِمْ أغْلالاً... إلــى قـوله فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ قال: فكانوا يقولون: هذا مـحمد, فـيقول: أين هو, أين هــو؟ لا يبصره.

وقد رُوي عن ابن عبـاس أنه كان يقرأ ذلك: «فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ» بـالعين بـمعنى أعشيناهم عنه, وذلك أن العَشَـا هـو أن يــمشي بـاللـيــل ولا يبصر.

الآية : 10 -11

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَسَوَآءُ عَلَيْهِمْ أَأَنـذَرْتَهُمْ أَمْ لَـمْ تُنـذِرْهُمْ لاَ يُؤمِنُونَ * إِنّمَا تُنذِرُ مَنِ اتّبَعَ الذِكْرَ وَخشِيَ الرّحْمـَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشّـرْهُ بِمَغْفِـرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ }.

يقول تعالـى ذكره: وسواء يا مـحمد علـى هؤلاء الذين حقّ علـيهم القول, أيّ الأمرين كان منك إلـيهم الإنذار, أو ترك الإنذار, فإنهم لا يؤمنون, لأن الله قد حكم علـيهم بذلك. وقوله: إنّـمَا تُنْذِرُ مَنِ اتّبَعَ الذّكْرَ يقـول تعالــى ذكـره: إنـما ينفع إنذارك يا مـحمد من آمن بـالقرآن, واتبع ما فــيه مـن أحكـام اللـه وَخَشِـيَ الرّحْمَـنَ يقـول: وخـاف اللـه حيـن يغيـب عـن أبصـار النـاظرين, لا

المنافق الذي يستخفّ بدين الله إذا خلا, ويظهر الإيمان في الملأ, ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه. وقوله: فَبشّرْهُ بِمغْفِرَةٍ يقول: فبشر يامحمد هذا الذي اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه وأجْرٍ كَرِيم يقول: وثواب منه له في الآخرة كريم, وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22228ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتّبَعَ الذّكْرَ واتباع الذكر: اتباع القرآن.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {إنّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىَ وَنَكْتُبُ مَ اَ قَدّمُواْ وَآثَارَهُمْ وَكُلّ شيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِيَ إِمَامٍ مّبِينٍ }.

يقول تعالى ذكره: إنّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتى من خلقنا وَنَكْتُبُ ما قَدّمُوا في الدنيا من خير وشرّ, وصالح الأعمال وسيئها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22229ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ ما قَدّمُوا من عمل.

22230ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَنَكْتُبُ ما قَدّمُوا قال: ما عملوا.

22231ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: ما قَدّمُوا قال: أعمالهم.

وقوله: وآثارَهُمْ يعني: وآثار خُطاهم بأرجلهم, وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم, ليقرب عليهم. ذكر من قال ذلك:

22232ـ حدثنا نصر بن عليّ الجهضميّ, قال: حدثنا أبو أحمد الزّبيري, قال: حدثنا إسرائيل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد, فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت وَنَكْتُبُ ما قَدّمُوا وآثارَهُمْ فقالوا: نثبت في مكاننا.

حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن إسرائيل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد, فأرادوا أن ينتقلوا, قال: فنزلت وَنَكْتُبُ ما قَدّمُوا وآثارَهُمْ فثبتوا.

22233ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا شعبة, قال: حدثنا الجريريّ, عن أبي نضرة, عن جابر, قال: أراد بنو سَلِمة قرب المسجد, قال: فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بَنِي سَلِمَةَ دِيارَكُمْ, إنّها تُكْتَبُ آثارُكُمْ».

22234ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا معتمر, قال: سمعت كهمسا يحدّث, عن أبي نضرة, عن جابر, قال: أراد بنو سَلِمة أن يتحوّلوا إلى قُرب المسجد, قال: والبقاع خالية, فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال: «يا بَنِي سَلِمَةَ دِيارَكُمْ إنّها تُكْتَبُ آثارُكُمْ» قال: فأقاموا وقالوا: ما يسرّنا أنا كنا تحوّلنا.

22235ـ حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي, قال: حدثنا ابن المبارك, عن سفيان, عن طريف, عن أبي نضرة, عن أبي سعيد

الخُدريّ, قال: شكت بنو سلِمة بُعد منازلهم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فنزلت: إنّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ ما قَدّمُوا وآثارَهُمْ فقال: «عَلَيْكُمْ مَنازلَكُمْ تُكْتَبُ آثارُكم».

22236ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا أبو تُمَيلة, قال: حدثنا الحسين, عن ثابت, قال: مشيت مع أنس, فأسرعت المشي, فأخذ بيدي, فمشينا رُويدا, فلما قضينا الصلاة قال أنس: مشيت مع زيد بن ثابت, فأسرعت المشي, فقال: يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب؟

22237ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن يونس, عن الحسن أن بني سَلِمة كانت دورهم قاصية عن المسجد, فهموا أن يتحوّلوا قرب المسجد, فيشهدون الصلاة مع النبيّ صلى الله عليه وسلم, فقال لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ألا تَحْتَسِبُونَ آثارَكُمْ يا بَني سَلِمَةَ؟» فمكثوا في ديارهم.

22238ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم ابن أبي بَزّة, عن مجاهد, في قوله ما قَدّمُوا وآثارَهُمْ قال: خُطَاهم بأرجلهم.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وآثارَهُمْ قال: خطاهم.

22239ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وآثارَهُمْ قال: قال الحسن: وآثارهم قال: خُطَاهم. وقال قتادة: لو كان مُغْفِلاً شيئا من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفّي الرياح من هذه الآثار.

وقوله: وكُلّ شَيْءٍ أحْصَيْناهُ في إمام مُبِينٍ يقول تعالى ذكره: وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه, فأثبتناه في أمّ الكتاب, وهو الإمام المبين. وقيل: مُبين, لأنه يبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22240ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد في إمام مُبِينٍ قال: في أمّ الكتاب.

22241ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وكُلّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إمام مُبِينٍ كلّ شيء محصيّ عند الله في كتاب.

22242ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وكُلّ شَيْءٍ أحْصَيْناهُ فِي إمام مُبِينٍ قال: أمّ الكتاب التي عند الله فيها الأشياء كلها هي الإمام المبين.

الآية : 13 -14

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مّثَلاً أَصْحَابَ القَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذّبُوهُمَا فَعَزّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوَاْ إِنّآ إِلَيْكُمْ مّرْسَلُونَ }.

يقول تعالى ذكره: ومثل يا محمد لمشركي قومك مثلاً أصحابَ القرية ذُكر أنها أنطاكية, إذْ جاءَها المُرْسَلُونَ. اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل, وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية, فقال بعضهم: كانوا رسل عيسى بن مريم, وعيسى الذي أرسلهم إليهم. ذكر من قال ذلك:

22243ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أصحَابَ القَرْيَةِ إذْ جاءَها المُرْسَلُونَ إذْ أرْسَلْنا إلَيْهِمُ اثْنَيْنِ

فَكَذّبُوهُما فَعَزّزْنا بِثالِثٍ قال: ذُكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية مدينة بالروم فكذّبوهما, فأعزّهما بثالث, فَقالُوا إنّا إلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ.

22244ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفيان, قال: ثني السديّ, عن عكرمة وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أصحَابَ القَرْيَةِ قال: أنطاكية.

وقال آخرون: بل كانوا رسلاً أرسلهم الله إليهم. ذكر من قال ذلك:

22245ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سَلَمة, قال: حدثنا ابن إسحاق, فيما بلغه, عن ابن عباس, وعن كعب الأحبار, وعن وهب بن مُنَبه, قال: كان بمدينة أنطاكية, فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس بن أبطيحس يعبد الأصنام, صاحب شرك, فبعث الله المرسلين, وهم ثلاثة: صادق, ومصدوق, وسلوم, فقدم إليه وإلى أهل مدينته, منهم اثنان فكذّبوهما, ثم عزّز الله بثالث فلما دعته الرسل ونادته بأمر الله, وصدعت بالذي أمرت به, وعابت دينه, وما هم عليه, قال لهم: إنّا تَطَيّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنّكُمْ وَلَيَمَسّنّكُمْ مِنّا عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وقوله: إذْ أرْسَلْنا إلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذّبُوهُما فَعَزّزْنا بِثالِثٍ يقول تعالى ذكره: حين أرسلنا إليهم اثنين يدعوانهم إلى الله فكذّبوهما فشددناهما بثالث, وقوّيناهما به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22246ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فَعَزّزْنا بِثالِثٍ قال: شدّدنا.

22247ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبي بَزّة, عن مجاهد في قوله فَعَزّزْنا بِثالِثٍ قال: زدنا.

22248ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَعَزّزْنا بِثالِثٍ قال: جعلناهم ثلاثة, قال: ذلك التعزّز, قال: والتعزّز: القوّة.

وقوله: فَقالُوا إنّا إلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ يقول: فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية: إنا إليكم أيها القومُ مرسلون, بأن تُخْلِصوا العبادة لله وحده, لا شريك له, وتتبرّءوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام. وبالتشديد في قوله: فَعَزّزْنا قرأت القرّاء سِوى عاصم, فإنه قرأه بالتخفيف, والقراءة عندنا بالتشديد, لإجماع الحجة من القرّاء عليه, وأن معناه, إذا شُدّد: فقوّينا, وإذا خُفف: فغلبنا, وليس لغلبنا في هذا الموضع كثير معنى.

الآية : 15 -17

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مّثْلُنَا وَمَآ أَنزلَ الرّحْمَـنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاّ تَكْذِبُونَ * قَالُواْ رَبّنَا يَعْلَمُ إِنّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَآ إِلاّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ }.

يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أُرسلوا إليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا إليهم بما أرسلوا به: ما أنتم أيها القوم إلاّ أُناس مثلنا, ولو كنتم رسلاً كما تقولون, لكنتم ملائكة وَما أنْزَلَ الرّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ يقول: قالوا: وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم

فـينا بشيء إِنْ أَنْتُـمْ إلاّ تَكْذِبُونَ فـي قـيـلكم إنكم إلـينا مرسـلون قـالُوا رَبّنـا يَعْلَـمُ إنّـا إلَـيْكُمْ لَـمُرْسَلُونَ يقـول: قـال الرسـل: ربنـا يعلـم إنـا إلـيكم لـمرسلون فـيـما دعوناكم إلـيه, وإنا لصادقون وَما عَلَـيْنا إلاّ البَلاغُ الـمُبِـينُ يقول: وما علـينا إلاّ أن نبلغكم رسالة الله التـي أرسلنا بها إلـيكم بلاغا يبـين لكم أنا أبلغناكموها, فإن قبلتـموها فحظّ أنفسكم تصيبون, وإن لـم تقبلوهـا فقد أدّينا ما علـينا, والله ولـيّ الـحكم فـيه.

الآية : 18

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {قَـالُوَاْ إِنّـا تَطَيّرْنَـا بِكُـمْ لَئِـن لّـمْ تَنتَهُـواْ لَنَرْجُمَنّكُمْ وَلَيَمَسّنّكُمْ مّنّا عَذَابٌ أَلِيمٌ }.

يقول تعالـى ذكره: قال أصحاب القرية للرسل: أنّا تَطَيّرْنا بِكُمْ يعنون: إنا تشاءمنا بكم, فإن أصابنا بَلاء فمن أجلكم, كما:

22249ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قـالُوا إنّا تَطَيّرْنا بِكُمْ قالوا: إن أصابنا شرّ, فإنـما هو من أجلكم.

وقوله: لَئِنْ لَـمْ تَنْتَهُوا لَنرْجُمَنّكُمْ يقول: لئن لـم تنتهوا عما ذكرتـم من أنكم أرسلتـم إلـينا بـالبراءة من آلهتنـا, والنهـي عـن عبـادتنا لنرجمنكـم, قـيـل: عُنـي بذلك لنرجُمَنّكم بـالـحجارة. ذكر من قال ذلك:

22250ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَئِنْ لَـمْ تَنْتَهُوا لَنرْجُمَنّكُمْ بـالـحجارة وَلَـيَـمَسّنّكُمْ مِنّا عَذَابٌ أَلِـيـمٌ يقـول: ولـينالنكم منا عذاب مُوجِع.

الآية : 19-21

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالُواْ طَائِرُكُم مّعَكُمْ أَإِن ذُكّرْتُـم بَـلْ أَنتُـمْ قَوْمٌ مّسْرِفُونَ * وَجَآءَ مِنْ أَقْصَـى الْمَدِينَـةِ رَجُـلٌ يَسْـعَىَ قَـالَ يَقَـوْمِ اتّبِعُـواْ الْمُرْسَلِينَ * اتّبِعُواْ مَن لاّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مّهْتَدُونَ }.

يقول تعالـى ذكره: قالت الرسل لأصحاب القريـة: طـائِرُكُمْ مَعَكُـمْ أئِـنْ ذُكّرْتُـمْ يقولون: أعمالكم وأرزاقكم وحظّكم من الـخير والشـرّ مَعكـم, ذلـك كله فـي أعناقكم, وما ذلك من شؤمنا إن أصابكم سوء فـيـما كتـب علـيكم, وسبق لكم من الله. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكـر مـن قال ذلك:

22251ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ: أي أعمالكم معكم.

22252ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق فـيـما بلغـه عن ابن عبـاس, وعن كعب, وعن وهب بن منبه, قالت لهم الرسل: طائِرُكُمْ مَعَكُمْ: أي أعمالكم معكم.

وقوله: أئِنْ ذُكّرْتُـمْ اختلفت القرّاء فـي قـراءة ذلـك, فقرأتـه عامـة قـرّاء الأمصار أئِنْ ذُكّرْتُـمْ بكسر الألف من «إنْ» وفتـح ألـف الاسـتفهام: بـمعنى إن ذكرناكم فمعكم طائركم, ثم أدخـل علـى «إن» التـي هـي حـرف جـزاء ألفَ استفهام فـي قول بعض نـحويّي البصرة, وفـي قول بعـض الكوفـيـين منـويّ بـه التكريـر, كـأنه قـيـل: قـالوا طـائركم معكـم إن ذُكّرتـم فمعكـم طائركم, فحذف الـجواب اكتفـاء بدلالة الكلام علـيه. وإنـما أنكـر قائـل هـذا القـول القـول الأوّل, لأن ألـف الاسـتفهام قـد حـالت بـين الـجزاء وبـين الشرط, فلا تكون شرطا لـما قبل حرف الاستفهام. وذُكر عن أبـي رَزِين أنه قرأ ذلك: أئِنْ ذُكّرْتُـمْ بـمعنى: ألأِن ذُكّرتُـم طائركم معكم؟. وذُكر عـن بعـض

قارئيه أنه قرأه: «قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أيْنَ ذُكِرْتُـمْ» بـمعنى: حيـث ذُكِرتـم بتـخفـيف الكاف من ذُكِرْتـم.

والقراءة التـي لا نـجيز القراءة بغيرها القراءة التـي علـيها قرّاء الأمصـار, وهي دخـول ألـف الاسـتفهام علـى حـرف الـجزاء, وتشـديد الكـاف علـى الـمعنى الذي ذكرناه عن قارئيه كـذلك, لإجمـاع الـحجة مـن القـرّاء علـيه. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

22253ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة أئِـنْ ذُكّرْتُـمْ: أي إن ذكّرناكم اللّهَ تطيرتـم بنا؟ بَلْ أنْتُـمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ.

وقوله: بَلْ أنْتُـمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ يقول: قالوا لهم: ما بكم التطَيّر بنا, ولكنكم قومٌ أهل معاص لله وآثام, قد غلبت علـيكم الذنوب والآثام.

وقوله: وَجاءَ مِنْ أقْصَى الـمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى يقول: وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إلـيهم هذه الرسل رجـل يسـعى إلـيهم وذلـك أن أهل الـمدينة هذه عزموا, واجتـمعت آراؤهم علـى قتل هؤلاء الرسـل الثلاثـة فـيـما ذُكِر, فبلغ ذلك هذا الرجل, وكان منزله أقصَى الـمدينة, وكـان مؤمنـا, وكان اسمه فـيـما ذُكر «حبـيب بن مري». وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك جـاءت الأخبـار. ذكر الأخبـار الواردة بذلك:

22254ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل بـن إسماعيـل, قـال: حدثنا سفـيان, عن عاصم الأحول, عن أبـي مُـجَلّز, قال: كـان صـاحب يـس «حبـيب بن مري».

22255ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, قال: كان من حديث صاحب يس فـيـما حدثنا مـحمد بن إسحاق فـيـما بلغه, عن ابن عبـاس, وعن كعـب الأحبـار وعن وهب بن منبه الـيـمانـيّ أنه كان رجلاً من أهل أنطاكيـة, وكـان اسمه «حبـيبـا», وكان يعمل الـجَرير, وكان رجلاً سقـيـما, قـد أسـرع فـيه الـجُذام, وكان منزله عند بـاب مـن أبـوب الـمدينة قاصـيا, وكـان مؤمنـا ذا صدقة, يجمع كسبه إذا أمسى فـيـما يذكرون, فـيقسمه نصفـين, فـيطعم نصفـا عياله, ويتصدّق بنصف, فلـم يُهِمّـه سـقمه ولا عملـه ولا ضـعفه, عـن عمل ربه, قال: فلـما أجمع قومه علـى قتل الرسـل, بلـغ ذلـك حبـيبـا وهـو علـى بـاب الـمدينة الأقصى, فجاء يسعى إلـيهم يـذكرهم بـالله, ويـدعوهم إلـى اتبـاع الـمرسلـين, فقال: يا قَوْمِ اتّبِعُوا الـمُرْسَلِـينَ.

22256ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسـحاق, عـن عبـد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن عمرو بن حزم أنه حُدّث عن كعب الأحبـار قال: ذكر له حبـيب بن زيد بن عاصم أخو بنـي مازن بـن النـجار الـذي كـان مسيلـمة الكذّاب قطعه بـالـيـمامة حين جعل يسأله عن رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم, فجعل يقول: أتشهد أن مـحمدا رسول الله؟ فـيقول: نعـم, ثم يقول: أتشهد أنـي رسول الله؟ فـيقول له: لا أسمع, فـيقول مسيلـمة: أتسمع هذا, ولا تسمع هذا؟ فـيقول: نعم, فجعل يقطعه عُضْوا عضوا, كلـما سأله لـم يزده علـى ذلك حتـى مات فـي يـديه. قـال كعـب حيـن قـيـل لـه اسمه حبـيب: وكان والله صاحب يس اسمه حبـيب.

22257ـ حدثنا ابـن حميـد, قـال: حـدثنا سلـمة, عـن ابـن إسـحاق, عـن الـحسن بن عمارة, عن الـحكم بن عتـيبة, عن مِقْسم أبـي القاسـم مولـى عبد الله بن الـحارث بن نوفل, عن مـجاهد, عن عبد الله بن عبـاس أنه كـان يقول: كان اسم صاحب يس حبـيبـا, وكان الـجُذام قد أسرع فـيه.

22258ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجاءَ مِنْ أَقْصَى الـمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قال: ذُكر لنا أن اسـمه حبـيب, وكـان فـي غار يعبد ربه, فلـما سمع بهم أقبل إلـيهم.

وقوله: قالَ يا قَوْمِ اتّبِعُوا الـمُرْسَلِـينَ يقول تعالـى ذكره: قال الرجل الذي جاء من أقصى الـمدينة لقومه: يا قوم اتبعوا الـمرسلـين الذين أرسلهم اللـه إلـيكم, واقبلوا منهم ما أتوكم به.

وذُكر أنه لـما أتـى الرسل سألهم: هل يطلبون علـى مـا جـاءوا بـه أجـرا؟ فقالت الرسل: لا, فقال لقومه حينئذٍ: اتبعوا من لا يسألكم علــى نصـيحتهم لكم أجرا. ذكر من قال ذلك:

22259ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: لـما انتهى إلـيهم, يعنـي إلـى الرسل, قال: هل تسألون علـى هذا من أجـر؟ قالوا: لا, فقال عند ذلك: يا قَوْمِ اتّبِعُوا الـمُرْسَلِـينَ اتّبِعوا مَنْ لا يَسألُكُمْ أجْرا وَهُمْ مُهْتَدُونَ.

22260ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق فـيـما بلغه, عن ابن عبـاس, وعن كعب الأحبـار, وعن وهب بن منبه اتّبِعُوا مَنْ لا يَسألُكُمْ أجْرا وَهُمْ مُهْتَدُونَ: أي لا يسألونكم أموالكم علـى ما جاؤوكم به من الهــدى, وهم لكم ناصحون, فـاتبعوهم تهتدوا بهداهم.

وقوله: وَهُمْ مُهْتَدُونَ يقول: وهم علـى استقامة من طريق الـحقّ, فـاهتدوا أيها القوم بهداهم.

الآية : 22-25

القول فـي تأويــل قـوله تعالــى: {وَمَـا لِـيَ لاَ أَعْبُـدُ الّـذِي فَطَرَنِـي وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ * أأَتّخِـذُ مِـن دُونِـهِ آلِهَـةً إِن يُـرِدْنِ الرّحْمَـنُ بِضُـرّ لاّ تُغْـنِ عَنّـي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونَ * إِنّيَ إِذاً لّفِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ * إِنّـيَ آمَنـتُ بِرَبّكُـمْ فَاسْمَعُونِ }.

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيـل هذا الرجل الـمؤمن وَمالــيَ لا أعْبُـدُ الّذِي فَطَرَنِـي: أي وأيّ شيء لـي لا أعبد الربّ الذي خـلقنـي وَإِلَـيْهِ تُرْجَعُونَ يقول: وإلـيه تصيرون أنتـم أيها القوم وتردّون جميعا, وهذا حين أبدى لقـومه إيـمانه بـالله وتوحيده, كما:

22261ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق فـيـما بلغه, عن ابن عبـاس, وعن كعب الأحبـار, وعن وهب بن منبه قال: ناداهم, يعنــي نادى قومه بخلاف ما هم علـيه من عبـادة الأصنام, وأظهر لهم دينه وعبــادة ربه, وأخبرهم أنه لا يـملك نفعه ولا ضرّه غيره, فقال: وَمالِـيَ لا أعْبُـدُ الّـذِي فَطَرَنِـي وَإِلَـيْهِ تُرْجَعُونَ أءتّــخِذُ مِـنْ دُونِـهِ آلِهَـةً ثـم عابهـا, فقـال: إن يُـرِدْنِ الرّحْمَنُ بِضُرّ وشدّة لا تُغْنِ عَنّـي شَفـاعَتُهُمْ شَيْئا وَلا يُنْقِذُونَ. وقوله: أءتّــخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً يقول: أأعبد من دون الله آلهة, يعنـي معبـودا سـواه إنْ يُـرِدْنِ الرّحْمَنُ بِضُرّ يقول: إذ مسنـي الرحمن بضرّ وشدّة لا تُغْنِ عَنّــي شَفــاعَتُهُمْ شَيْئا يقول: لا تغنـي عنـي شيئا بكونها إلـيّ شفعاء, ولا تقدر علـى دفـع ذلـك الضرّ عنـي وَلا يُنْقِذُونِ يقول: ولا يخـلصونـي من ذلك الضرّ إذا مسنـي.

وقوله: إنّـي إذا لَفـي ضَلالٍ مُبِـينٍ يقول: إنـي إن اتـخذت من دون الله آلهة هذه صفتها إذن لفـي ضلالٍ مبـين لـمن تأمله, جوره عن سبـيـل الـحقّ.

وقوله: إنّي آمَنْتُ بِرَبّكُمْ فاسمَعُونِ فاختلف في معنى ذلك, فقال بعضهم: قال هذا القول هذا المؤمنُ لقومه يعلمهم إيمانه بالله. ذكر من قال ذلك:

22262ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق فيما بلغه, عن ابن عباس, وعن كعب, وعن وهب بن منبه إنّي آمَنْتُ بِرَبّكُمْ فاسمَعُونِ إني آمنت بربكم الذي كفرتم به, فاسمعوا قولي.

وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسلَ, وقال لهم: اسمعوا قولي لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي, وأني قد آمنت بكم واتبعتكم فذكر أنه لما قال هذا القول, ونصح لقومه النصيحة التي ذكرها الله في كتابه وثبوا به فقتلوه.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة قتلهم إياه, فقال بعضهم: رَجَموه بالحجارة. ذكر من قال ذلك:

22263ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هذا رجل دعا قومه إلى الله, وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك. وذُكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة, وهو يقول: اللّهم اهدِ قومي, اللهمّ اهدِ قومي, اللهمّ اهدِ قومي, حتى أَقْعصُوه وهو كذلك.

وقال آخرون: بل وثبوا عليه, فوطئوه بأقدامهم حتى مات. ذكر من قال ذلك:

22264ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق فيما بلغه, عن ابن عباس, وعن كعب, وعن وهب بن منبه قال لهم: وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الّذِي فَطَرَنِي... إلى قوله: فاسمَعُونِ وثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه, ولم يكن أحد يدفع عنه.

22265ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول: وطِئوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبه من دُبُره.

الآية : 26 -27

القول في تأويل قوله تعالى: {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ }.

يقول تعالى ذكره: قال الله له إذ قتلوه كذلك فلقيه: ادْخُلِ الجَنّةَ فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره فيه قالَ يا لَيْتَ قَوْمي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لي رَبّي يقول: يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي, وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته, كان إيماني بالله وصبري فيه, حتى قتلت, فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

22266ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني ابن إسحاق, عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول: قال الله له: ادخل الجنة, فدخلها حيا يُرزق فيها, قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها, فلما أفضى إلى رحمة الله وجنته وكرامته قالَ يا لَيْتَ قَوْمي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ رَبّي وَجَعَلَنِي مِنَ المُكْرَمِينَ.

22267ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قِيـلَ ادْخُـلِ الـجَنّةِ فلـما دخـلها قالَ يا لَـيْتَ قَوْمي يَعْلَـمُونَ بِـما غَفَـرَ لـي رَبّـي وَجَعَلِنـي مِنَ الـمُكْرَمِينَ قال: فلا تلقى الـمؤمن إلاّ ناصـحا, ولا تلقـاه غاشا, فلـما عاين من كرامة الله قالَ يا لَـيْتَ قَوْمي يَعْلَـمُونَ بـمَا غَفَـرَ لـي رَبّـي وَجَعَلَنِـي مِنَ الـمُكْرَمِينَ تـمنى على الله أن يعلـم قومه مـا عـاين مـن كرامة الله, وما هجم علـيه.

22268ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: قِـيـلَ ادْخُـلِ الـجَنّةَ قال: قـيـل: قـد وجبت له الـجنة قال ذاك حين رأى الثواب.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفـيان, عن ابن جُرَيـج, عن مـجاهد قِـيـلَ ادْخُـلِ الـجَنّةَ قال: وجبت لك الـجنة.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حَكَـام, عـن عنبسـة, عـن مـحمد بـن عبـد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بَزّة, عـن مـجاهد قِـيـلَ ادْخُـلِ الـجَنّةَ قـال: وجبت له الـجنة.

22269ـ حدثنا ابن بشار, قال: حـدثنا يحيـى, عـن سفـيان, عـن عاصـم الأحول, عن أبـي مـجلز, فـي قـوله: بـمَا غَفَـرَ لـي رَبّـي قـال: إيـمانـي بربـي, وتصديقـي رسله, والله أعلـم.